

دیس بیک

کتابخانه آصفیہ کا عالی حیات و زکون

۲۰۱۹

۲۰۱۹

نمبر واحد

آخر واحد

نام کتاب

فہرست کتاب

نمبر کتاب فہرست مذکور

السبیل للعلم والتفہیم

۸۲۵

2438
S/A

كتاب التسميكت

لعبدلوم التسنزين

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خدام القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبى

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الثانى

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

ضى بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية
وصحها نخبة من العلماء

2438
51A

هذا الكتاب من الكتب النادرة الكبرى فى تاريخ العرب
لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة مصطفى طه
شارع الكتاب فى القاهرة الكبرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنعام

مكية إلا الآيات ٢٠ و ٢٣ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ نزلت بعد الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ . هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ مَعْتَدُونَ . وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ . وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ

(سورة الأنعام)

قال كعب : أول الأنعام هو أول التوراة (وجعل الظلمات والنور) جعل هنا بمعنى خلق ، والظلمات : الليل والنور النهار والضوء الذي في الشمس والقمر وغيرها ، وإنما أفرد النور لأنه أراد الجنس ، وفي الآية رد على الجوس في عبادتهم للنار وغيرها من الأنوار ، وقرئتم إن الحيد من النور والشر من الظلمة ؛ فإن المخلوق لا يكون لها ولا قاعلا لشيء من الحوادث (ثم الذين كفروا برهيم يعدلون) أي يسوون ويمثلون من قولك عدلت فلانا بفلان إذا جعلته نظيره وقرينه ودخلت ثم لتدل على استبعاد أن يعدلوا برهيم بعد وضوح آياته في خلق السموات والأرض ، والظلمات والنور وكذلك قوله ثم أنتم تمثرون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه أحياء وأماهم ، وفي ضمن ذلك تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم ، والذين كفروا هنا عام في كل مشرك ، وقد يختص بالجوس بدليل الظلمات والنور ، وبعيدة الأصنام ؛ لأنهم المجاورون للنبي صلى الله عليه وسلم وعليهم يقع الرد في أكثر القرآن (خلقكم من طين) أي خلق أباكم آدم من طين (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) الأجل الأول الموت ، والثاني يوم القيامة وجعله عنده ؛ لأنه استأثر بعلمه ، وقيل الأول النوم ، والثاني الموت ، ودخلت ثم هنا لترتيب الاخبار ، لترتيب الوقوع ، لأن القضاء متقدم على الخلق (وهو الله في السموات وفي الأرض) يتعلق في السموات بمعنى اسم الله ، فالمعنى كقوله : وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب ، ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر : فيتعلق باسم فاعل محذوف ، والمعنى على هذا قريب من الأول ، وقيل المعنى أنه في السموات والأرض بعلمه كقوله : وهو معكم أينما كنتم ، والأول أرجح وأصح ، لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة ، وغير ذلك ، فقد جمعا مع الإيجاز ، ويرجع الثاني بأن سياق الكلام في اطلاع الله تعالى وعلمه ، لقوله بعدها : يعلم سرركم وجهركم ، وقيل يتعلق بمحذوف تقديره المعبود في السموات وفي الأرض وهذا المحذوف صفة لله : واسم الله على هذا القول وعلى الأول هو خبر المبتدأ وأما إذا كان المجرور الخبر فاسم الله بدل من الضمير (وما تأتيتهم من

رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ • فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ •
 أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ سَكَنُوا فِي الْأَرْضِ مَا لَهُمْ تَمَكُّنٌ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا
 وَجَلَّلْنَا الْأَنْهَارَ بَحْرًا مِنْ مَخْضَمٍ فَأَهْلَكْنَا نَسْلَهُمْ يَذُوبُهُمْ وَأَتَيْنَاهُمْ قُرْنًا آخِرِينَ • وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ
 كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلْيَسُوهُ بَأْيَدِهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ • وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ
 مَلَكٌ • وَلَوْ أُنْزِلَ مَلَكٌ لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ • وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ
 مَا يَلْبِسُونَ • وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَخَافَ الَّذِينَ هَؤُلَاءِ بِالَّذِينَ هَجَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ • قُلْ سِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ • قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى

آية من آياتهم) من الأولى زائدة ، والثانية للتبويض ، أو لبيان الجنس (الحق) يعني ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فسوف يأتيهم) الآية : وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم (ألم يروا كَمْ أَهْلَكْنَا) حض للكفار على الاعتبار بغيرهم ، والقرن مائة سنة ، وقيل سبعون ، وقيل أربعون (مكتام في الأرض) الضمير عائد على القرن ، لأنه في معنى الجماعة (ألم تمكّن لكم) الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من المؤمنين والكافرين (وأرسلنا السماء عليهم مدراراً) السماء هنا المطر والسحاب أو السماء حقيقة ، ومدراً ببناء مبالغة وتكثير من قوله ذق المطر إذا غر (فأهلكناهم بذنوبهم) التقدير فكفروا وعصوا فأهلكناهم ، وهذا تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس) الآية : إخبار أنهم لا يقرءون ولو جاءتهم أرواحهم من أموات ، والمراد بقوله فليسوه بأيديهم لو بالغوا في تميزه وتقليبه ليرقع الشك لعانوا بذلك ، يشبه أن يكون سبب هذه الآية قول بعضهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لاؤمن بك حتى تأتي بكتاب من السماء يأمرني بتصديقك ، وما أراي مع هذا أصدقك (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) حكاية عن طلب بعض العرب ، وروى أن العاصي بن وائل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود والأسد بن عبد يوث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد ، لو كان معك ملك (ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر) قال ابن عباس المعنى : لو أنزلنا ملكاً فكفروا بعد ذلك لعل لهم العذاب ، ففي الكلام على هذا حذف ، وقضى الأمر على هذا تسجيل أخذهم ، وقيل المعنى لو أنزلنا ملكاً لمساتوا من هول رؤيته فقضى الأمر على هذا موتهم (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً) أى لو جعلناه الرسول ملكاً لكان في صورة رجل ، لأنهم لا طاعة لهم على رؤية الملك في صورته (وللبينا عليهم ما يلبسون) أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم ، فإنهم لو رأوا الملك في صورة إنسان قالوا هذا إنسان وليس بملك (ولقد استهزئ برسُل من قبلك) الآية : إخبار قصد به تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما كان يلقي من قومه (فخاف) أى أحاط بهم ، وفي هذا الإخبار تهديد للكفار (قل سيرا في الأرض) الآية : حض على الاعتبار بغيرهم إذا رأوا منازل الكفار الذين هلكوا قبلهم (ثم انظروا) قال الزمخشري إن قلت : أى فرق بين قوله فانظروا ، وبين قوله ثم انظروا ؟ قلت : جعل النظر سبباً عن السير في قوله : فانظروا ، كأنه قال : سيرا لأجل النظر ، وأما قوله فسيروا

نَفْسَهُ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَرِيبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ آخِذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ • قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْقُورُ الْمُبِينُ • وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بَضْرٌ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ • قُلْ أَيْ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُمُ التَّهْلُوتَ

في الأرض ثم انظروا : فمناه إراحة السير التجارة وغيرها من المنافع ، وإيجاب النظر في المالكين ربهم على ذلك ثم ، تباعد ما بين الواجب والمباح (قل لمن مافي السموات والأرض قل لله) القصد بالآية إقامة البرهان على صحة التوحيد وإبطال الشرك ، وجاء ذلك بصفة الاستفهام لإقامة الحجة على الكفار فسأل أولامن مافي السموات والأرض ، ثم أجاب عن السؤال بقوله قل لله ، لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض ، وإنما يحسن أن يكون السائل عجبا عن سؤاله ، إذا علم أن خصمه لا يخالفه في الجواب الذي به يقيم الحجة عليه (كتب على نفسه الرحمة) أي نضاهها وتفسير ذلك بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض ، وفيه إن رحمتي سبقت غضبي ، وفي رواية تغلب غضبي (ليجمعنكم) مقطوع بما قبله ، وهو جواب لقسم محذوف ، وقيل هو تفسير الرحمة المذكورة تقديره أن يجمعكم ، وهذا ضعيف لدخول التوهم الثقيلة في غير موضعها ، فإنها لا تدخل إلا في القسم أو في غير الواجب (إلى يوم القيامة) قيل هنا إلى بمعنى في وهو ضعيف ، والصحيح أنها للغاية على بابها (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) الذين مبتدأ وخبره لا يؤمنون ؛ ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط قاله الزجاج وهو حسن ، وقال الزخري الذين نصب على اللام أوزع بخبر ابتداء مضمرة ، وقيل هو بدل من الضمير في ليجمعنكم وهو ضعيف ، وقيل منادى وهو باطل (وله ما سكن في الليل والنهار) عطف على قوله قل لله ، ومعنى سكن : حل ، فهو من السكنى ، وقيل هو من السكون وهو ضعيف لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة فلا يعم ، والمقصود عموم ملكة تعالى لكل شيء (قل أغير الله آخِذَ وَلِيًّا) إقامة حجة على الكفار ورد عليهم بصفات الله الكريم التي لا يشترك غيره فيها (أول من أسلم) أي من هذه الأمة لأن النبي صلى الله عليه وسلم سابق أمته إلى الإسلام (ولا تكون) في الكلام حذف تقديره وقيل لي : ولا تكون من المشركين ، أو يكون مقطوعا على معنى أمرت فلا حذف وتقديره أمرت بالإسلام ، ونهيت عن الإشراك (من) يصرف عنه يومئذ فقد رحمه أي من يصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله ، وقرئ يصرف بفتح الياء وفاعله الله (وذلك) إشارة إلى صرف العذاب أو إلى الرحمة (وإن يمسك الله بضر) معنى يمسك يصبك ، والضر المرض وغيره على العموم في جميع المضرات ، والخير : العافية وغيرها على العموم أيضا ، والآية برهان على الوحداية لانفراد الله تعالى

أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَتَبَ بَيِّنَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُخْلِعُ الظَّالِمُونَ • وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ • ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَحْتُمُ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مِنْكُمْ مَشْرُكِينَ • انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَحُضِّلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً

بالضر والخير ، وكذلك ما بعد هذا من الأوصاف براهين ورد على المشركين (قل أي شيء أكبر شهادة) سؤال يقتضي جواباً يبين عليه المقصود ، وفيه دليل على أن الله يقال فيه شيء لكن ليس كمثل شيء (قل الله شهيد بيني وبينكم) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون الله مبتدأ وشهيد خبره ، والآخر أن يكون تمام الجواب ضد قوله : قل الله ، بمعنى أن الله أكبر شهادة ، ثم يبتدئ على تقدير هو شهيد بيني وبينكم ، والأول أرجح لعدم الإخبار ، والثاني أرجح لمطابقة السؤال ، لأن السؤال بمنزلة من قوله : من أكبر الناس ؟ فيقال في الجواب ، فلان وتقديره فلان أكبر ، والمقصود بالكلام استنباط ما الله الذي هو أكبر شهادة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهادة الله بهذا هي عليه بصحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإظهار معجزة الدالة على نبوته (ومن بلغ) حلف على خبير المقول في لا نذكرم والفاعل يبلغ خبر القرآن والمفعول محذوف يعود على من تقديره ، ومن بلغه والمعنى أوصى إلى هذا القرآن لا نذكره بالخاططين ، وهم أهل مكة ، وأندركل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة ، قال سعيد ابن جبير : من بلغه القرآن فكأنما رأى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل المعنى : ومن بلغ الحلم وهو بعيد (قل أنتم لتشهدون) الآية : تقرير للمشركين على شركهم ، ثم تبرأ من ذلك بقوله : لا أشهد ، ثم شهادة بالوحانية ، وروى أنها نزلت بسبب قوم من الكفار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما تعلم مع الله إلها آخر (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) تقدم في البقرة (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) الذين مبتدأ وخبره فهم لا يؤمنون وقيل الذين نصت للذين آتيناهم الكتاب وهو فاسد لأن الذين أتوا الكتاب ما استشهد بهم هنا إلا ليقم الحجة على الكفار (ومن أظلم) لفظه استفهام ومعناه لا أحد أظلم (من أقرى على الله) وذلك تنصل من الكذب على الله ، وإظهار لبراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما نسبوه إليه من الكذب ، ويحتمل أن يريد بالاقراء ، على الله ما نسب إليه الكفار من الشركاء والأولاد (أو كذب بآياته) أي علاماته وبراهينه (أين شركاؤكم) يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ (تزعمون) أي تزعمون أنهم آلهة خذفة لدلالة المعنى عليه ، والعامل في يوم نحشرهم محذوف (ثم لم تكن فتنتهم) الفتنة هنا تحتمل أن تكون بمعنى الكفر أي لم تكن طائفة كفرهم إلا جموده والتعوي منه ، وقيل فتنتهم معذرتهم ، وقيل كلامهم ، وقرئ فتنتهم بالنصب على خبر كان واسمها أن قالوا ، وقرئ بالرفع على اسم كان وخبرها أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) جود لشركهم ، فإن قيل : كيف يمحذونه وقد قال الله ولا يكتنون الله حديثاً ، فالجواب أن ذلك يختص باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن ، فيحكم قوم ويقر آخرون ، ويكتنون في موطن ويقررون في موطن آخر ، لأن يوم القيامة طويل ، وقد قال ابن عباس سئل عن هذا السؤال إنهم جحدوا طمعاً في النجاة فغتم الله على أفواههم ، وتكلمت جوارحهم فلا يكتنون الله حديثاً (ومنهم من

أَنْ يَقْفُوهُ فِي إِذَانِهِمْ وَقَرَأُوا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُخْبِدُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ • وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ • وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ قَالُوا يَلَيْقُنَا نَزْدُ وَلَا تَكْذِبُ بَنَاتُ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ •
بَلْ بَدَّلْهُمْ مَا كَانُوا يَحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ • وَقَالُوا إِنْ هِيَ
إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ • وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا
قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ • قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاءُ بَشْتَةً

يستمع إليك الضمير عائد على الكفار ، وأفرد يستمع وهو فعل جماعه حلال على لعظم من (وجعلنا على قلوبهم
أكنة أن يفقهوه) أكنة جمع كنان ، وهو الغطاء ، وأن يفقهوه في موضع مفعول من أجله تقديره : كراهة
أن يفقهوه ، ومعنى الآية أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه ، وعبر بالأكنة والورق مبالغة ، وهي
استعارة (أساطير الأولين) أى قصصهم وأخبارهم ، وهو جمع أسطار وأسطورة قال السجلى حيث ماورد في
القرآن أساطير الأولين ، فإن قالها هو التضمين الحارث وكان قد دخل بلد فارس وتعلم أخبار ملوكهم ،
فكان يقول حديثي أحسن من حديث محمد (وم يهون عنه وينأون عنه) هم عائد على الكفار ، والضمير في
عنه عائد على القرآن ، والمعنى وهم يهون الناس عن الإيمان ، وينأونهم عنه أى يبعدون ، والثأى هو البعد ،
وقيل الضمير في عنه يعود على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعنى يهون عنه يهون الناس عن إجابته ، وهم مع
ذلك يبعدون عنه ، والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومن كان معه : يحى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يسلّم
وفي قوله يهون وينأون ضرب من ضروب التجنيس (ولوترى إذ وقعوا على النار) جواب لو محذوف هنا ،
وفي قوله ولوترى إذ وقعوا على ربهم ، وإنما حذف ليكون أبلغ ما يقدره السامع : أى لوترى رأيت أمرا شنيعا
هائلا ، ومعنى وقعوا : حبسوا ، قاله ابن عطية ، ويحتمل أن يريد بذلك إذا دخلوا النار ، وإذا عابثوا وأشر فواعلها ،
ووضع إذ موضع إذا التحق وقوع الفعل حتى ، ماض (بالتنازل ولا تكتب) قرئ رفع نكتب ونكون على
الاستيفاء والقطع على التثنية ، ومثله سيبيويه بولك دعى ولا أعود أى وأنا لأعود ، ويحتمل أن يكون حالا تقديره
نزد غير مكذبين ، أو عطف على نزل ، وقرئ بالنصب يا ضحار أن بعد الواو في جواب التثنية (بل بدلهم ما كانوا يحفون
من قبل) المعنى ظهر لهم يوم القيامة في محققهم ما كانوا يحفون في الدنيا من عيوبهم وقبحاتهم وقيل هي في أهل
الكتاب أى بدلهم ما كانوا يحفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل هي في المنافقين أى بدلهم ما كانوا يحفون من
الكفر ، وهذا القولان بعيدان ، فإن الكلام أوله ليس في حق المنافقين ولأهل الكتاب ، وقيل إن الكفار
كانوا إذا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم خافوا وأخفوا ذلك الخوف لئلا يشعر بها أتباعهم ، فظهر لهم ذلك يوم
القيامة (ولوردوا العادوا) إخبار بأمر لا يكون لو كان كيف كان يكون وذلك مما انفرد الله بعله (وانهم لكاذبون)
يعنى في قولهم ولا تكتب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، ولا يصح أن يرجع إلى قولهم بالتنازل ، لأن التثنية
لا يحتمل الصدق ولا الكذب (وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا) حكاية عن قولهم في إنكار البعث الآخرى (قال ليس

قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ . وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّالَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ . وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ . وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ امْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْبًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ

هذا بالحق) تقرير لهم وتوبيخ (قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) الضمير فيها الحياة الدنيا لأن المعنى يقتضى ذلك وإن لم يمر لها ذكر ، وقيل الساعة أى فرطنا في شأنها ، والاستعداد لها ، والأول أظهر (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) كناية عن تحمل الذنوب ، وقال على ظهورهم ، لأن العادة حمل الأثقال على الظهر ، وقيل لأنهم يعملونها على ظهورهم حقيقة ، وروى في ذلك أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثل له في أقيع صورة ، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصوره في أحسن صورة (ألا ساء ما يزدون) إخبار عن سوء ما يفعلون من الأوزار (قد نعلم أنه يحزنك الذى يقولون) قرأ نافع يحزن حيث وقع يضم الياء من أحزن ، إلى قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وقرأ الباقون بفتح الياء من حزن الثلاث وهو أشهر في اللغة ، والذي يقولون : قوله إنه ساحر ، شاعر ، كاهن (فإنهم لا يكذبونك) من قرأ بالتشديد فالمعنى لا يكذبونك معتقدين لكذبك ، وإن ساءم يحدون بالحق مع علمهم به ، ومن قرأ بالتخفيف ، قيل معناه لا يحدونك كاذبا ، يقال كذبت فلانا إذا وجدته كاذبا ، كما يقال أحده إذا وجدته محمودا ، وقيل هو بمعنى التشديد ، يقال كذب فلان فلانا وأكذبه بمعنى واحد ، وهو الأظهر لقوله بعد هذا يحدون ، ويؤيد هذا ما روى أنها نزلت في أبي جهل فإنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم : إنا لا نكفر بك ولكن نكذب ما جئت به ، وأنه قال للأخنس بن شريق ، والله إن محمدا صادق ، ولكنى أحسده على الشرف (ولكن الظالمين) أى ولكنهم ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم (ولقد كذبت رسل من قبلك) الآية : تسلية للى صلى الله عليه وسلم ، وحض له على الصبر ، ووعد له بالنصر (ولابد لكلمات الله) أى لمواعيده (رسله : كقوله ، ولقد سقت كلمتا لعبادنا المرسلين إنهم لم ينصرون ، وفي هذا تقوية للوعد) (ولقد جاءك من نبي المرسلين) أى من أخبارهم ويعنى بذلك صبرهم ثم نصرهم ، وهذا أيضا تقوية للوعد والحض على الصبر ، وقائل جادك محذوف تقديره نبأ أو خلاف ، وقيل هو المجرور (وإن كان كبر عليك إعراضهم) الآية : مقصودها حل النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر والتسليم لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر ، فإنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان شديد الحرص على إيمانهم ، فليل له إن استطعت أن تدخل في الأرض أو تصعد إلى السماء فتأتمهم بآية يؤمنون بسببها ، فافعل وأنت لا تقدر على ذلك ، فاستسلم لأمر الله والتفق في الأرض . معناه منفذ تنفذ منه إلى ماتحت الأرض ، وحذف جواب إن لهم المعنى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) حجة لأهل السنة على القدرية فلا تكون من الجاهلين (أى من الذين يجهلون أن الله

عَلَى الْمُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ • إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ • وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمْ لَيَعْلَبَنَّ • وَمَا مِنْ دَآيَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَلَسٍ يُبْلِغُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أَمُّ أَمْثَلِكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ • وَالَّذِينَ كَذَّبُوا يَكْذِبُونَ أَمْ يَلْمِزْنَاهُمْ وَيَقُولُونَ قَدْ أَفْلَحَ اللَّهُ مِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يُضِلُّهُ فَمَا جَعَلَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَتَحَوَّنَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • بَلْ لَمَّا

لوشاء لهم على المدى (إنما يستجيب الذين يسمعون) المعنى (إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون (والموتى يعظم الله) فيها ثلاث تأويلات : أحدهما أن الموتى عبارة عن الكفار يموت قلوبهم ، والبعث يراد به الحشر يوم القيامة ، فالمعنى أن الكفار في الدنيا كالموتى في قلة سمعهم وعدم فهمهم ، فيبسمهم الله في الآخرة ، ويحتد يسمعون ، والآخر أن الموتى عبارة عن الكفار ، والبعث عبارة عن هدايتهم لفهمهم والسمع والثالث أن الموتى على حقيقته ، والبعث على حقيقته فهو إخبار عن بعث الموتى يوم القيامة (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) الضمير في قالوا للكفار ، ولولا عرض ، والمعنى أنهم طلبوا أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم آية على نبوته ، فإن قيل : قد أتى بآية ومعجزاته كثيرة فلم يطلبوا آية ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنهم لم يستوعبوا ما أتى به ، وكأنه لم يأت بشيء عديم لئلا يندم وجدهم ، والآخر أنهم طلبوا آية تضطرهم إلى الإيمان من غير نظر ولا تشكر (قل إن الله قادر على أن ينزل آية) جوابه على قولهم ، وقد حكى هذا القول عنهم في مواضع من القرآن وأجيب عليه بأجوبة مختلفة ، منها ما يقتضى الرد عليهم في طلبهم الآيات فإنه قد أتاهم بآيات وتحصيل الحاصل لا يبنى كقولهم : قد أتينا الآيات ، وكقولهم : أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب بتلى عليهم ، ومنها ما يقتضى الإعراض عنهم ، لأن الخصم إذا تبين عذابه سقطت مكالته ، ويحتمل أن يكون من هذا قوله : إن الله قادر على أن ينزل آية ، ويحتمل أيضا أن يكون معناه قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان (ولكن أكثرهم لا يعلمون) حذف مفعول يعلمون ، وهو يحتمل وجهين : أحدهما لا يعلمون أن الله قادر ، والآخر لا يعلمون أن الله إنما منع الآيات التي تضطرهم إلى الإيمان لمصالح العباد ، فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا لعوقبوا باللعاب (بجناحيه) تأكيد وبيان وإزالة للاستعارة المتعاضدة في هذه اللفظة ، قد يقال طائر السعد والنس (أم أمثالكم) أى في الخلق والرزق ، والحياة والموت ، وغير ذلك ، ومناسبة ذكر هذا لمسا قبله من وجهين : أحدهما أنه تنبيه على مخلوقات الله تعالى ، فكانه يقول : تفكروا في مخلوقاته ، ولا تطالبوا غير ذلك من الآيات ، والآخر : تنبيه على البعث ، كأنه يقول جميع المراتب والطير يحشرون يوم القيامة كما تحشرون أتم ، وهو أظهر لقوله بعده ، ثم إلى ربهم يحشرون (ما فرطنا في الكتاب من شيء) أى ما غفلنا والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ ، والكلام على هذا عام ، وقيل هو القرآن والكلام على هذا خاص : أى ما فرطنا فيه من شيء فيه هدايتكم والبيان لكم (ثم إلى ربهم يحشرون) أى تبعث الدواب والطير يوم القيامة للجزاء والتصل بينهما (والذين كذبوا بالآية: لما ذكر قدرته على بعث الخلق كلهم أنبأه بأن وصف من كذب بذلك بالصمم والبكم ، وقوله في الظلمات

تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَسْأَلُونَ مَا تُنْشَرُونَ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَاتَّخَذْتَهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءَ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ • فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَهُمْ بَغْثَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ • فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذَبُونَ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ بِغْثَةٍ أَوْ جَهْرَةٍ هَلْ يُمْسِكْ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ • وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُسَمُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ • قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ • وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُبْعَثُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ • وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ

يقوم مقام الوصف بالسمى (قل أرايتكم) معناه أخبروني، والضمير الثاني للخطاب، ولا جعل له من الإعراب وجواب الشرط محذوف تقديره إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة من تدعون؟ ثم وقفهم على أنهم لا يدعون حينئذ إلا الله، ولا يدعون أنفسهم، والآية احتجاج عليهم، وإثبات التوحيد، وإبطال للشرك (إن شاء) استثناء أى يكشف منازلكم إن أراد، ويصيحكم إن أراد (وتسألون ما تنشرون) يحتل أن يكون من النسيان أو الترك (فأخذناهم بالأسواء والضراء) كان ذلك على وجه التخفيف والتأديب (فلولا) هذا عرض وتخصيص وفيه دليل على نفع التعرض حين الشدائد (فلما نسوا) الآية: أى لما تركوا الاتعاظ بما ذكروا به من الشدائد فتح عليهم أبواب الرزق والنعم ليذكروا عليها فلم يشكروا عليها (فأخذهم الله) يمسكونهم من الخير (دابر القوم) آخرهم، وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية (والحمد لله) شكر على هلاك الكفار فإنه نعمة على المؤمنين وقيل إنه إخبار على ما تقدم من الملاحظة في أخذه لهم بالشر ليردجروا أو بالخير ليذكروا حتى وجب عليهم العذاب بعد الإنذار والإعذار (قل أرايتكم) الآية: احتجاج على الكفار أيضا (يأتيتكم به) الضمير عائد على المأخوذ (يصدفون) أى يربضون (قل أرايتكم) الآية: وعيد وتهديد، والبعثة مالم يتقدم لهم شعوره، والجهرة ما بدت لهم غياها، وقيل بعثة بالليل، وجهرة بالنهار (قل لا أقول لكم عني خزائن الله) الآية: أى لا أدعى شيئا منكرا ولا يستبعد، إنما أنا نبي رسول كما كان غيره من الرسل (الأعمى والبصير) مثال الضال والمهتدى (وأندبر به الذين يخافون) الضمير في به يعود على ما يوحى والإنذار عام لجميع الناس وإنما خصص هنا بالذين يخافون، لأنه قد تقدم في الكلام ما يقتضى اليأس من إيمان غيرهم فكانه يقول أئذرا الخائفين لأنه يفهمهم الإنذار، وأعرض عن تقدم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون

يَدْعُونَ بِهِمْ بِالْعَنُوتِ وَالْعِشَّةِ يَرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ . وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ آفَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالْفَاسِقِينَ . وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا قُلْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَكَذَلِكَ فَتَنَّا الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ هَ . قُلْ إِنْ نُسِيتُ أَن أَعْبُدَ الَّذِينَ دَعَوْتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا اتَّبِعْ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُ

(ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) في موضع الحال من الضمير في يحشروا ، واستكشاف إخبار (لعلمهم يتقون) يتعلق بأنذر (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) الآية : نزلت في ضغفه المؤمنين . كبلال ، وعسار ابن ياسر ، وعبد الله بن مسعود ، وخباب وصهيب ، وأمثالهم ، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء لشرفنا فلو طردتهم لاتبعناك ، فزلت هذه الآية (بالعداء والعشقة) قيل هي الصلاة بمكة قبل فرض الخمس وكانت غداة وعشية ، وقيل هي عبارة عن دوام الفعل ، ويدعون هنا من الدعاء وذكر الله أو بمعنى العبادة (يريدون وجهه) إخبار عن إخلاصهم لله وفيه تزيعة لهم (ما عليك من حسابهم من شيء) الآية : قيل الضمير في حسابهم للذين يدعون ، وقيل للمشركين ، والمعنى على هذا لا تحاسب عنهم ، ولا يحاسبون عنك ، فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجليهم ، والأول أرجح ، لقوله وما أنا بطارد الذين آمنوا ، وقوله إن حسابهم إلا على ربى ، والمعنى على هذا أن الله هو الذي يحاسبهم فلا شيء تطردهم (تطردهم) هذا جواب التثنية في قوله ما عليك (فتكون من الظالمين) هذا جواب النهي في قوله ولا تطرد أو عطف على تطردهم (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أى ابتلينا الكفار بالمؤمنين ، وذلك أن الكفار كانوا يقولون أهؤلاء العبيد والفقراء من الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوتنا ، ونحن أشراف أغنياء وكان هذا الكلام منهم على وجه الاستبعاد بذلك (أليس الله بأعلم بالشاكرين) رد على الكفار في قولهم المتقدم (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام عليكم) هم الذين نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طردهم أمر بأن يسلم عليهم إكرامهم وأن يؤنسهم بما يهد هذا (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أى أحسنها وفي الصحيح : إن الله كتب كتابها عنده فوق العرش إن رضى سبقت غضبي (أنمن عمل منكم سوءاً) الآية ، وعد بالغفر والرحمة لمن تاب وأصلح . وهو خطاب القوم المذكورين قبل ، وحكما عام فيهم وفي غيرهم والجهالة قد ذكرت في النساء ، وقيل نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد الضعفاء حتى أن يسلم الكفار ، فلما نزل لا تطردنهم عمر على قوله وتاب منه فزلت الآية ، وقرئ أنه بالفتح على البدل من الرحمة وبالكسر على الاستغفار ، وكذلك فإنه غفور رحيم بالكسر على الاستغفار وبالفتح خبر ابتداء مضمر تقديره فأمره أنه غفور رحيم ، وقيل تكرار للأولى لطول الكلام (وكذلك فصل) الإشارة إلى ما تقدم من النهي عن الطرد وغير ذلك ، وتفصيل الآيات شرحها ويأتي (ولتستبين سبيل المجرمين) بتاء الخطاب ونصب السبيل على أنه مفعول به ، وقرئ بتاء التأنيث ورفع السبيل على أنه فاعل مؤنث وبالياء والرفع على تذكير

إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ • قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عُدِّي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ
يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ • قُلْ لَوْ أَنِّي عُدِّي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَضَى الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالظَّالِمِينَ • وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا
وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْفٍ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ • وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّعُ بَالِيزًا وَيَعْلَمُ
مَاجِرْحَتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ •
وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ •
ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ • قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
تَدْعُوهُ قَضَاءً وَخَفَاءً لِّئَلَّا تُهْمَنَ مِنْ هَٰذِهِ لَسْتُ لَكُم مِّنَ الشَّاكِرِينَ • قُلْ اللَّهُ يُنْجِيكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ
ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ • قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَبْلِسَكُمْ
شِيْعًا وَيَذِيقَ بِكُمْ بِئْسَ بِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ فَصَرَفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ • وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ

النسيل ، لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث (الذين تدعون) أى تعبدون (قد ضلكت إذا) أى إن اتبعت
أهواءكم ضلكت (على بينة) أى على أمرين من معرفة ربى والهالة فى بينة للبالغة أو للتأنيث (وكذبتم به)
الضمير حائد على الرب أو على البينة (ما عدى ما تستعجلون به) أى العذاب الذى طلبوه فى قولهم : فأعطر علينا
حجارة من السماء ، وقيل الآيات التى اقترحوها والاول اظهر (يقضى الحق) من القصص وقرئ يقضى بالصاد المعجمة
من القضاء وهو أجمع لقوله (وهو خير الفاصلين) أى الحاكمين (قل لو أن عدى ما تستعجلون به لقضى
الأمر) أى لو كان عدى العذاب على التأويل الأول ، والآيات المقترحة على التأويل الآخر ، لوقع الانفصال
وزال النزاع لنزول العذاب أو لظهور الآيات (مفاتيح الغيب) استعارة وجارة عن التوصل إلى الغيب كما
يتوصل بالمفاتيح إلى مافي الخزائن ، وهو جمع مفتاح بكسر الميم بمعنى مفتاح ، ويحتمل أن يكون جمع مفتاح
بالفتح وهو المغرن (ولا حبة فى ظلمات الأرض) فنيه بها على غيرها لأنها أشد تقيها من كل شيء (فى
كتاب مبين) اللوح المحفوظ ، وقيل علم الله (يتوفاكم بالليل) أى إذا نتم ، وفى ذلك اعتبار واستدلال على
البعث الآخرى (ما جرحتم) أى ما كتبتم من الأعمال (يبعثكم فيه) أى يوقظكم من النوم ، والضمير عائد على النهار
لأن غالب اليقظة فيه ، وغالب النوم بالليل (أجل مسمى) أجل الموت (حفظة) جمع حافظ وهم الملائكة الكاتبون
(توفته رسلنا) أى الملائكة الذين مع ملك الموت (ثم ردوا) خروج من الخطاب إلى التنية والضمير لجميع
الخلق (قل من ينجيكم) الآية : إقامة حجة ، وظلمات البر والبحر : عبارة عن شدائدهما وأهوالهما كما يقال
اليوم الشديد مظلم (عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قيل الذى من فوق إيطار الحجارة ، ومن تحت
الحسف ، وقيل من فوقكم : تسليط أكابركم ، ومن تحت أرجلكم : تسليط سفلاتكم ، وهذا بعيد (أو يلبسكم شيئا)

قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ۚ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ يُعْلَمُونَ ۚ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ ۚ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۚ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَقْتُونُ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَلَسِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَقْتُونُونَ ۚ وَفَرَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَمَآءٍ وَهُمْ لَا يَخِفُّونَهُمْ ۚ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسِلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ۚ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ

أنى يغلطكم فرقا مختلفين (ويذيق بعضكم بأس بعض) بالقتال، واختلف هل الخطاب بهذه الآية للكفار أو المؤمنين؟ وروى أنه لما نزلت أن يموت عليكم عذابا من فوقكم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعوذ بوجهه، فلما نزلت من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك، فلما نزلت أو يلبسكم شيئا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا أهون، فقصي الله على هذه الأمة بالقتل والقتال إلى يوم القيامة (وكذب به قومك) الضمير حائد على القرآن، أو على الوعيد المتقدم، وقومك هم قريش (لست عليهم بوكيل) أى يحفظ ومسلط، وفي ذلك تاركه نسخها آية القتال (لكل نأ مستقر) أى في غاية يعرف عندها صدق من كذبه (يخوضون في آياتنا) في الاستهزاء بها والطمع فيها (مأعرض عنهم) أى قم ولا تجالسهم (وإما ينسبك الشيطان) إما مركبة من إن الشرطي وما الزائدة، والمعنى إن أنساك الشيطان النبى عن مجالستهم، فلا تقعد بعد أن تذكر النبى (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) الذين يتقون هم المؤمنون والضمير في حسابهم للكفار والمستهزئين والمعنى ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفار على استهزائهم وإحلالهم، وقيل إن ذلك يقتضى إباحة جلوس المؤمنين مع الكافرين، لأنهم شق عليهم النبى عن ذلك إذ كانوا لا بد لهم من مخالطتهم في طلب المعاش وفي الطواف بالبيت وغير ذلك، ثم نسخت بأية النساء، وهى: وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله، الآية، وقيل إنها لا تقتضى إباحة القعود (ولكن ذكرى لعلهم يتقون) فيه وجهان أحدهما أن المعنى ليس على المؤمنين حساب الكفار، ولكن عليهم تذكرا لهم، ووعظ، وإعراب ذكرى على هذا نصب على المصدر وتقديره يذكرونها ذكرى، أو رفع على المبتدأ تقديره عليهم ذكرى، والضمير في لعلهم حائد على الكفار: أى يذكرونها رجاء أن يتقوا أو عائد على المؤمنين أى يذكرونها ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى الله. الوجه الثانى أن المعنى ليس نهي المؤمنين عن القعود مع الكافرين بسبب أن عليهم من حسابهم شيء وإنما هو ذكرى للمؤمنين، وإعراب ذكرى على هذا خبر ابتداء مضمر تقديره: ولكن نهيهم ذكرى: أو مفعول من أجله تقديره إنما نهيها ذكرى، والضمير في لعلهم على هذا للمؤمنين لا غير (وفر الذين) قيل إنها تاركة منسوخة بالسيف، وقيل بل هى تهديد فلا تماركه ولا تسخفها (اتخذوا دينهم لعمى) أى اتخذوا الدين الذى كان يبنى لهم لعمى وهو الانتم سخرؤا منوا واتخذوا الدين الذى يتفقونه لعمى وهو الانتم لا يؤمنون بالبعث فهم يلمعون ويلهون (وذكره) الضمير عائد على الدين أو على القرآن (أن تبسل) قبل معناه أن تحبس، وقيل تقضيح، وقيل تملك وهو في موضع مفعول من أجله أى ذكره كرامة أن تبسل نفس (وإن تعدل كل عدل) أى وإن تعد كل فدية

بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ • قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُزِّلْ عَلَى آصِقَانَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ
كَالَّذِي اسْتَوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُوهُ إِلَى الْهُدَى اتَّبَعْنَا قُلْ إِنَّ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى
وَأَمَرْنَا لِنُسَلِّمَ رَبِّ الْعَالَمِينَ • وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ • وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِئِي مَا تَعْبُدُ أَصْنَامًا دُونِ اللَّهِ قَوْلَكَ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ • فَلَمَّا جَنَّ
عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآلِهِينَ • فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي

لا يؤخفها (قل أَدْعُوا من دون الله) الآية : إقامة حجة وتوبيخ للكفار (ونزل على آصقانا) أي فرجع من الهدى
إلى الضلال وأصل الرجوع على القبض في المشي، ثم استعير في المعاني وهذه جملة معطوفة على أَدْعُوا، والجمرة فيه
الإيثار والتوبيخ (كالذي استوته الشياطين) الكاف في موضع نصب على الحال من الضمير في زد : أي كيف فرجع
مشبهين من استوته الشياطين وأُعتِمِدَ لمصدر محذوف تقديره ردًا كذا الذي، ومعنى استوته الشياطين ذهبت به في
مهاجمة الأرض، وأخرجته عن الطريق فهو استفعال من هوى هوى في الأرض إذا ذهب فيها، وقال الفارسي:
استهوى بمعنى أهوى ومثل استدلل بمعنى أذل (حيران) أي ضال عن الطريق، وهو نصب على الحال من المفعول
في استوته (له أصحاب يدعوته إلى الهدى اتبنا) أي لهذا المستوى أصحاب وهم رفقته يدعوته إلى الهدى أي إلى
أن يهدوه إلى الطريق، يقولون له اتبنا، وهو قدناه وبعد عنهم فلا يجيبهم : وهذا كله تمثيل لمن ضل في الدين
عن الهدى، وهو يدعى إلى الإسلام فلا يجيب، وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كان
أبوه يدعو إلى الإسلام، ويطلب هذا قول عائشة ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن لإبراهيم (وأن أقيموا)
عطف على لنسلم، أو على مفعول أمرنا (قوله الحق) مرفوع بالابتداء وخبره يوم يقول، وهو مقدم عليه
والعامل فيه معنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال، واليوم بمعنى الحين وفاعل يكون مضمراً، وهو فاعل
كن أي حين يقول شيء كن فيكون ذلك الشيء (يوم ينفع في الصور) ظرف لقوله له الملك كقوله لمن
الملك اليوم، وقيل في إعراب الآية غير هذا بما هو ضميم أو تخطيط (عالم الغيب والشهادة) خبر ابتداء مضمراً
(لأيه أذر) هو اسم أبي إبراهيم، فأعراه عطف يان أو بدل، ومنع من الصرف للعجمة والعلبية، لا للوزن
لأن وزنه فاعل نحو عابر وشالغ، وقرئ بالرفع على النداء، وقيل إنه اسم صنم لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم
تاريخ، فعل هذا يحتمل أن يكون لقبه للازمة له، أو أريد عابد أذر، لخذف المضاف وأقيم المضاف إليه
مقامه، وذلك بعيد، ولا يبعد أن يكون له اثنان (نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) قيل إنه فرج
الله السموات والأرض حتى رأى بصره الملك الأعلى والأسفل، وهذا يحتاج إلى صحة قل، وقيل رأى ما يراه
الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بهامن الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه (وليكون) متعلق
بمحذوف تقديره وليكون من الموقنين فعلنا به ذلك (فلما جن عليه الليل) أي ستره يقال جن عليه الليل وأجته

فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَنْ تُبَدِيَ رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ • فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ يَقْرَأُ لِي بِقَوْمٍ إِلَى بَرَى • مَا أَشْرَكُونَ • إِنْى وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ • وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ قَالَ أَتَحْشُرُونِى فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِى وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّى شَيْئًا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ • وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ • وَتِلْكَ حُجَّتُنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ

(رأى كوكبا قال هذا ربى) يحتمل أن يكون هذا الذى جرى لإبراهيم فى الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف . وقد روى أن أمه ولده فى غار خفا من نمرود إذ كان يقتل الأطفال لأن المجتمعين أخبروه أن هلاكه على يد صبي ، ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه ، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم ، وهذا أرجح لقوله بعد ذلك (إنى برى مما تشركون) ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد فى الغار لأن ذلك يقتضى حاجة وردا على قومه ، وذلك أنهم كانوا يبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب ، فأراد أن يبين لهم الخطأ فى دينهم وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحدا منها إلها لقيام الدليل على حدوثها وأن الذى أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأولها هو الإله الحق وحده ، وقوله : هذا ربى قول من ينصف خصمه مع علمه أنه بطل لأن ذلك أدى إلى الحق وأقرب إلى رجوع الخصم ، ثم أقام عليهم الحجة بقوله : لأحب الأتلين : أى لأحب عبادة المتخيلين لأن التغير دليل على الحدوث ، والحدوث ليس من صفة الإله ثم استمر على ذلك المنهج فى القمر وفى الشمس ، فلما أوضح البرهان ، وأقام عليهم الحجة ، جاهرهم بالبراهة من باطلهم ، فقال لنى برى مما تشركون ، ثم أعلن لعبادته توحيدة له فقال : إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ، ووصف الله تعالى بوصف يقتضى توحيدة وانفراده بالملك ، فإن قيل : لم احتج بالأنول دون الطلوع ، وكلامها دليل على الحدوث لأنهما انتقال من حال إلى حال ؟ فالجواب أنه أظهر فى الدلالة ، لأنه انتقال مع اختفاء واجتباب (أتأجسون فى الله) أى فى الإيمان بالله وتوحيدة والاصل أتأجسون بنوعين وقرئ بالتشديد على إدغام أحدهما فى الآخر ، وبالتخفيف على حذف أحدهما واختلف هل حذفت الأولى أو الثانية (ولا أخاف مما تشركون به) ما هنا بمعنى الذى ويريد بها الأصنام ، وكانوا قد خوفوه أن يعصيه أصنامهم بضر ، فقال لا أخاف منهم لأنهم لا يقدرُونَ على شيء (إلا أن يشاء ربى شيئا) استثناء منقطع بمعنى لكن : أى إنما أخاف من ربى إن أراد بى شيئا (وكيف أخاف ما أشركتم) أى كيف أخاف شركاءكم الذين لا يقدرُونَ على شيء وأتم لاختلاف ما فيه كل خوف ، وهو إرشاؤكم بالله وأتم تتكبرُونَ على الأمن فى موضع الأمن ، ولا تتكبرُونَ على أنفسكم الأمن فى موضع الخوف ، ثم أوقفهم على ذلك بقوله فأى الفريقين أحق بالأمن يعنى فريق المؤمنين ، وفريق الكافرين ، ثم أجاب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا) الآية : وقيل إن الذين

دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ • وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمَن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ • وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ • وَاسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا كُلًّا نَّضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ • وَمَن أَبَايَهُمْ وَذُرِّيَّتَهُمْ وَأَخْوَانَهُمْ وَأَجْتَنِبْتَهُمْ وَهَدَيْنَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ • ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ • أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءُ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ • أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْبَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ • وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسٍ يُبَسِّطُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ • وَهَٰذَا كِتَابُ

آمنوا: استئناف، وليس من كلام إبراهيم (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) لما نزلت هذه الآية أضيق منها أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا وأينا لم يظلم نفسه، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (وتلك حجتا) إشارة إلى ما تقدم من استدلاله واحتجاجه (ومن ذريته) الضمير لإبراهيم أو لنوح عليهما السلام، والأول هو الصحيح إذ كر لوط وليس من ذرية إبراهيم (داود) صطف على نوحا أى هدينا داود (وعيسى) فيه دليل على أن أولاد البنات يقال فيهم ذرية، لأن عيسى ليس له أب فهو ابن ابنة نوح (ومن آباؤهم) في موضع نصب صطف على كلا أى هدينا بعض آباؤهم (فإن يكفر بها هؤلاه) أى أهل مكة (وكلنا بها قوما) هم الأنبياء المذكورون، وقيل الصحابة، وقيل كل مؤمن والأول أرجح لدلالة ما بعده على ذلك، ومعنى توكلهم بها توفيقهم للإيمان بها والقيام بحقوقها (أولئك الذين هدى الله) إشارة إلى الأنبياء المذكورين (فهداهم اقتده) استدل به من قال إن شرع من قبلنا شرع لنا فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فاتفقت فيه جميع الأمم والشرائع، وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع والخلاف هل يقتدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها بمن قبله أم لا؟ والماء في اقتده للوقف فينبغي أن تسقط في الوصل، ولكن من أثبتا فيه راعى ثبوتها في خط المصحف (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم إذ أنكروا بعثه للرسول وإزاله للكتب، والقائلون هم اليهود بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مباينة في إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وروى أن الذي قالها منهم مالك بن النضير، فرد الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بد لهم من الإقرار به وهو إزال التوراة على موسى، وقيل القائلون قريش، ولزموا ذلك لأنهم كانوا مقرين بالتوراة (وعلمت ما لم تعلموا) الخطاب لليهود أو لقريش على وجه إقامة الحججة والرد عليهم في

أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكًا مُّصَدِّقًا لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَمِنْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ • وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّيَّأَ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ
أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ يَوْمَ تَهْجَرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ
تَسْتَكْبِرُونَ • وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ
مَعَكُمْ شُفْعَاءَ كُ الَّذِينَ ذَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ قَطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ • إِنَّ اللَّهَ
قَاتِلُ الْهَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ • قَاتِلُ الْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ • وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لَتَهْتَدُوا

قولهم ما أنزل الله على بشر من شيء، فإن كان لليهود، فالذي علموه التوراة، وإن كان لقريش فالذي علموه
ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (قل الله) جواب من أنزل واسم الله مرفوع بفعل مضارع تقديره أنزل الله أو مرفوع
بالابتداء (ولتند) صطف على صفة الكتاب (أم القرى) مكة، وسميت أم القرى، لأنها مكان أول بيت
وضع للناس، ولأنه جاء أن الأرض دحيت منها ولأنها يجمع إليها أهل القرى من كل فج عميق (أو قال أوحى
إلي) هو مسيلة وغيره من الكنايين الذين ادعوا النبوة (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) هو النضر بن الحرث
لأنه طارض القرآن والفظ عام فيه وفي غيره من المستهينين (ولو ترى) جواب محذوف تقديره: لرأيت أمراً
عظيماً، والظالمون: من تقدم ذكره من اليهود والكنايين والمستهينين، فكون اللام للعهد، وأعم من ذلك
فكون للجنس (باسطوا أيديهم) أي يسط الملائكة أيديهم إلى الكفار يقولون لم أخرجوا أنفسكم، وهذه
عبارة عن التعسف في السياق والشدة في قبض الآرواح (اليوم تهجون) يحتمل أن يريد ذلك الوقت بعينه أو الوقت
المستعمل حينئذ إلى الأبد (الهون) الذلة (فرادى) منفرد من أموالكم وأولادكم أو عن شركائهم، والأول
يترجح لقوله تركتم ما خولناكم: أي ما أعطيناكم من الأموال والأولاد، ويترجح الثاني بقوله: وما نرى معكم
شفعاءكم (تقطع بينكم) تفرق شملكم ومن قرأه بالرفع أسند الفعل إلى الظرف واستعمل استعمال الأسماء،
ويكون البين بمعنى الفارقة، أو بمعنى الوصل، ومن قرأه بالنصب: فالفاعل مصدر الفعل، أو محذوف تقديره
تقطع الاتصال بينكم (قاتل الحب والنوى) أي يخلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها، ويفلق النوى
لخروج الشجر منها وقيل أراد الشقين الذين في النواة والحنطة، والأول أرجح لمعومه في أصناف
الحبوب (يخرج الحي) تقدم في آل عمران (ويخرج الميت من الحي) معطوف على قاتل (قاتل الإصباح) أي
الصبح فهو مصدر سمي بالصبح، ومعنى فلقه أخرجه من الظلمات، وقيل إن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح،
فالتقدير قاتل ظلمة الإصباح (سكنا) أي يسكن فيه عن الحركات ويسراح (حسباناً) أي يعلمهما حساب
الأزمان والليل والنهار (ذلك تقدير العزيز العليم) ما أحسن ذكر هذين الإسمين هنا لأن العزيز يغلب كل شيء

بِهَا فِي ظُلُمَاتٍ أَلْبَرَّ وَالْبَحْرَ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْعِدٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ • وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِوَارَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْمِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ • وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَعَمَّا يَصِفُونَ • بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ • ذَلِكَ لَكُمْ

ويقهره، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخرهما كيف شاء، والعليم لما في تقدير الشمس والقمر والليل والنهار من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة (في ظلمات البر والبحر) أي في ظلمات الليل في البر والبحر، وأضاف الظلة إليها للاستبها لها، أو شبه الطرق المقتببة بالظلمات (فمستودع ومستودع) من كسر الحاف من مستودع فهو اسم فاعل، ومستودع اسم مفعول، والتقدير فتكم مستودع ومستودع، ومن فتحها فهو اسم مكان أو مصدر، ومستودع مثله، والتقدير على هذا لكم مستودع ومستودع، والاستقرار في الرحم والاستيداع في الصلب، وقبل الاستقرار فوق الأرض والاستيداع تحتها (فأخرجنا) الضمير عائد على الماء (فأخرجنا) منه الضمير عائد على النبات (خضرا) أي أخضر غصنا، وهو يتولد من أصل النبات من الفراخ (نخرج منه) الضمير عائد على الخضرة (حبا متراكبا) يعني السنبيل لأن حبه بعضه على بعض، وكذلك الرمان وشبهه (قوان) جمع قنو، وهو المنقود من الثمر، وهو مرفوع بالابتداء وخبره من النخل، ومن طلعا بدل، والطلع أول ما يخرج من الثمر في أكامه (دانية) أي قرية سهلة التناول، وقيل قرية بعضها من بعض (وجنات من أعناب) بالنصب عطف على ذات كل شيء وقرئ في غير السبع بالرفع عطف على قنوان (مشتبا وغير مشتبا) نصب على الحال من الزيتون والرمان، أو من كل ما تقدم من النبات، والمشتبهو المشتبا بمعنى واحد أي من النبات ما يشبه بعضه بعضا في اللون والطعم والصورة، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضا، وفي ذلك دليل قاطع على الصانع المختار القدير العليم المريد (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) أي انظروا إلى ثمره أول ما يخرج ضعيفا لا منفعة فيه، ثم ينتقل من حال إلى حال حتى ينبع أي ينضج ويطيب (شركاء الجن) نصب الجن على أنه مفعول أول لجلسوا وشركاء مفعول ثان، وقدم لاستعظام الإشراف، أو شركاء مفعول أول، وافق في موضع المفعول الثاني والجن بدل من شركاء والمراد بهم هنا الملائكة، وذلك ردا على من عديم؛ وقيل المراد الجن، والإشراف بهم طاعتهم (وخلقهم) الواو للحال، والمعنى الرزق عليهم؛ أي جعلوا له شركاء، وهو خلقهم، والضمير عائد على الجن، أو على الجاعلين، والحجة قائمة على الوجهين (وخرقوا له بنين وبنات) أي اختلقوا وزوروا، والبنين قول النصراني في المسيح، واليهود في صري، والبنات قول العرب في الملائكة (ينير علم) أي قالوا ذلك بغير دليل ولا حجة بل مجرد افتراء (بديع) ذكر معناه في البقرة، ورغبه على أنه خبر ابتداء مضمر أو مبتدأ وخبره: أن يكون، وفاعل تعالى، والقصد به الرد على من نسب لله البنين والبنات، وذلك من وجهين: أحدهما أن

أَفَرَأَيْتُمْ لَآلِهَةِ الْإِلَهِ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ • لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يَدْرِكُ
الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ • قَدْ جَاءَكُمْ بَصَاطٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا
عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ • وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَآلِهَةِ الْإِلَهِ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ • وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ • وَلَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبِقُوا اللَّهَ عَدُوًّا بَئِيرًا كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ
أُمَّةٍ عَلَّمَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنْفِثُهُمْ فِيهِمْ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ • وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنُجِئَنَّكُمْ
لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبًا إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشِيرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ • وَقَلْبٌ أَقْدَتَهُمْ وَأَبْصَرُ

الولد لا يكون إلا من جنس والده ، والله تعالى متعال عن الاجناس ، لانه مبدعها ، فلا يصح أن يكون له ولد
والآخر أن الله خلق السموات والارض ومن كان هكذا فهو غي عن الولد وعن كل شيء (فاعبدوه) مسبب
عن مضمون الجملة أى من كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده (لاتدركه الابصار) يعنى في الدنيا وأما في
الآخرة ، فالحق أن المؤمنين يرون ربهم بديل قوله : إلى ربها ناظرة ، وقد جاءت في ذلك أحاديث صحيحة
صريحة ، لاتحمل التأويل ، وقالت الأشعرية إن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة عقلا ، لأن موسى
سأله من الله ، ولا يسأل موسى ما هو حال ، وقد اختلف الناس هل رأى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بهلية الإسراء أم لا (وهو يدرك الابصار) قال بعضهم الفرق بين الرؤية والإدراك أن الإدراك
يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى غايته ، فذلك نفي أن تدرك أبصار الحق ربهم ، ولا يقتضى ذلك نفي
الرؤية وحسن على هذا قوله وهو يدرك الابصار لإحاطة علمه تعالى بالخصايص (اللطيف الخبير) أى لطيف عن
أن تدركه الابصار وهو الخبير بكل شيء ، وهو يدرك الابصار (قد جاءكم بصائر) جمع بصيرة ، وهو
نور القلب ، والبصر نور العين ، وهذا الكلام على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وما أنا عليكم بحفيظ (ويقولوا)
متعلق بحظوف تقديره ليقولوا صرفا الآيات (درست) يأسكان السين وفتح الراء بمعنى قدمت هذه الآيات
ودبرت بالآلاف أى دارست العلم وتعلمت منه ، ودرست بفتح السين وإسكان الراء بمعنى قدمت هذه الآيات
ودبرت (ولنبيته) الضمير للآيات وجاء مذكرا لأن المراد بها القرآن (وأعرض عن المشركين) إن كان معناه
أعرض عما يدعونك إليه ، أو عن مجادلتهم فهو محكم ، وإن كان عن قتالهم وعقابهم فهو منسوخ وكذلك ما أنا
عليكم بحفيظ وبوكيل (ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله) أى لاتسبوا آلهتهم فيكون ذلك سببا لأن يسبوا
الله ، واستدل المالكية بهذا على سدة الذرائع (قل إنما الآيات عند الله) أى هي بيد الله لا يدي (وما يشرككم) أى
ما يدرككم ، وهو من الشعور بالشيء ، وما نافية أو استفهامية (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) من قرأ بفتح أنها
فهو معمول يشرككم : أى ما يدرككم أن الآيات إذا جاءت لا يؤمنون بها ، نحن نعلم ذلك وأتم لاتعلمونه
وقيل لازائدة ، والمعنى ما يشرككم أنهم يؤمنون ، وقيل أن هنا معنى لعل قرأ بالكسر فى استئناف إخبار
ونهم الكلام في قوله وما يشرككم أى ما يشرككم ما يكون منهم فعل القراءة بالكسر يوقف على ما يشرككم وأما على القراءة

كَأَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَدْرُكُمْ فِي طُنْفِهِمْ يَمُوهُونَ . وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُمْ الْمَلَكُوكَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ . وَلَتَصْنَعِيَ إِلَهِهُ أَفْعَدَّةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَقْرَعُنَّاهُمْ مَقَرُّوْنَ . أَفَنُفِرُّهُ اللَّهُ أَنْتَنِي حَكَاً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ . وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّعِيدُ الْعَلِيمُ . وَإِنْ تَطَلَّعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ . إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . فَكَلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ . وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ

بافتتح فإن كانت مصدرية لم يوقف عليه لأنه حامل فيها وإن كانت بمعنى لعل فأجاز بعض الناس الوقف ومنه شيخنا أبو جعفر بن الزبير ، لما في لعل من معنى التعليل (وقلب أقتنهم وأبصارهم) أى طبع عليها ونصدها عن الفهم فلا يفهمون (كما لم يؤمنوا) الكاف لتعليل أى طبع على أقتنهم وأبصارهم عقوبة لم على أنهم لا يؤمنون بأول مرة ، ويحتمل أن تكون لتفسيه أى طبع عليها إذا رأوا الآيات مثل طينها عليها أول مرة (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) الآية : رد عليهم في قسمهم أنهم لو جاهدتهم آية ليؤمنون بما أى لو أطينناهم هذه الآيات التي اقترحوها وكل آية لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله (قبل) بكسر القاف وفتح الياء أى مابينة فصبه على الحال ، وقرئ يضمنين ، ومعناه مواجهة : كقوله : فمن قبل ، وقيل هو جمع قيل بمعنى كفيل ، أى كفلا تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) الآية : قسيلة قتي صلى الله عليه وسلم بالتأني لغيره (شياطين الإنس والجن) أى المتمردين من الصنفين ، ونصب شياطين على البدل من عدوا ، إذ هو بمعنى الجمع أو مفعول أول ، وعدوا مفعول ثان (يوحى بعضهم إلى بعض) أى يوسوس ويلقى الشر (زخرف القول غرورا) ما يزيته من القول (ولو شاء ربك ما فعلوه) الضمير طائفة على وجيهم ، أو على عداوة الكفار (فذرهم) وعيد (وما يفترون) مافى موضع نصب على أنها مفعول منه أو عطف على الضمير (ولتصنعى) أى تبيل وهو متعلق بحذوف واللام الصبرورة (إليه) الضمير لوجيهم (وليقرعوا) يكتبوا (أفنيراه) معمول قول عنوف أى قل لهم (وتمت كلمت ربك) أى محنت والكلمات ما نزل على عباده من كتبه (صدقا وعدلا) أى صدقا فيما أخبر وعدلا فيما حكم (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) القصد بهذا الأمر إباحة ما ذكر اسم الله عليه ، والنهى عما ذم للنصب وغيرها ، وعن الميتة وهذا النهى يقتضيه دليل الخطاب من الأمر ، ثم صرح به في قوله لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه : وقد استدلل بذلك من أوجب التسمية على الذبيحة وإنما جاء الكلام في سياق تحريم الميتة وغيرها ،

كثيراً ليصلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين • وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون • ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن اطمعنوكم إنكم لمشركون • أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلناه نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون • وكذلك جعلنا في كل قرية أكبر جرماً ليمسكروا فيها ويمسكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون • وإذا جاءتهم آية قلوا لن تؤمن حتى تؤق مثل ما أوتي رسل الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون • فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس

فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليل على وجوب التسمية في ذبائح المسلمين ، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك ، وقال طه : وهذه الآية أمر بذكر الله على الذبائح والاكل والشرب (ومالكم ألا تأكلوا) المعنى أى غرض لكم في ترك الأكل ، وما ذكر اسم الله عليه ، وقد بين لكم الحلال من الحرام (إلا ما اضطررتم اليه) استثناء بما حرم (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) لفظ يعم أنواع الماضي : لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر ؛ وقيل الظاهر الإعمال والباطن الاعتقاد (وإن تفسق) الضمير لمصدر لاتأكلوا (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) سبب أن قومنا الكفار قالوا إنا نأكل ما كنا نأكله ، ولأننا نأكل ما قلنا الله يتنزل الميتة (أو من كان ميتاً فأحييناه) الموت هنا عبارة عن الكفر ، والأحياء عبارة عن الإيمان ، والنور : نور الإيمان ، ونزلت الآية في حماد بن ياسر ، وقيل في حمزة الخطاب وفي قوله ميتاً فأحييناه مطابقة وهي من أدوات اليان ، ونزلت الآية في حماد بن ياسر ، وقيل في حمزة الخطاب والذي في الظلمات أبو جهل ، ونظها أهم من ذلك (كن مثله) مثل هنا بمعنى صفة ، وقيل زائدة ، والمعنى كن هو (وكذلك جعلنا في كل قرية أكبر جرماً ليمسكروا فيها وجعلنا في كل قرية ، وإنما ذكر الأكبر ، لأن غيرهم تبع لهم ؛ والمقصود تلبية النبي صلى الله عليه وسلم (عبرمياً) إعرابه مضاف إليه عند الفارسى وغيره ؛ وقال ابن عطية وغيره : إنه مفعول أول جعلنا وأكبر مفعول ثان مقدم ؛ وهذا جيد في المعنى ضئيف في العرية ، لأن أكبر جمع أكبر وهو من أفضل فلا يستعمل إلا بالجمع أو بالاضافة (وقالوا لن تؤمن) الآية : قاتل هذه المقالة أبو جهل ، وقيل الوليد بن المغيرة ، لأنه قال أنا أولى بالنبوة من محمد (الله أعلم حيث يجعل رسالته) رد عليهم فيها طلبوه ، والمعنى أن الله علم أن محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم أهل الرسالة ، خصه بها وعلم أنهم ليسوا بأهل لها فخرهم بإيها ، وفي الآية من أدوات اليان التريد لكونه ختم كلامهم باسم الله ثم رده في أول كلامه (صغار) أى ذلة (يشرح صدره للإسلام) شرح الصدور ضيقه وحرجه : ألفاظ مستتارة ومن قرأ حرجاً بفتح الراء فهو مصدر وصف به (كأنما يصعد في السماء) كأنما يصعد يحاول الصعود إلى السماء ، وذلك غير ممكن ، فكذلك يصعب عليه الإيمان وأصل يصعد المشدد يصعد ، وقرئ بالتخفيف

عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ • وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ • لَمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْشُرُ الْجِنُّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمِعْ بِغَضَائِنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ فَخَلَّيْنِ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ • وَكَذَلِكَ نَوَلَّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • يَمْشُرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ • ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ • وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلًا وَمَا رَبُّكَ بِتَنَفِّلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ • وَرَبُّكَ الْغَفُورُ

(دار السلام) الجنة ، والسلام هنا محتمل أن يكون اسم الله ، فأضافها إليه ؛ لأنها ملكه وخلقه ، أو بمعنى السلامة والنجاة (ويوم يحشرهم) العامل في يوم يحذوف تقديره اذكر ، وتقديره قلنا ، ويكون على هذا طائفة في يوم وفي (يامعشر الجن قد استكبرتم من الإنس) أى أضلتم منهم كثيرا ، وجمعتموهم أبناكم كما تقول استكبر الامير من الجيش (استمع بعضنا بعضا) استمع الجن بالإنس : طاعتهم لم واستمع الإنس بالجن كقوله . وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فإن الرجل كان إذا نزل وأدبا قال أهوذ صاحب هذا الوادي يعنى كبير الجن (ولبئنا أجلتنا) هو الموت وقيل الحشر (إلا ما شاء الله) قيل الاستثناء من الكاف والميم في متواتر لما معنى من ، لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس والمستثنى على هذا من آمن منهم ، وقيل الاستثناء من مدة الخلود وهو الزمان الذى بين حشرهم إلى دخول النار ، وقيل الاستثناء من النار ، وهو دخولهم الزمهرير ، وقيل ليس المراد هنا بالاستثناء الإخراج ، وإنما هو على وجه الأدب مع الله ، وإسناد الأمور إليه (نولى بعض الظالمين بعضا) أى جعل بعضهم وليا لبعض ، وقيل يتبع بعضهم بعضا في دخول النار ، وقيل نسط بعضهم على بعض (ألم يأتكم رسل) تقرير للجن والإنس ، فقيل إن الجن بعث فيهم رسل منهم لظاهر الآية ، وقيل إنما الرسل من الإنس خاصة ، وإنما قال رسل منكم لأنه جمع التثنية في الخطاب (وشهدوا على أنفسهم) لا تنافي بينه وبين قولهم ما كنا مشركين ، لما تقدم هناك فلان قيل : لم تكرر شهادتهم على أنفسهم ؟ فالجواب أن قولهم شهدنا على أنفسنا قول قائلهم ، وقوله شهدوا على أنفسهم ذلكهم وتقيح الحالم (ذلك) خبر ابتداء مضمر تقديره الأمر ذلك أو مفعول لفعل مضمر تقديره فعلنا ذلك ، والإشارة إلى بعث الرسل (أن لم يكن) تعليل لبعث الرسل ، وهو في موضع مفعول من أجله ، أو بدل من ذلك (بظلم) فيه وجهان : أحدهما أن الله لم يكن لملك القرى دون بعث الرسل إليهم ، فيكون إهلاكهم ظلما إذ لم ينذروهم ، فهو كقوله : وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا ، والآخر أن الله لا يملك القرى بظلمهم إذا ظلموا ، دون أن ينذروهم ، فباعتل الظلم على هذا أهل القرى وغفلتهم عدم إنذارهم ، حكى الوجهين ابن عطية والزعمشري والوجه الأول صحيح على مذهب المعتزلة ، ولا يصح على مذهب أهل السنة ، لأن الله لو أهلك عباده بغير

فُو الرِّحَّةَ إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبْكُمْ وَيَسْتَخْفِ بِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَفْسَاكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ زَيْنَ ۚ وَآخَرِينَ ۚ إِنْ مَاتُوا عَوْنٌ لَا تِلْكَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۚ قُلْ يَقُومُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِلَىٰ عَامِلٍ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۚ وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا قَدْ كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُؤُهُمْ لِيُؤْتُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا ضَلُّوا قُدْرَهُمْ وَمَا يَفْقَهُونَ ۚ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حَبْرٌ لَا يُلْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَفْسًا بِرِغْمِهِمْ وَأَنْتُمْ حُرِّمْتُمْ ظُهُورُهَا وَأَنْتُمْ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا اقْرَأءَ عَلَيْهِ سَجَرِهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ۚ وَقَالُوا مَا فِي

ذنب : لم يكن ظلما عنهم (ولكل درجات) منازل في الجواز على أعمالهم من الثواب والعقاب (من ذرية قوم) أى من ذرية أهل سفينة نوح أو من كان قبلهم إلى آدم (اعملوا على مكاتبتكم) الأمر هنا للتهديد ، والمكاتبة التمكن (فسوف تعلمون) تهديد (من تكونه) يحتمل أن تكون من موصوفة في موضع نصب على المفعولة أو استفهامية في موضع رفع بالابتداء (عاقبة الدار) أى الآخرة أو الدنيا ، والأول أرجح لقوله : عقبى الدار جنات عدن (وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) الضمير في جعلوا لكفار العرب قال السبيل هم حتى من خولان ، يقال لم الأديم كانوا يعملون من زروعهم ونماهم ومن أنعامهم نصيبا لله ونصيبا لأنفسهم ومعنى ذرأ خلق وأفشا ، ففى ذلك رد عليهم ، لأن الله الذى خلقها وذرأها : هو مالكها لأرب فيه (برغمهم) أى بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع وأكثر ما يقال الزعم فى الكذب ، وقرئ بفتح الزاى وضمتها وهما التنازع (فكان لشركائهم فلا يصل إلى الله) الآية كانوا إذا ذهب الربح خلعت شيئا من الذى لله إلى الذى للأصنام أفروا ، وإن حملت شيئا من الذى للأصنام إلى الذى لله ردوه وإذا أصابهم سنة أكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) كانوا يقتلون أولادهم بالآوىذبصونهم قربانا إلى الأصنام وشركاؤهم هنام الشياطين ، أو القائلون على الأصنام وقرأ الجمهور بفتح الزاى من زين على البناء لفاعل ، ونصب قتل على أنه مفعول وخفض أولادهم بالإضافة ورفع شركاؤهم على أنه فاعل بزین ، والشركاء على هذه القراءة هم الذين زينوا القتل ، وقرأ ابن عباس بضم الزاى على البناء للمفعول ، ورفع قتل على أنه مفعول لميسم فاعله ، ونصب أولادهم على أنه مفعول بقتل ، وخفض شركائهم على الإضافة إلى قتل إضافة المصدر إلى فاعله ، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله : أولادهم ، وذلك ضئيف فى العربية وقد سمع فى الشعر ، والشركاء على هذه القراءة هم القائلون للأولاد (ليردوهم) أى ليلكؤهم وهو من الردى بمعنى الهلاك (وقالوا هذه أنعام وحرت حجر) أى حرام ، وهو فعل بمعنى مفعول ، نحو ذبح ، فيستوى فيه الذكر والمؤنث والواحد والجمع (لا يلعبها إلا من نشاء) أى لا يأكلها إلا من شاءوا وهم القائلون على الأصنام ، والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) أى لا تتركب ، وهى السائبة وأخواتها (وأنعام

يُطْلُونَ هَذِهِ الْأَنْعَامَ خَالِصَةً لِّذُكُورِنَا وَمَحْرَمٍ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْتَهُ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ • قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فَقَرَأَهُمْ اللَّهُ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ • وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ • وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلًّا بِمَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ • ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَلَا ذَكَّرْتُمْ حَرَّمَ أَمِ الْإِثْنَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِثْنَيْنِ نَبُؤُنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَلَا ذَكَّرْتُمْ حَرَّمَ أَمْ الْإِثْنَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِثْنَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ • قُلْ لَا أُجِدُ فِي

لا يذكرون اسم الله عليها) قيل معناه لا يبيع عليها فلا يذكروا اسم الله بالتلبية، وقيل لا يذكروا اسم الله عليها إذا ذبحت (أقرأه عليه) كانوا قد قسموا أثمانهم على هذه الأقسام ونسبوا ذلك إلى الله أقرأه وكذا بنصب على الحال أو مفعول من أجله، أو مصدر مؤكد (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة الآية: كانوا يقولون في أجنة البحيرة والسائبة أو لنعمنها حيافهم للرجال خاصة ولا يأكل منها النساء، وما ولعننا ما اشتراك فيه الرجال والنساء وأنث خالصة للحمل على المعنى وهي الأجنة وذكر حرمة حملها على لفظ ما يجوز أن تكون الثأل للبالغ (وحرموا ما رزقهم الله) أي البحيرة والسائبة وشبهها (جئات معروشات) مرفوعات على دعاها وشبهها (وغير معروشات) متروكات على وجه الأرض، وقيل المعروشات ما غرسه الناس في العمران وغير معروشات: ما أنبت الله في الجبال والبراري (مختلفا أكله) في اللون والطعم والرائحة والحجم، وذلك دليل على أن الخالق مختار مريد (وآتوا حقه يوم حصاده) قيل حقه هنا الزكاة وهو ضعيف لوجهين: أحدهما أن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة، والآخر أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد، وإنما تعطى يوم ضم الحبوب والثمار، وقيل حقه ما يصدق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجبا ثم نسخ بالعرش، وقيل هو ما يسقط من السبل، والأمر على هذا للتدب (حمولة وفرشا) عطف على جنات، والحمولة الكبار، والفرش الصغار: كالعجايل والفصائل وقيل الحمولة الإبل لأنها يحمل عليها، والفرش الغنم لأنها تفرش للذبح ويفرش ما ينسج من صوفها (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا، وسماها أزواجا، لأن الذكر زوج للإناث والأناث زوج للذكور (من الضأن اثنين) يريد الذكر والأنثى، وكذلك فيما بعده (قل ألا ذكركم) يعني الذكر من الضأن والذكر من المعز، ويعني بالإثنين الأنثى من الضأن، والأنثى من المعز، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقرة والهمزة للإنكار (نبؤني بعلم) تعجيز وتوبيخ (أقرأى على الله كذبا) يعني في تحريم ما لم يحرم الله، وذلك إشارة إلى العرب في

مَا أُوحِيَ إِلَىٰ عَزْرَمَّا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَيْرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ
فَسَقًا أَهْلَ لَيْعٍ لَّعِنَ اللَّهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَطْرُقَ بَاغٌ وَلَا عَادَ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي
ظَفَرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ فَهُمُومًا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ
جَزَيْنَهُمْ يَنْفِيهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ
الْمُجْرِمِينَ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَتَبَ

تحريمهم أشياء كالبحيرة وغيرها (قل لا أجد) الآية تقتضي حصر المحرمات فيما ذكر ، وقد جاء في السنة تحريم
أشياء لم تذكر هنا كلهم الخرف ذهب قوم إلى أن السنة نسخت هذا الحصر ، وذهب آخرون إلى أن الآية وردت
على سبب فلا تقتضي الحصر ، وذهب آخرون إلى أن ما عدا ما ذكر إنما نهى عنه على وجه الكراهة لا على
وجه التحريم (أو فسقا) معطوف على المنصوبات قبله ، وهو ما أهل به لعن الله سماء فسقا لثقله في الفسق ،
وقد تقدم الكلام على هذه المحرمات في البقرة (كل ذي ظفر) هو ماله أصبح من دابة وطائر قاله الزمخشري
وقال ابن عطية : يراد به الإبل والأوز والنعام ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الأصابع أوله ظفر
وقال الماوردي مثله ، وحكي النقاش عن ثعلب أن كل مالا يصيد فهو ذو ظفر وما يصيد فهو ذو غلب ،
وهذا غير مطرد ، لأن الأسد ذو ظفر (الإلا ما حملت ظهورهما) يعني ما في الظهور والجنب من اللحم (والحوايا)
هي المبايع ، وقيل المصارين والحصى ونحوهما مما يتحوى في البطن وواحد حوايا حوية على وزن فعلية فوزن
حوايا على هذا فاضائل كصيفة ومهافف ، وقيل واحدا حواية على وزن قاعة لحوايا على هذا فواصل : كضاربة
وضوارب ، وهو معطوف على ما في قوله : إلا ما حملت ظهورهما ، فهو من المستثنى من التحريم ، وقيل عطف
على الظهور ، فالمعنى إلا ما حملت الظهور ، أو حملت الحوايا ، وقيل عطف على الشحوم ، فهو من المحرم
(أو ما اختلط بعظم) يريد ما في جميع الجسد (وإننا لصادقون) أي فيما أخبرنا به من التحريم ، وفي ذلك ترميض
بكذب من حرم ما لم يحرم الله (فإن كذبوك قتل ربكم ذو رحمة واسعة) أي إن كذبوك فيما أخبرت به من
التحريم قتل ربكم ذو رحمة واسعة إذ لا يماثلكم بالقوبة على شدة جرمكم ، وهذا كما تقول عند رؤية
معصية ما أعلم الله : تريد لإحماله عن مثل ذلك ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله (ولا يرد بأسه عن القوم
المجرمين) أي لا تقفوا بسمة رحمة ، فإنه لا يرد بأسه عن مثلكم إما في الدنيا أو في الآخرة (سيقول الذين
أشركوا لو شاء الله ما أشركنا) الآية : معناها أنهم يقولون إن شركهم وتحريمهم لما حرموا كان بمشيئة الله
ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه ، فاحتجوا على ذلك بإرادة الله له ، وتلك نزعة جبرية ، ولا حاجة لهم
في ذلك ، لأنهم مكلفون بأمرهم ولا يشركوا بالله ، ولا يخلطوا ما حرم الله ولا يحرموا ما أحل الله ، والإرادة
خلاف التشكيك ، ويحتمل عندي أن يكون قولهم لو شاء الله قولنا يقولونه في الآخرة على وجه التقى أن
ذلك لم يكن كقولك إذا ندمت على شيء لو شاء الله ما كان هذا أي يمتنى أن ذلك لم يكن ، ويؤيد هذا أنه
حكى قولهم بأداة الاستقبال ، وهي السين ، فذلك دليل على أنهم يقولونه في المستقبل وهي الآخرة (قل هل

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ • قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمِينَ • قُلْ هَلْ شَهِدَ • كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَصِيدُونَ • قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا

عندكم من علم) توقيف لم وتجيز (قل لله الحجة البالغة) لما بطل حججهم أثبت حجة الله يظهر الحق ويطل الباطل (هلم) قيل هي بمعنى هات فهي متدية ، وقيل بمعنى أقبل فهي غير متدية ، وهي عند بعض العرب فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث وعند بعضهم اسم فعل فيخاطب بها الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حد سواء ، ومقصود الآية تحريم من إقامة الشهداء (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) أي إن كذبوا في شهادتهم ووردوا فلا تشهد بمثل شهادتهم (قل تعالوا أتْل ما حرم ربكم عليكم) أمر الله نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله عليهم وذكر في هذه الآيات المحرمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تنسخ قط فحقة ، وقال ابن عباس : هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى (اللاتشركوا به شيئا) قيل أن هنا حرف عبارة وتفسير فلا موضع لها من الإعراب ولا نافية جزمت الفعل ، وقيل أن مصدرية في موضع رفع تقديره : الأمر باللاتشركوا ، فلا على هذا نافية ، وقيل أن في موضع نصب بدلا من قوله ما حرم ، ولا يصح ذلك إلا إن كانت لا زائدة وإن لم تكن زائدة فسد المعنى لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراك ، والاحسن عندى أن تكون أن مصدرية في موضع نصب على البدل ولا نافية ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى ، لأن قوله ما حرم ربكم : معناه ما وصاكم به ربكم بدليل قوله في آخر الآية : ذلكم وصاكم به لفضن التحريم معنى الوصية ، والوصية في المعنى أهم من التحريم لأن الوصية تكون بتحريم وتحليل ، وبوجوب وندب ، ولا ينكر أن يريد بالتحريم الوصية لأن العرب قد تدل كرا لفظ الخاص وتريد به المعموم ، كما تدل كرا لفظ العام وتريد به الخصوص ، إذ تقرر هذا ، فتقدير الكلام : قل تعالوا أتْل ما وصاكم به ربكم ، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان ، فقال أن لاتشركوا به شيئا أى وصاكم باللاتشركوا به شيئا ووصاكم بالإحسان بالوالدين ووصاكم أن لا تهتوا أولادكم لجمعت الوصية ترك الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك ويريد هذا التأويل الذي تأولنا : أن الآيات اشتملت على أوامر : كالإحسان بالوالدين وقول العمد والوفاء في الوزن ، وعلى نواهي : كالإشراك وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، فلا بد أن يكون اللفظ المتقدم في أولها لفظا يجمع الأوامر والنواهي ، لأنها أجمعت فيه ، ثم فسرت بعد ذلك ، ويصلح لذلك لفظ الوصية لأنه جامع للأمر والنهي ، فذلك جعلنا التحريم بمعنى الوصية وبدل على ذلك ذكر كرا لفظ الوصية بعد ذلك ، وإن لم يتأول على ما ذكرناه : لزوم في الآية إشكال ، وهو عطف الأوامر على النواهي ، وعطف النواهي على الأوامر ، فإن الأوامر طلب فعلها ، والنواهي طلب تركها ، وواو العطف تقتضي الجمع بين المطلوب والمطوف عليه ، ولا يصح ذلك إلا على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك ، وتحتمل الآية عندى تأويلا آخر ، وهو أن يكون لفظ التحريم على ظاهره ، ويتم فعل المحرمات وترك

أَوْلَدَكُمْ مِنْ أَمْتِكُمْ مِنْ نَزْوِجِكُمْ وَلِأُمَّهَاتِكُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ • وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَقًّا يَبْلُغُ أَشَدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْثِفُوا نِصْفًا وَلَا أُوسَعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ • وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ • ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا

الواجبات لأن ترك الواجبات حرام (ولا تقتلوا أولادكم من إملق) الإملق الفاقة ، ومن هنا للتعليل تقديره من أجل إملق ، وإنما هي من قتل الأولاد لأجل الفاقة ، لأن العرب كانوا يفعلون ذلك فخرج مخرج الغالب فلا يفهم منه إباحة قتلهم بغير ذلك الوجه (ما ظهر منها ما بطن) قيل ما ظهر : الزنا ، وما بطن : اتخاذ الأخدان والصحيح أن ذلك عموم في جميع القواحش (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) فسرهُ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : زنى بعد إحصان ، أو كفر بعد إيمان ، أو قتل نفس بغير نفس (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) التي عن القرب يعم وجوه التصرف ، وفيه سد الذريعة ، لأنه إذا نهى عن أن يقرب المال ، فالنهي عن أكله أولى وأحرى ، والتي هي أحسن منفعة اليتيم وتيسير ماله (حتى يبلغ أشده) هو البلوغ مع الرشد ، وليس المقصود هنا السن وحده ، وإنما المقصود ممرته بمصالحه (لا تكلف نفسا إلا وسعها) لما أمر بالقسط في الكيل والوزن ، وقد علم أن القسط الذي لازيادة فيه ولا نقصان مما يجرى فيه الحرج ولا يتحقق الوصول إليه أمر بما في الوسع من ذلك وحفاها سواء (ولو كان ذا قربى) أى ولو كان القول له أو طبعه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القتال ، فلا ينبغي أن يزيد ولا ينقص بل يعدل (وأن هذا صراطى مستقيما) الإشارة بهذا إلى ما تقدم من الوصايا الأولى جميع الشريعة ، وأن يفتح العمدة والتشديد عطف على ما تقدم أو مفعول من أجله : أى فاتبعوه لأن هذا صراطى مستقيما ، وقرئ بالكسر على الاستكشاف ، وبالفتح والتخفيف على العطف ، وهى على هذا عطفة من التتبع (ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان الباطلة ، ويدخل فيه أيضا البدع والأهواء المضلة ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خط خطا ، ثم قال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال هذه كلها سبل على كل سبيل منها شيطان يدهو إليه (فتفرق بكم عن سبيله) أى تفرقكم عن سبيل الله والفعل مستقبل حذف منه تاء المضارعة ولذلك شدده البرى (ثم آتينا) معطوف على وصاكم به ، فإن قيل : فإن إتياء موسى الكتاب متقدم على هذه الوصية فكيف عطفه عليها ثم ، فالجواب أن هذه الوصية قديمة لكل أمة على لسان نبيها ، فصح الترتيب ، وقيل إنها هنا لترتيب الاخبار والقول ، لا لترتيب الزمان (تماما على الذي أحسن) فيه ثلاث تأويلات : أحدها أن المعنى تَمَامًا للنعمة على الذي أحسن من قوم موسى ففاعل أحسن ضمير يعود على الذي ، والثانى أحسن يراد به جنس المحسنين ، والآخر : أن المعنى تَمَامًا أى فضلا ، أو جزاء على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه

لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّهَلُمَّ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكَ كِتَابٌ مِنْ رَبِّكَ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَاحِرٌ الَّذِي يَصْدُقُونَ عَنْ «إِبْرَاهِيمَ سَوْءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدُقُونَ» . هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ قَوْمًا إِذَا عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَا يَنْفَعُ قَوْمًا لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَكُونُوا فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَرْجُوا قَوْلِي أَنْتُمْ تَرْجُونَ . إِنْ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِعْمَالٌ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَذَّبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُنْظَرُونَ . قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبِيلاً لِرَبِّهِمْ خَفِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي

وتبليغ رسالته ، فالفاعل على هذا خير موسى عليه السلام والذي صفة لعمل موسى ، والثالث تماما أي إكمالاً على ما أحسن الله به إلى عباده ، فالعامل على هذا خير الله تعالى (أن تقولوا) في موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقولوا (على طائفتين) أهل التوراة والإنجيل (وإن كنا عن دراستهم لغافلين) أي لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف ما درسوا من الكتب فلا حجة علينا ، وأن هنا تخفيف من التثنية (فقد جاءكم بينة) إقامة حجة عليهم (صدق) أي أعرض (هل ينظرون) الآية : قد ضلت نظيرتها في البقرة (بعض آيات ربك) أشراط الساعة كطول الشمس من مغربها ، لحيتن لا يقبل إيمان كافر ولا توبة عاص ، فقله لا ينفذ قسماً إيمانها يعني أن إيمان الكافر لا ينفعه حيثن قوله (أو كسبت) في إيمانها خيراً) يعني أن من كان مؤمناً ولم يكسب حسنات قبل ظهور ذلك الآيات ، ثم تاب إذا ظهرت : لم ينفعه لأن باب التوبة ينفذ حيثن (قل انتظروا) وعيد (إن الذين فرقوا دينهم) هم اليهود والنصارى ، وقيل أهل الأوثان والبدع ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل يا رسول الله ومن تلك الواحدة ؟ قال من كان على ما أنا وأصحابي عليه ، وقرئ فارقوا أي تركوا (وكانوا شيعاً) جمع شيعه أي متفرقين كل فرقة تشيع لزعيمها (لست منهم في شيء) أي أنت بريء منهم (عشر أمثالها) فضل عظيم على العموم في الحسنات ، وفي العالمين ، وهو أقل التضعيف للحسنات فقد تنهى إلى سبعائة وأزيد (دينا قبيلاً) بدل من موضع إلى صراط مستقيم ، لأن أصله هداى صراطاً بديل هداى الصراط ، والقيم فعل من القيام وهو أبلغ من قائم وقرئ قبيلاً بغير القاف وتخفيف الياء وقبحها ، وهو على هذا مصدر وصف به (ملة إبراهيم) بدل من دينا ، أو صلف يان (ونسكى) أي عبادتي ، وقيل ذبحي للهاثم ، وقيل حبى ، والأول أهم وأرجح

قَالَ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ لَا تَشْرِكُ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ • قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ ابْنِي رِبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَتَّكِبْ كُلَّ نَفْسٍ إِلَّا طَعْنًا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ • وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ •

سورة الأعراف

مكية إلا من آية ١٦٣ إلى غاية آية ١٧٠ فندية: وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد ص-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • الْمَص • كَتَبْنَا نُزْلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرًا لِلَّذِينَ آمَنُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ •

(وعجباي وعماي) أي أعالي في حين حياتي وعند موتي (ق) أي خالصا لوجهه وطلب رضاه، ثم أكد ذلك بقوله لا شريك له: أي لا أريد بأعالي غير الله فيكون ضيا للشرك الأصغر وهو الرياء ويحتمل أن يريد لا أعبد غير الله فيكون ضيا للشرك الأكبر (وبذلك أمرت) إشارة إلى الإخلاص الذي تقتضيه الآية قبل ذلك (وأما أول المسلمين) لأنه صلى الله عليه وسلم سابق أمته (قل أغير الله ابني ريبا) تقرير وتوبيخ للكفار، وسببا أنهم دعوه إلى عبادة آلهم (وهو رب كل شيء) برهان على التوحيد ونفي الربوبية عن غير الله (ولا تتكسب كل نفس إلا طعنا) رد على الكفار لأنهم قالوا له أعبدا لآلهتنا نحن تتكفل لك بكل تباعة توفعها في دينك وأغراك، فقلت هذه الآية: أي ليس كما قلتم، وإنما كسب كل نفس طعنا خاصة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا يعمل أحد ذنوب أحد، وأصل الوزر الثقل، ثم استعمل في الذنوب (خلافت) جمع خليفة: أي يخلف بعضهم بعضا في السكنى في الأرض أو خلافت من الله في أرضه، والمخطاب على هذا لجميع الناس، وقيل لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة (ورفع بعضهم) عوم في المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد (ليلوكم فيما آتاكم) ليختبر شكركم على ما أعطاكم، وأعالمكم فيما مكنكم فيه (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) جمع بين التخويف والترجية، وسرعة عقابه تعالى: إما في الدنيا بمن يجل أخذه، أو في الآخرة لأن كل آت قريب، ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضلته ورحمته

(سورة الأعراف)

(المص) تكلمنا على حروف المعجمة في البقرة (خرج منه) أي ضيق من تبليغه مع تكذيب قومك، وقيل المخرج هنا الشك، فتأويله كقوله فلا تكن من الممترين (لتنذر) متعلق بأنزل (وذكري) منصوب على المصدرية بفعل مضمر تقديره لتنذروا كذا ذكرى، لأن الذكر بمعنى التذكير، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر، أو محذوف صلفا على موضع لتنذراي للإيذاؤ والذكرى (قليلًا مآذ كرون) اتصّب قليلا بتذكرون أي تذكرون تذكرا

وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا بِمَا بِأَسَاسُهَا يَبْكُ أَوْمْ قَاتُلُونَ. قَا كَانَ دَعْوَتُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسَاسُهَا إِلَّا أَنْ
قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ • فَلَنَسَلْنِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسَلْنِ الْمُرْسَلِينَ • فَلَنَقْصُصْ عَلَيْهِمْ بَعْلَهُمْ وَمَا كُنَّا
غَافِلِينَ • وَالْوَزْنَ الْمَوْزُونَ قَدْ هَلَكُوا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ • وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ • وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ • وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ
يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ • قَالَ مِمَّنْ لَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ •
قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا قَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ • قَالَ أَطَّرَقَ إِلَيَّ يَوْمَ يُبْعَثُونَ •
قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ • قَالَ قِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْسِدَنَّ لَهُمْ سِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ • ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

قليلًا وما زائدة للتوكيد (أهلكناها بما أساسها) قيل إنه من المقلوب تقديره : جامعا بأسنا فأهلكناها ، وقيل
المعنى : أردنا إهلاكها فجعلها بأسنا لأن عبيء البأس قبل الإهلاك فلا يصح عطفه عليه بالفاء ويحتمل أن جعلها
بأسنا استئنافا على وجه التفسير للإهلاك ، فلا يحتاج إلى تكلف ، والمراد أهلكنا أهلها لجأهم ، ثم حذف المضاف
بدليل أو هم قاتلون (يا أيها قاتلون) بيانا مصدر في موضع الحال بمعنى بائتين أي بالليل ، وقاتلون
من القاتلة : أي بالنهيار ، وقد أصاب المذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل ، وبعضهم بالنهيار ، وأو هنا
للتنوع (دعواهم) أي ما كان دعواهم واستغاثتهم إلا للاضراف بأنهم ظالمون ، وقيل المعنى أن دعواهم هنا
ما كانوا يدعونه من دينهم ، فاعترفوا لما جاءهم المذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك (أرسل إليهم) استند الفعل
إلى الجار والمجرور ، ومعنى الآية : أن الله يسأل الأمم عما أجاوبوا به رسلكم ، ويسأل الرسل عما أجاوبوا
به (فلنقص عليهم) أي على الرسل والأمم (والوزن) يعني وزن الأعمال (يومئذ) أي يوم يسئل الرسل
وأعماهم وهو يوم القيامة (بآياتنا يظلمون) أي يكذبون بما نزلنا (خلقناكم ثم صورناكم) قيل المعنى أردنا خلقكم
وتصويركم (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل خلقنا آباكم آدم ثم صورناه ، وإنما احتيج إلى التأويل
ليصح العطف (الاستسجد) لازمة للتوكيد (إذ أمرتك) استدلل به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضي
الوجوب والقور ، ولذلك وقع "مقاب على ترك المبادرة بالسجود (قال أنا خير منه) تعليل على به إبليس
امتناعه من السجود ، وهو يقتضي الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للفضول على زعمه ،
وهذا الاعتراض كفر إبليس إذ ليس كفره كفر جحود (فاهبط منها) أي من السماء (قال فيها أغويته)
الفاء للتعليل وهي تتماق في حمل قسم بخلاف تقديره أقسم بالله بسبب إغرائك لي لأغويني آدم ، ومصدرية ،
وقيل استفهامية ويظهر ثبوت الآلف في مامع حرف الجر (صراطك) يريد طريق الهدى والخير وهو
منصوب على الظرفية (ثم لا يتبعهم من بين أيديهم) الآية : أي من الجهات الأربع ، وذلك عبارة عن تسليطه
على بني آدم كيفما أمكنه ، وقال ابن عباس من بين أيديهم الدنيا ، ومن خلفهم الآخرة ، وعن إيمانهم

وَمَنْ خَلَقَهُمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ • قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْهُوْرًا
لَمْ يَمَكَّ مِنْهُمْ لَا مَلَأْنَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ • وَيَتَذَكَّرُ أَنَّ زَوْجَكَ الْجَنَّةَ فَكَلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ
وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْفَاطِلِينَ • فَرَسَوْسَ لَهَا الشَّيْطَانُ لِيَدِي لَهَا مَاوُورَى عَنْهَا مِنْ
سَوَاءِهَا وَقَالَ مَا نَهَىكَ رَبُّكَ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ • وَقَامَتُهُمَا
إِلَى لَكَا لَمَنِ النَّصِيحِينَ • فَذَلَّهُمَا بَرْوَرٌ فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهَا سَوَاءُهَا وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ
وَرَقِ الْجَنَّةِ وَتَذَلَّهُمَا رَيْهَمَا أَلَمْ أَتَيْتُكَ عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ • قَالَ
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ • قَالَ أَهْبِطَا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ
فِي الْأَرْضِ مُسْتَعَرَضٌ إِلَى حِينٍ • قَالَ فِيهَا يَحْيَوْنَ وَفِيهَا يَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ • بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا
طَبَقَكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتَكُمْ وَرِيشًا وَتَقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنَ الْبَاطِلِ اللَّهُ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ •

الحسنات ، وعن شمائلهم السيئات (مذموما) من ذامه بالهمز إذا ذمه (مدحورا) أي مطرودا حيث وقع
(فرسوس) إذا تكلم كلاما خفيا يكرهه ، فعنى ورسوس لها : ألقى لهما هذا الكلام (ليدي لهما ماووري
عنها من سواتهما) أي ليظهر ماستر من عوراتهما واللام في قوله ليدي للتليل إن كان في انكشافهما
غرض لإبليس ، أو للصيرورة إن وقع ذلك بغير قصد منه إليه (الشجرة) ذكرت في البقرة (إلا أن تكونا
ملكين) أي كرامة أن تكونا ملكين ، واستدل به من قال إن الملائكة أفضل من الإنبياء ، وقرىء ملكين
بكسر اللام ، ويقوى هذه القراءة قوله وملك لايل (وقاسمهما) أي حلف لهما إنه لمن الناصحين وذكر قسم
إبليس بصيغة المفاعلة التي تكون بين الاثنين لأنه اجتهد فيه أولاه أقسم لهما وأقسم له أن يقبل نصيحتة
(فدلاهما) أي أولهما إلى الأكل من الشجرة (ببرور) أي غرما بخلفه لهما لأنهما ظنا أنه لا يخلف كاذبا
(بدت لهما سواتهما) أي زال عنها اللباس وظهرت عوراتهما ، وكان لا يريانها من أنفسهما ، ولأحدهما
من الآخر ، وقيل كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النظر (يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي يصلان بعضه
بعض ليسترا به (وناداهما ربهما) يحتمل أن يكون هذا النداء بواسطة ملك ، أو بغير واسطة (ربنا ظلنا
أنفسنا) اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة ، وتلك هي الكلمات التي تاب الله عليه بها (اهبطوا) وما بعده
مذكور في البقرة (فيها يحيون) أي في الأرض (لباسا) أي الثياب التي تستر ، ومعنى أنزلنا خلقنا ، وقيل المراد
أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المحر ، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة (ريشا)
أي لباس الزينة وهو مستعار من ريش الطائر (ولباس التقوى) استعار التقوى لباسا كقولهم ألبسك الله
قبص قواه ، وقيل لباس التقوى ما يتقى به في الحرب من الدروع وشبهها ، وقرىء بالرفع على الابتداء أو
خبره الجملة ، وهي ذلك خير (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى ما أنزل من اللباس ، وهذه الآية واردة على

يَنْبِئُ آدَمَ لَا يَفْتَنُكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ • وَإِذَا قُلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَآلَهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَتَاكُمْ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ • قُلْ أَمَرْتُ بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ • فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ • يَا أَيُّهَا آدَمُ خُذْ زِينَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلْ وَاشْرَبْ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ • قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالنَّجْسَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ • وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ

وجه الاستطراد غريب ما ذكر من ظهور السوات وخسف الورق عليها ليبين إنعائه على ما خلق من اللباس (ينزع عنها لباسهما) أي كان سببا في نزع لباسهما عنهما (من حيث لا ترونهم) يعني في غالب الأمر، وقد استدل به من قال إن الجن لا يرون وقد جمعت في رؤيتهم أحاديث صحيحة، فتعمل الآية على الأكثر جمعا بينها وبين الأحاديث (وإذا فعلوا فاحشة) قيل هي ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة الرجال والنساء، ويحتمل العموم في الفواحش (قالوا وجدنا عليها آباءنا وآلنا أمرنا بها) اعتذروا بطردن باطلين أحدهما: تقليد آباءهم، والآخر: اقتراؤهم على الله (وأقيموا وجوهكم) قيل المراد إحضار اللبنة، والإخلاص لله، وقيل فعل الصلاة والتوجه فيها (عند كل مسجد) أي في كل مكان سجود أو في وقت كل سجود والاول أظهر، والمضى إباحة الصلاة في كل موضع كقوله صلى الله عليه وسلم: جعلت لي الأرض مسجداً (كما بدأكم تعودون) احتجاج على البحث الأخرى بالبداة الأولى (فريقا) الأول منصوب بهدي، والثاني منصوب بفعل مضمير يفسره ما بعده (خذوا زينتكم) قيل المراد به الثياب الساترة، واحتج به من أوجب ستر العورة في الصلاة، وقيل المراد به الزينة زيادة على الستر كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب (وكلوا واشربوا) الأمر فيها للإباحة، لأن بعض العرب كانوا يجرمون أشياء من المأكل (ولا تسرفوا) أي لا تتكثروا من الأكل فوق الحاجة، وقالوا لإحباطه: إن الطب كله مجموع في هذه الآية، وقيل لا تسرفوا بأكل المحرام (قل من حرم زينة الله) إنكار لتسريمها وهو ما شرعه الله لعباده من الملابس والمأكل، وكان بعض العرب إذا حجوا يمزودون الثياب ويطوفون عراة، ويمزودون الشعر واللبن، فقول ذلك ردا عليهم (خالصة يوم القيامة) أي الزينة والطيب في الدنيا للذين آمنوا ولنزيمهم، وفي الآخرة خالصة لهم دون غيرهم، وقرئ خالصة بالنصب على الحال، والرفع على أنه خبر بعد خبر، أو خبر ابتداء مضمرة (والإثم) عام في كل ذنب (وأن تقولوا على الله

أَجْلَهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعْمُونَ . يَنْبَغِي إِدَامَ بِأَيْتِنَكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ أَيْتِي
فَنِ اتَّقُوا وَأَصْلَحْ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . فَنَ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنْالُهُمْ نَصِيبُهُم
مِّنَ الْعَذَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا
وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ . قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي
النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لِّغَتٍ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا دَارَ كُرُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ ضَلُّوا
قَبْلَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَآيَاتِنَا لَا تَسْلُبُونَ . وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَيْنَاهُمْ قَا كَانَ لَكُمْ
عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ . إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَتَخَفْ
لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يُلَاحِظَ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ . ثُمَّ مِّنْ
جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا تَكُنْفَ نَفْسًا
إِلَّا وَسَعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ فَجَرى مِّنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ

أى تفتروا عليه في التحريم وغيره (فأما بآيتنكم) هى إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة لأ كيد ، ولزمنا
التون الشديدة المؤكدة ، وجواب الشرط فن اتقى الآية (فن أظلم) ذكر في الانعام (ينالهم نصيبهم من الكتاب)
أى يصل اليهم ما كتب لهم من الرزاق وغيرها (ضلوا عنا) أى غابوا (ادخلوا في أم) أى ادخلوا
النار في جملة أم أو مع أم (اداركوا) تلاحقوا واجتمعوا (قالت أخراهم لأولاهم) المراد بأولاهم
الرؤساء والقادة ، وأخراهم الاتباع والسفلة ، والمعنى أن أخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم
لأنهم أضلوا ، وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطابا لهم ، إنما هو كقولك قال فلان لفلان كذا : أى
قوله عنه وإن لم يخاطبه به (وقالت أولاهم لأخراهم فسا كان لكم علينا من فضل) أى لم يكن لكم علينا فضل
في الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم بل نحن وأنتم سواء (فذوقوا العذاب) من
قول أولاهم لأخراهم أومن قول الله تعالى لجميعهم (لا تفتح لهم أبواب السماء) فيه ثلاثة أقوال : أحدها :
لا يصعد عملهم إلى السماء ، والثاني لا يدخلون الجنة ، فإن الجنة في السماء ، والثالث لا تفتح أبواب السماء
لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين (حتى يلج الجبل في سم الخياط) أى حتى يدخل الجبل في ثقب
الإبرة ، والمعنى لا يدخلون الجنة حتى يكون مالا يكون أبدا ، فلا يدخلونها أبدا (مهاد) فراش (غواش)
أغطية (لا تكلف نفسا إلا وسعها) جملة اعتراض بين المبتدأ والخبر لبيان أن ما يطلب من الأعمال الصالحة
ما في الوسع والطاقة (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أى من كان في صدره غل لا خيه في الدنيا نزعته منه

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رَتَّبُوا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِذْ نُبِّئَ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ يَصْلَوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ، وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ . وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ . أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا

في الجنة وصاروا إخوانا أحبابا ، وإنما قال نزعنا بلفظ الماضي وهو مستقبل لتحقيق وقوعه في المستقبل حتى عبر عنه بما يعبر عن الواقع ، وكذلك كل ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية في اللفظ وهي تقع في الآخرة كقوله : نادى أصحاب الجنة ، ونادى أصحاب الأعراف ، ونادى أصحاب النار ، وغير ذلك (هنا هنا) إشارة إلى الجنة أو إلى ما أوجب من الإيمان والتقوى (أن تلکم الجنة) وأن قد وجدنا ، وأن لعنة ، وأن سلام : يحتمل أن يكون أن في كل واحدة منها عطفة من التثنية ، فيكون فيها ضمير أو حرف عبارة وتفسير المعنى القول (ما وعدنا ربنا حقا) حلف مفعول وعد استثناء عنه بمفعول وعدنا أو لإطلاق الوعد فيتناول الثواب والعقاب (أذن مؤذن) أى أعلم معلم وهو ملك (وبينهما حجاب) أى بين الجنة والنار أو بين أصحابها وهو أرجح لقوله : فضرِبَ بينهم بسور (الأعراف) قال ابن عباس هو تل بين الجنة والنار ، وقيل سور الجنة (رجال) هم أصحاب الأعراف ورد في الحديث أنهم قوم من بنى آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يدخلوا الجنة ولا النار ، وقيل هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فنعموا من الجنة لعصيان آبائهم ، ونجوا من النار للشهادة (يعرفون كلا بسيماهم) أى يعرفون أهل الجنة بعلامتهم من رياض وجوهم ، ويعرفون أهل النار بعلامتهم من سراد وجوهم ، أو غير ذلك من العلامات (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى سلام أصحاب الأعراف على أهل الجنة (لم يدخلوها لم يطمعون) أى أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها من بعد (وإذا صرقت أبصارهم) الضمير لأصحاب الأعراف أى إذا رأوا أصحاب النار دعا الله أن لا يجعلهم معهم (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) يعنى من الكفار الذين في النار ، قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ (جمعكم) يحتمل أن يكون أراد جمعهم للسال أو كثرتهم (وما كنتم تستكبرون) أى استكباركم على النار أو استكباركم على الرجوع إلى الحق ، فها هنا مصدرية وما في قوله ما أغنى ، استفهامية أو نافية (أهؤلاء الذين أقسمتم) من كلام أصحاب الأعراف خطابا لأهل النار والإشارة بهؤلاء إلى أهل الجنة ، وذلك أن الكفار كانوا في الدنيا يقسمون أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يعبأ بهم فظهر خلاف ما قالوا ، وقيل هي من كلام الملائكة خطابا لأهل النار ، والإشارة بهؤلاء إلى أصحاب

الْجَنَّةُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ • وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ • الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ قَوًّا وَلَمَّا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا قَالِیَوْمَ نَفْسُهُمْ كَانُوا لِقَاءَ یَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَابِعَاتٍ بِحِطُّونَ • وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَضَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هَدَىٰ وَرَحْمَةٍ لِّقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ • هَلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ یَوْمَ یَأْتِی تَأْوِيلَهُ یَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ هَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فِیْشَفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَیْرَ الَّذِی كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا یَفْتَرُونَ • إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِی سِتَّةِ ٓأَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ یُبْشِی اللَّیْلَ النَّهَارَ یَطْلُبُهُ حَثِثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالتُّجَرِمَ مُسْتَخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۚ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِیْنَ • ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْیَةً ۚ لَا یُحِبُّ الْمُحْتَدِیْنَ • وَلَا تَسْبُدُوا

الأعراف (ادخلوا الجنة) خطاباً لأهل الجنة إن كان من كلام أصحاب الأعراف قد بقره قد قيل لهم ادخلوا الجنة، أو خطاباً لأهل الأعراف إن كان من كلام الملائكة (أن أفيضوا علينا من الماء) دليل على أن الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من سائر الأطعمة والأشربة (فالיום ننسام) أى تركهم (كانسوا) الكاف للتليل (وما كانوا) عطف على كانوا: أى لنسائهم وجعدهم (جنتاهم بكتاب) يعنى القرآن (فضلناه على علم) أى علينا كيف فصله (إلا تأويله) أى هل ينتظرون إلا عافية أمره، وما يؤول إليه أمره يظهر ما نطق به من الوعد والوعيد (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى قد تبين وظهر الآن أن الرسل جاؤا بالحق (استوى على العرش) حيث وقع حمله قوم على ظاهره منهم ابن أبزید وغيره، وتأوله قوم بمعنى قصد كقوله: ثم استوى إلى السماء، ولو كان كذلك لقال ثم استوى إلى العرش، وتأولها الأشعرية أن معنى استوى استولى بالملك والقدرة، والحق الإيمان به من غير تكيف، فإن السلامة فى التسليم، وقه در مالك بن أنس فى قوله لذى سأله عن ذلك: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عن هذا بدعة، وقد روى مثل قول مالك عن أبى حنيفة، وجعفر الصادق، والحسن البصرى، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون فى معنى الاستواء، بل أمسكوا عنه، ولذلك قال مالك السؤال عنه بدعة (يُبْشِى اللَّیْلَ النَّهَارَ) أى يلحق الليل بالنهار، ويحتمل الوجهين، هكذا قال الزخشرى، وأصل اللفظة من الغشاء أى يجعل أحدهم غشاء للآخر يعطيه فنظى ظلمة الليل ضوء النهار (يطلبه حثيثاً) أى سريعاً، والجملة فى موضع الحال من الليل أى يطالب الليل النهار فيدركه (ألا له الخلق والأمر) قيل الخلق المخلوقات والأمر مصدر أمر يأمر، وقيل الخلق مصدر خلق، والأمر واحد الأمور: كقوله إلى الله تصير الأمور، والكل صحيح (تبارك) من البركة، وهو فعل غير منصرف لم تنطق له العرب بمضارع (تضرعاً وخفية) مصدر فى موضع الحال وكذلك خوفاً وطمعاً، وخفية من الإخفاء، وقرئ خيفة من الخوف (المعتدين) المجاوزين للحد، وقيل هنا هو رفع الصوت بالبداء والتقطط

فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ . وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْقَلَ سَحَابًا ثَقَالًا سَقَطَهُ لَيْلِيَّةً فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
الشَّجَرَاتِ كَذَٰلِكَ يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ

فيه (واعوه خوفاً وطمعا) جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفاً ورجياً ، كما قال الله تعالى يرجون رحمة
وبخافون عذابه فإن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه ، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم
ثوابه ، قال تعالى نبى عبادى انا التفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم ومن عرف فضل الله
رجاه ومن عرف عذابه خافه ولذلك جاء في الحديث لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا إلا أنه يستحب
أن يكون العبد طول عمره يطلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يقلب عليه الرجاء عند
حضور الموت لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى ، وأعلم أن الخوف على ثلاث
درجات : الأولى أن يكون ضعيفاً يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر ، فوجود هذا كعدم
والثانية أن يكون قويا فيروظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة ، والثالثة أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط
والياس وهذا لا يجوز ، وخير الأمور أوسطها ، والناس في الخوف على ثلاث مقامات : غفوف العامة من
الذنوب ، وخوف الخاصة من الخاصة ، وخوف خاصة الخاصة من السابقة ، فإن الخاصة مبنية عليها ، والرجاء
على ثلاث درجات : الأولى رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود
والثانية الرجاء مع التفریط والعصيان فهذا غرور ، والثالثة أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن ، فهذا حرام ،
والناس في الرجاء على ثلاث مقامات : فقام العامة رجاء ثواب الله ، ومقام الخاصة رجاء رضوان الله ، ومقام
خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه (إن رحمت الله قريب من المحسنين) حذفت تاء التأنيث من قريب
وهو خبر عن الرحمة على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو العفو أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقى أولاته صفة
موصوف محذوف وتقديره شيء قريب أو على تقدير النسب أى ذات قرب ، وقيل قريب هنا ليس خبر عن
الرحمة وإنما هو ظرف لها (الرياح بشرا) قرئ الرياح بالجمع لأنها رياح المطر ، وقد اضطرد في القرآن جمعها
إذا كانت الرحمة ، وإفرادها إذا كانت للعذاب ، ومنه ورد في الحديث اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها رجما ،
وقرئ بالإفراد ، والمراد الجنس وقرئ نثرا بفتح التون وإسكان الثين ، وهو على هذا مصدر في موضع
الحال ، وقرئ بضمها وهو جمع نثر ، وقيل جمع منشور ، وقرئ بضم التون وإسكان الثين وهو تخفيف
من الضم : كرسل ورسل ، وقرئ بالباء في موضع التون وهو من البشارة (بين يدي رحمة) أى قبل المطر
(أثقلت) حملت (سحابا ثقالا) لأنها تحمل الماء فتثقل به (سقناه) الضمير للسحاب (ليلية ميت) يعنى لآليات
فيه من شدة القنوط ، وكذلك معناه حيث وقع (فأنزلنا به الماء) الضمير للسحاب أو البلد ، على أن تكون الباء
ظرفية (كذلك نخرج الموتى) تمثيل لإخراج الموتى من القبور وإخراج الزرع من الأرض ، وقد وقع
ذلك في القرآن في مواضع منها : كذلك النفوس ، وكذلك الخروج (والبلد الطيب) هو الكريم من الأرض
الجيد الثواب (والذى خبيث) بخلاف ذلك كالسبخة ونحوها (بإذن ربّه) عبارة عن السهولة والطيب . والتكيد

لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكَدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ • لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِلَىٰ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ • قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ • أَطِيعُوا رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَصْبَحْ
لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ • أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا
وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ • فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
عَمِينَ • وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ • قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ • قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي
رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ • أَطِيعُوا رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ • أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَلَا تَكْفُرُوا
إِلَّا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُقْلَمُونَ • قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَلَنَا بِمَا تَعْبُدُونَ

بمخالف ذلك ، فيحتمل أن يكون المراد ما يقتضيه ظاهر اللفظ فتكون متممة للشيء الذي قبلها في المطر ، أو تكون تمثيلاً للقول ، فقبل على هذا الطبيب . قلب المؤمن ، والحجيت : قلب الكافر وقيل هما الفهم والبلد (من إله غيره) قرأ الكسائي بالخفض حيث وقع على اللفظ ، وقرأ غيره بالرفع على الموضع (عذاب يوم عظيم) يعني يوم القيامة أي يوم هلاكهم (الأنل) أشرف الناس (ليس بي ضلالة) إما قال ضلالة ولم يقل ضلال ، لأن الضلالة أخص من الضلال ، كما إذا قيل لك ضحك تمر ، فتقول ما عندى تمره فتم بالني (أبلغكم) قرئ بالتشديد والتخفيف ، والمعنى واحد ، وهو في موضع رفع صفة لرسول أو استئناف (أعلم من الله ما لا تعلمون) أى من صفاته ورحمته وعذابه (أو عجبتم) الهزءة للإنكار ، والواو للعطف ، والمطوف عليه محذوف ، كأنه قال أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم : أى على لسان رجل منكم (في الفلك) متعلق بجهه والتقدير استقروا منه في الفلك ويحتمل أن يتعلق بأنجيته (عين) جمع أمهى وهو من عى القلب (أخام) أى واحد من قبيلتهم ، وهو صطف على نوحا ، وهوذا بدل منه أنه أو صطف يان ، وكذلك أخام صالحا وما بعده ، وما هو مثله حيث وقع (اللا الذين كفروا) قيدنا بالكفر لأن في اللا من قوم هود من آمن وهو مرد بن سعيد ، بخلاف قوم نوح ، فإنهم لم يكن فيهم مؤمن ، فأطلق لفظ اللا (أمين) يحتمل أن يريد أماته على الوسى أو أنهم قد كانوا عرفوه بالأمانة والصدق (خلفاء) من يمدحهم (نوح) أى خلفتموه في الأرض أو جعلكم ملوكا (وزادكم في الخلق بسطة) كانوا عظام الأجسام فكان أقصرهم سترن ذراعا ، وأطولهم مائة ذراع (آلاء الله) نعمه حيث وقع (قالوا أجبنا لتبداقه رحمة) استبعدوا توحيد

كُنْتُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ • قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمِيئَتِهَا أَمُّكُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَنَبِّئِينَ • فَاجْتَنِبْهُمْ وَالَّذِينَ مِنْهُمْ بَرَحَةٌ مِمَّا قَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ • وَلَئِنْ تُمُودَ أَخَاكُمْ صَلَاحًا قَالَ يَقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ قَدْ رُودُهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ • وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَوَّنَ مِنْ سُبُوحِهَا قُصُورًا وَتَخَوَّنَ الْجِبَالُ يَبُوتَا فَادْكُرُوا أَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ • قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ اسْتَعْتَفُوا لَيْنَ أَمْرِ مِنْهُمْ أَعْتَلُونَ أَنْ صَلَحْنَا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ • قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ • فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَهَوَّأَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحْ أُنْتَا بِمَا تَعْبُدَانِ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ • فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ •

الله مع اعترافهم بربوبيته ، ولذلك قال لهم هود (قد وقع عليكم) أي حق عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب (أتجادلونني في أسماء سميتوها) يعني الأصنام : أي تجادلوني في عبادة سميات أسماء ، ففي الكلام حذف ، وأراد بقوله سميتوها أمم وآباؤكم جعلتم لها أسماء ، فدل ذلك على أنها عبدة ، فلا يصح أن تكون آلهة ، أو سميتوها آلهة من غير دليل على أنها آلهة فتقولكم باطل : فالجدال على القول الأول في عبادتها ، وعلى القول الثاني في سميتها آلهة ، والمراد بالأسماء على القول الأول : المسمى ، وعلى القول الثاني : التسمية (دابر) ذكر في الأنعام (بيتة من ربكم) أي آية ظاهرة وهي الناقة ، وأضيفت إلى الله تشريفا لها ، أو لأنه خلقها من غير خلل ، وكانوا قد اقترعوا على صالح عليه السلام أن يخرجهم من صخرة ، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك ، فانقضت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون ، ثم تنجحت ولما قاتن به قوم منهم وكفر به آخرون (لكم آية) أي معجزة تدل على صحة نبوة صالح ، والجهود في موضع الحال من آية ، لأنه لو تأخر لكان صفة (ولا تمسوها بسوء) أي لا تضربوها ولا تطردوها (وبوآكم في الأرض) كانت أرضهم بين الشام والحجاز ، وقد دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام : لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا وأتمم ما كرون ، مخافة أن يصيبكم مثل الذي أصابهم (تتخذون من سهولها قصورا) أي يتبنون قصورا في الأرض البسيطة (وتتحنون الجبال يوتا) أي تتخذون يوتا في الجبال ، وكانوا يسكنون القصور في الصيف ، والجبال في الشتاء ، واتصبت يوتا على الحال وهو كقولك : خطبت هذا الثوب قبضا (لن آمن منهم) بدل من الذين استعففوا (إنا بالذي آمنتم به كافرون) إنما لم يقولوا إنا بما أُرسل به كما قال الآخرون لتلا يكون اعترافا برسالة (فعقروا الناقة) نسب العقير إلى جميعهم لأنهم رضوا به ، وإن لم يفعله إلا واحد منهم وهو الأجير (الرجفة) الصيحة حيث وقت ، وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحة بين السماء والأرض

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَفَصَحْتُ لَكُمْ وَآسَكُنْ لَاتُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ • وَلَوْ طَا إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاسِقَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ • إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ • بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ • وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَتَطَهَّرُونَ • فَأَجْمَعْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا لَهُ كَانَتْ مِنَ النَّابِرِينَ • وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ • وَلِلَّهِ مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ • وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِهِ وَبَثَّوْنَهَا حُجًّا وَادَّكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأُفْطِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ • وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ • قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَحْيَى وَنَسْتَبِيحُكَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعْدُونَ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ

فَاتُوا مِنْهَا (جائين) حيث وقع أى قاعدين لا يتحركون (قوله عنهم) الآية : يحتمل أن يكون توليه عنهم وقوله لم حين ضروا الناقة قبل نزول العذاب بهم ، لا تهوى أنه خرج حيثهم من بين أظهرهم ، أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا ، وهو ظاهر الآية ، وعلى هذا غايلهم بعد موتهم على وجه التفتيح عليهم ، وقوله : لا تحبون الناصحين : حكاية حال معاضية (إذ قال لقومه) العادل في إذ أرسلنا المضمر ، أو يكون بدلا من لوط (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أى لم يفضلها أحد من العالمين قبلكم ، ومن الأولى زائدة ، والثانية التبعيض أو للجلس (فإكان جواب قومه) الآية : أى أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله (أناس يتطهرون) أى يتزهدون عن الفاحشة (من النابرين) أى من الهالكين ، وقيل من الذين غبوا في ديارهم فهلكوا ، أو من الباقيين من أترابها يقال غبر بمعنى مضى ، وبمعنى بقى ، وإنما قال من النابرين بجمع المذكر تقييلا للرجال النابرين (وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) يعنى الحجارة أصيب بها من كان منهم خارجا عن بلادهم ، وقيلت البلاد بمن كان فيها (بيتة من ربكم) أى آية ظاهرة ، ولم تعين في القرآن آية شبيب (فأوفوا الكيل والميزان) كانوا ينقصون في الكيل والوزن ، فبعت شبيب ينههم عن ذلك ، والكيل هنا بمعنى المكيال الذى يكال به مناسبة للميزان كما جاء في هود المكيال والميزان ، ويجوز أن يكون الكيل والميزان مصدرين (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) قيل هى هوى عن السلب وقطع الطريق ، وكان ذلك من فعلهم وكانوا يقعدون على الطريق يرقون الناس عن اتباع شبيب ويوعدونهم إن اتبعوه (وتصدون) أى تمنون الناس عن سبيل الله وهو الإيمان ، والضمير فى به الصراط أوقعه (تبغونها حوجا) ذكر في آل عمران (أو لتهودن في ملتنا) أى

كُنَّا كَاذِبِينَ • قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّمَا نَعْتَدُكَ بِمَلِكٍ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنَّا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا إِنَّا نَعْتَدُ بِمَا نَبْلَغُ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاعِلِينَ • وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا لَنَكُونَنَّ إِذَا الْخَسِرُونَ • فَاتَّخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثَمِينَ • الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا يَتَنَوَّاهُ فِي الدِّينِ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا أُمُ الْخَسِرِينَ • فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْعَنُوا لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّكُمْ فَصَحَّ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَامَنُوا عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ • وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّونَ • ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَثَّةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ • وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَمُّوا رَحْمَتَنَا عَلَيْهِمْ لَبَرَكْنَا مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا

ليكون أحد الأمرين : إما إخراجهم ، أو عودهم إلى ملة الكفر ، فإن قيل : إن العود إلى الشيء يقتضي أنه قد كان فعل قبل ذلك فيقتضي قولهم لتعودن في ملتنا أن شعيباً ومن كان معه كانوا أولاً على ملة قومهم ، ثم خرجوا منها فطلب قومهم أن يعودوا إليها وذلك حال ، فإن الإنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها فالجواب من وجهين : أحدهما قاله ابن عطية وهو أن عاد قد تكون بمعنى صار ، فلا يقتضي تقدم ذلك الحال الذي صار إليه ، والثاني قاله الزمخشري وهو أن المراد بذلك الدين آمنوا بشعيب دون شعيب ، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك كما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم : لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك ، فقلبوافي الخطاب بالعواد الجماعة على الواحد ، وبمثل ذلك يجاب عن قوله إن عدنا في ملتكم ، وما يكون لنا أن نعود فيها (قال أولو كنا كافرين) الممثلة للاستفهام والإنكار ، والوال للحال ، تقديره : أنعود في ملتكم ويكون لنا أن نعود فيها ونحن كارهون (قد أقرينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم) أي إن عدنا فيها قد صدقنا في أمر عظيم من الإقرار على الله ، وذلك : أ من العود فيها (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأديب مع الله وإستاد الأمور إليه ، وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم : أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه ، فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ، فإن قلت : إن ذلك يصح في حق قومه وأما في حق نفسه فلا فإنه معصوم من الكفر ، فالجواب : أنه قال ذلك تواضعاً وتأديباً مع الله تعالى واستسلاماً لأمره كقول بينا صلى الله عليه وسلم بإعقاب القلوب ثبت قلبي على دينك ، مع أنه قد علم أنه يثبت (ربنا افتح بيننا) أي احكم (كان لم يفتوا فيها) أي كان لم يفتوا في ديارهم (فكفك آسى على قوم كافرين) أي كيف أحزن عليهم وقد استحقوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم (بالأساء والضراء) قد تقدم (بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي أبدلنا الأساء والضراء بالنعيم اختياراً لهم في الحالين (حتى عفا) أي كثروا ونفوا أنفسهم وأموالهم (قالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أي قد جرى ذلك لأبائنا ولم ينصرهم فهو بالاتفاق لا يقصد الاختبار (بركات من السماء والأرض) أي بالمطر والزرع (وأمن) من

كَانُوا يَكْسِبُونَ • أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَاعِمُونَ • أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا فَحَّىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ • أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ • أَوَلَمْ يَسِدَّ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَيْدِ أَهْلِهَا أَن لَوْ نَشَاءُ أَصْبَغْنَاهُمْ يَدُورِهِمْ وَطَعْنَهُمْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فهُمْ لَا يَسْمَعُونَ • تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ • كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ • وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ • ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَدْنِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ • وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ • حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ • قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ • فَالْتَقَىٰ أَصْحَابُهَا فِئَةً مِّنْهُمْ وَزَجَّ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ • قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا

قرا يا ساكن الراو فهو أو العاطفة، ومن قرأ بفتحها فهي واو العطف دخلت عليها حمزة التوخيخ كما دخلت على الفاء في قوله أفأمنوا مكر الله: أي استدراج وأخذه للعبد من حيث لا يشعر (أو لم يهد) أي أولم يبين (الذين يرتون الأرض) أي يسكنوها (أن لو نشاء) هو قائل أولم يهد، وقصود الآية الوعيد (وطعن على قلوبهم) عطف على أصنامهم لأنه في معنى المستقبل، أو منقطع على معنى الوعيد أو الجواز العشري أن يكون عطفا على يرتون الأرض أو على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قال ينفلون عن الهداية ويطعن على قلوبهم (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير لأهل القرى والمعنى وجدناهم ناقضين للمهود (حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق) من قرأ على بالتشديد يدل أنها ياء المتكلم فالمعنى ظاهر، وهو أن موسى قال حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق، وموضع أن لا أقول على هذا رفع، على أنه خبر حقيق، وحقيق مبتدأ أو بالعكس ومن قرأ على بالتخفيف فوضع أن لا أقول خفض بحرف الجر، وحقيق صفة لرسول، وفي المعنى على هذا وجهان، أحدهما أن على بمعنى الباء ففي الكلام رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق، والثاني أن معنى حقيق حريص ولذلك تعدى بعل (قد جئتكم بينة من ربكم) أي بمعجزة تدل على صدق وهي العصا أو جنس المعجزات (فأرسل معي بني إسرائيل) أي خلهم يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة موطن آباؤهم، وذلك أنه لما توفي يوسف عليه السلام غلب فرعون على بني إسرائيل واستبد بهم حتى أقدمهم الله على يد موسى، وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عاما (وزج يده فإذا هي بيضاء) وكان موسى عليه السلام شديد الأدمة فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها في جيبه، ثم أخرجها وهي بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشد يابضا وقبل إنها كانت منيرة شفاة كالشمس، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه (لنظيرين) مبالغة في وصف يده بالبياض وكان الناس يحتمون للنظر إليها، والتعجب منها (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا

لَسَحِرٌ عَلَيْهِ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَإِذَا تَأَمَّرُونَ . قَالُوا أَرْضُهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ
 حَاشِرِينَ . يَا تُوكِ بِكُلِّ سَحِرٍ عَلَيْهِ . وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّا لَنَّا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ .
 قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَلِمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قَالَ أَلْقُوا
 فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءَهُمُ السَّحَرُ عَظِيمٌ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ
 فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَرَفَعَ الْحَقُّ وَيَطْلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَغَلَبُوا هَٰذَاكَ وَاتَّخَذُوا صَصِيرِينَ . وَالَّذِي
 السَّحَرَةُ سَجَدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ . قَالَ فِرْعَوْنُ أَنَّمِمْ بِهِ قِيلَ أَنْ أَذِنَ
 لَكُمْ أَنْ هَذَا لَكُمْ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . لَا تَقْلَعُنْ أُيُودِيكَ

عليه) حتى هذا الكلام هنا عن الملا في الشعراء عن فرعون ، كأنه قاله هووم ، أو قاله هو وواقوه عليه
 كمادة جلساء الملوك في اتباعهم لما يقول الملك (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أي يخرجكم منها بالقتال
 أو بالحيل ، وقيل المراد إخراج بني إسرائيل وكانوا خذما لما فتحهم الأرض بفروج الحدام والبحار منها
 (فإذا تأمروا) من قول الملا أو من قول فرعون وهو من معنى المؤامرة أي المصادرة أو من الاسم
 وهو ضد النهي (أرحه) من قرأه بالهمزة فهو من أرجأت الرجل إذا أخرته ففناه أخرهما حتى تنظر في
 أمرهما ، وقيل المراد بالإرجاء هنا السجن ، ومن قرأ بنير همر فتحت أن تكون بمعنى المهموز وسهلت
 الهمزة ، أو يكون بمعنى الرجاء أي أطمعه ، وأما ضم الهاء وكسرهما فلفتان ، وأما إسكانها فلفه أجرى فيها
 الوصل بحرى الوقف (حاشرين) يعني الشرطة أي جامعين للسحرة (وجاء السحرة فرعون) قبل هنا
 محذوف يدل عليه سياق الكلام وهو أنه بعث إلى السحرة (إن لنا لأجرا) من قرأه بهمزتين فهو استفهام
 ومن قرأه بهمزة واحدة فيحتمل أن يكون خبرا أو استفهاما حذفته منه الهمزة ، والأجر هنا : الأجرة ،
 طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى ، فأغم لم فرعون بها وزادهم التقريب منه والجاه عنده (وإنكم لمن
 المقربين) عطف على معنى نعم كأنه قال نطليكم أجرا وتقربكم ، واختلف في عدد السحرة . إختلافا متباينا
 من سبعين رجلا إلى سبعين ألفا وكل ذلك لأصل له في صحة النقل (إما أن تلقى وإما أن تكون نحن الملقين)
 خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدأوا بإلقاء سحرهم فأمرهم أن يلقوا ، وانظر كيف صبروا عن إلقاء
 موسى بالفعل ، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الإجمية ، إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه (واسترهبوهم)
 أي خوفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر (أن ألقى عصاك) لما ألقاها صارت تمبانا عظيما على قدر
 الحبل وقيل إنه طالع حتى جاوز القيل (تلقف) أي يتلغ (ما يافكون) أي ماصوورا من إفكهم وكذبهم
 وروى أن الثبان أكل مله الوادي من جالهم وحصبهم ومنموسى يده إليه فصار عصا كما كان ، فلم السحرة
 أن ذلك ليس من السحر ، وليس في قدرة البشر ، فأمنوا بالله وبموسى عليه السلام (لا تقلعن أيديكم) الآية :

وَأَرْجَلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ • قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُقْلِبُونَ • وَمَا نَقُومُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ أَمَّا
بَنَاتِ رَبَّنَا مَا جَاءَ تَارِبْنَا أَرْغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِينَ • وَقَالَ الْمَلَأِينَ قَوْمِ فَرْعُونَ أَكْثَرُ مُوسَىٰ
وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ • وَالْمَلَكُ قَالَ سَتَقْتُلُنَا أَبْنَاءَ هُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ •
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلصَّالِحِينَ •
قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَمْلِكَ عَذَابُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ • وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فَرْعُونَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ • فَإِذَا
جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُنَا سَيِّئَةٌ يَطْغُرُوا يُمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا لِمَا طَغَرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتُكَذِّبُنَا بِهَا فَأَمْنُكَ يَوْمَئِذٍ • فَأَرْسَلْنَا

وعيد من فرعون للسحرة وليس في القرآن أنه أنفذ ذلك لكن روى أنه أنفذه عن ابن عباس وغيره ،
وقد ذكر معنى من خلاف في العقود (قالوا إنا إلى ربنا منقلبون) أى لا نبالي بالموث لا نقبلنا إلى ربنا
(وما ننتقم منا إلا أن آمنا) أى ما تعيب منا إلا إيماننا (ليفسدوا في الأرض) أى يغيروا ملك فرعون
وقومه ويحلوا دينه (ويذرك) مطوف على لفسدوا ، أو منصوب بإخبار أن بعد الواو (والملك) قيل
إن فرعون كان قد جعل للناس أصناما يعبدها ويحل نفسه الإله الأكبر فلذلك قال أما ربكم الأعلى ، فالملك
على هذا هو تلك الأصنام ، وقرأ على بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس والملك : أى عبادتك والتذل
لك (إن الأرض لله) تحليل الصبر ولذا أمرهم به ببنى أرض الدنيا هنا وفي قوله ويستخلفكم في الأرض ،
وقيل ببنى أرض فرعون فأشار لهم موسى أولا بالنصر في قوله يورثها من يشاء من عباده ، ثم صرح في
قوله عسى ربكم الآيات (فينظر كيف تعملون) حض على الاستقامة والطاعة بالسنين أى الجذب والقط
(فإذا جاءتهم الحسنة) الآية : إذا جاءهم الحبب والرغاء قالوا هذه لنا وبسعدنا ، ونحن مستحقون له وإذا
جاءهم الجذب والشدة طغروا بموسى : أى قالوا هذه بشوؤه ، فإن قيل لم قال إذا جاءتهم الحسنة وإذا وتغريف
الحسنة وإن تصيبهم سيئة فإن وتكثير السيئة ، فالجواب أن وقوع الحسنة كثير ، والسيئة وقوعها نادر
فصرف الكثير الوقوع باللام إلى العهد ، وذكره بإذنا لأنها تقتضى التحقيق وذكر السيئة يان لأنها تقتضى
الشك وتكررها للتحليل (ألا إنما طأرهم عند الله) أى إنما حظهم وتصيبهم الذى قدر لهم من الخير والشر عند
الله ، وهو مأخوذ من زجر الطير ثم سمي به ما يصيب الإنسان ومقصود الآية الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى
من الشؤم . هما هى ما الشرطية ضمت إليها ما الزائدة نحو أينما ، ثم قلبت الألف هاء ، وقيل هى اسم بسيط
غير مركب . والضمير فيه يعود على ههما ، وإنما قالوا من آية على تسمية موسى لها آية ، وأعلى وجه التهمك
(فأرسلنا عليهم الطوفان) روى أنه كان مطرا شديدا دائما مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم ، وكادوا يهلكون
واستموا من الزراعة وقيل هو الطاعون (والجراد) هو المعروف أكل ذروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم

عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدمَّ ءَايَتٍ مُفَصَّلَةٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ . وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجُّ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجَّ لَتُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ . فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجَّ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى بَلَغُوهُ إِذْ هُمْ يُسْكِنُونَ . فَاتَّبَعْنَاهُمْ مِنْ مَخْفَرَةٍ هَتَفْتَهُمْ فِي السَّمَاءِ بِأَتْمِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ . وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَمَرَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحَسَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَسْكُنُونَ عَلَىٰ أَنْصَامٍ لِّجَبَلٍ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَهْتُلُونَ . إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مِّمَّا فِيهِ وَيَطْلُبُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَ نِسَاءِكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ نِسَاءِكَ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ . وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ

وأبراهيم وسقف بيوتهم (والقمل) قيل هي صغار الجراد ، وقيل البراغيث ، وقيل السوس ، وقرئ القمل بفتح القاف والتخفيف ، فهي على هذا القمل المعروف ، وكانت تتعلق بطيخهم وشعرهم (والضفادع) هي المروعة كثرت عندهم حتى امتلأت بها فرشهم وأوانهم وإذنا تكلم أحدهم وثبت الضفدع إلى فيه (والدم) صارت مياههم دما فكان يستقي من البئر القطي والإسرائيل في ليله واحد فيخرج مائلي القطي دما ، ومائلي الإسرائيل ماء (ولما وقع عليهم الرجز) أي العذاب وهي الأشياء المتقدمة وكانوا مهمما نزل بهم أمر منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم ، فلما كشفه عنهم نقضوا العهد وتنادوا على كفرهم (بما عهد عندك) بدعائك إليه ووسائطك ، والباء تحتمل أن تكون للقسمة وجوابه لتؤمنن لك أو تعلق بآدع لنا أي توسل إليه بما عهد عندك (في السهم) البحر حيث وقع (القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو إسرائيل (مشارك الأرض ومغاربها) الشام ومصر (باركنا فيها) أي بالخصب وكثرة الأرزاق (وتمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل) أي تمت لهم واستقرت ، والكلمة هنا ماقضى لهم في الأزل ، وقيل هي قوله : ونريد أن نحن على الذين استضعفوا في الأرض (وما كانوا يبرشون) أي يبتون ، وقيل هي الكروم وشبهها فهو على الأول من العرش وعلى الثاني من العرش (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها) أي اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم ولما تم خبر موسى مع فرعون ابتداء خبره مع بني إسرائيل من هنا إلى قوله وإذ تقنا الجبل (متبر) من التبار وهو الهلاك (وهو فضلكم على العالمين) وما بعده مذكور في البقرة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) روى أن الثلاثين هي شهر ذى القعدة والعشر بعدها هي العشر الأول من ذى الحجة ، وذلك تفصيل الأربعين المذكورة في البقرة (موقات ربه) أي ما وقت له من الوقت لمناجاته

أَخْلَفَنِي فِي قَوِي وَأَصْلَحَ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ • وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِهِ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَمَّلَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَمَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعْقًا فَلَمَّا أَفَقَّ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ • قَالَ بِمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفِيكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي خُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ • وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ

في الطور (اخلفني) أى كن خليفتي على بنى إسرائيل مدة منقبى (قال رب أرني) لما سمع موسى كلام الله طمع في رؤيته ، فسالها كما قال الشاعر :

وأفرح ما يكون الشوق يوما • إذا دنت الديار من الديار

واستدلت الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة فعلا ، وأنها لو كانت محالاً لم يألهها موسى ، فإن الانبياء عليهم السلام يملكون ما يجوز على الله وما يستحيل ، وتأول الزعشري طلب موسى للرؤية بوجهين : أحدهما أنه إنما سأل ذلك تبيكياً لمن خرج معه من بنى إسرائيل الذين طلبوا الرؤية فقالوا أرنا الله جهرة : فقال موسى ذلك ليسموا الجواب بالمنع فيتأولوا ، والآخر أن معنى أرني أنظر إليك : عرقى ففسك تعريفاً واحداً جلياً وكلاً الوجهين بعيد ، والثاني أبعد وأضعف ، فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له أنظر إلى الجبل الآية (قال لن تراني) قال مجاهد وغيره إن الله قال لموسى لن تراني ، لأنك لا تطيق ذلك ولكن سأجعل للجبل الذى هو أقوى منك وأشد ، فإن استقر وأطلق العبر لم يبق أمكن أن تراني أنت ، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألا تطيق أنت ، فلي هذا إنما جعل الله الجبل مثلاً لموسى ، وقال قوم المعنى سأجعل لك على الجبل وهذا ضعيف يطله قوله فلما تجمل ربّه للجبل فإذا تحرر هذا ، فقوله تعالى لن تراني في الرؤية ، وليس فيه دليل على أنها محال ، فإنه إنما جعل علة النفي عدم إطاعة موسى الرؤية لاستحالتها ، ولو كانت الرؤية مستحيلة ، لكان في الجواب زجر وإغلاظ كما قال الله لنوح فلا تأسنن مالىس لك به علم إنى أعطتك أن تكون من الجاهلين ، فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك ، وأما في الآخرة ، فقد صرح بوقوع الرؤية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا ينكرها إلا مبتدع ، وبين أهل السنة والمعتزلة في مسألة الرؤية تنازع طويل ، وفي هذه القصة قصص كثيرة تركتها لعدم محبتها ، ولما فيه من الأقوال الفاسدة (جمله دكا) أى مدكوكا فهو مصدر بمعنى مفعول لقولك ضربت الأمير ، والدك والفق : أخوان ، وهو التفتت ، وقرئ دكاه بالمد والهمز أى أرضاً دكا وقيل ذهب أعلى الجبل وبقي أكثره ، وقيل هتنت حتى صار غباراً ، وقيل ساخ في الأرض وأفضى إلى البحر (وخر موسى صعقاً) أى منفضاً عليه (ثبت إليك) معناه ثبت من سؤال الرؤية في الدنيا وأنا لا أطيقها (وأنا أول المؤمنين) أى أول قومه أو أهل زمانه ، أو على وجه المبالغة في السبق إلى الإيمان (أصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) هو عموم يراد به الخصوص ، فإن جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة ، واختلف هل كلم الله غيره من الرسل أم لا ، والصحيح أنه كلم نبينا محمداً صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة الإسراء (خُذْ مَا آتَيْتُكَ) تأديداً أى اتق بما أعطيتك من رسالتى وكلامى ولا تطلب غير ذلك (وكتبنا له في الألواح) أى ألواح التوراة وكانت سبعة ، وقيل عشرة

من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ساوركم دار الفسيفه
 سأسرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا
 سيل الرشد لا يتخفوه سيلاً وإن يروا سيل الذي يتخفوه سيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
 غافلين • والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبط عملهم هل يحزون إلا ما كانوا يعملون • واتخذ
 قوم موسى من بعده من حلهم عملاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا
 ظالمين • ولما سقط في أيديهم ورواؤا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرجع ربنا ويغفر لنا لنكونن من
 الخاسرين • ولما رجع موسى إلى قومه غضبين أسفاً قال يا بني خذتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم

وقيل اثنان وقيل كانت من زمردة وقيل من ياقوت ، وقيل من خشب (من كل شيء) عموم يراد به الخصوص
 فيما يحتاجون إليه في دينهم ، وكذلك تفصيلا لكل شيء ، وموضع كل شيء فصب على أنه مفعول كتبنا ، وموعظة
 بدل منه (فخذها بقوة) أي بجد وعزم ، والضمير للتوراة (يأخذوا بأحسنها) أي فيها ما هو حسن وأحسن
 منه كالقصص مع العفو ، وكذلك سائر المباحث مع المتدويات (ساورك دار الفاسقين) أي دار فرعون وقومه
 وهو مصر ، ومعنى أريكم كيف أقدرت منهم لما هلكوا ، وقيل منازل عاد وثمود ومن هلك من الأمم المتقدمة
 ليعتبروا بها ، وقيل جهنم ، وقرأ ابن عباس ساورك بالثاء الثالثة من الوراثة ، وهي على هذا مصدر لقوله
 وأورثناها بني إسرائيل (سأسرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض) الآيات : يحتل هنا أن يراد بها
 القرآن وغيره من الكتب أو العلامات والبراهين ، والسرف يراد به حذم عن فهمها وعن الإيمان بها
 عقوبة لم حل تكبرهم ، وقيل السرف منهم من إبطالها (ولقاء الآخرة) يجوز أن يكون من إضافة المصدر
 إلى المفعول به أي ولقاءهم الآخرة ، أو من إضافة المصدر إلى الظرف (واتخذ قوم موسى) هم بنو إسرائيل
 (من بعده) أي من بعد ضيئه في الطور (من حلهم) بضم الحاء والتشديد جمع حل نحو ثدى ودى ، وقرئ
 بكسر الحاء للإيتاق وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام ، والحلى هو اسم ما يتزين به من الذهب والفضة (جسداً)
 أي جسماً دون روح ، واتصاه على البديل (له خوار) الخوار هو صوت البقر ، وكان السامري قد قبض
 قبضة من تراب أثر فرس جبريل يوم قطع البحر ، فحذفه في السجل فصار له خوار ، وقيل كان إبليس يدخل
 في جوف العجل فيصيح فيه فيسمع له خوار (ألم يروا أنه لا يكلمهم) ردة عليهم ، وإبطال لمذهبهم الفاسد
 في عبادته (اتخذوه) أي اتخذوه لها ، فحذف المفعول الثاني للعلم به ، وكذلك حذف من قوله واتخذ قوم موسى
 (سقط في أيديهم) أي ندموا يقال سقط في يد فلان إذا عجز عما يريد أو وقع فيما يكره (أسفاً) شديد
 الحزن على ما فعلوه ، وقيل شديد الغضب كقوله فلما أسفونا (بشما خلقتوني) أي قتم مقاسى ، وقيل
 بش مضمير يفسره ما وسم المنعوم مغفوف ، والمخاطب بذلك إما القوم الذين عبدوا العجل مع السامري حيث
 عبدوا غير الله في غيبة موسى عنهم ، أو رؤساء بني إسرائيل كهارون عليه السلام حيث لم يكفوا الذين

وَأَتَى الْأَوَّاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَمُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ الْقَوْمِ اسْتَعْصِفُونِ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ
بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ إِنَّ الَّذِينَ أَخْلَعُوا الْجِلَّ سَبَّحَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ يَجْزِي الْمُفْسِدِينَ
وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ
مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَوَّاحَ وَفِي نَسْخَتِهِ هَدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ
رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَلَئِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ
مِمَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

عبدا العجل (أعجلم أمر ربكم) معناه أعجلم عن أمر ربكم ، وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور ، فإنهم لما رأوا أن الأمر قد تم فثبوا أن موسى عليه السلام قد مات فعبدوا العجل (وَأَتَى الْأَوَّاحَ) طرحتها لما لحقه من العشى والضجر غضبا به من عبادة العجل (وأخذ برأس أخيه) أى شمر رأسه (يمر به إليه) لأنه ظن أنه فرط في كف الذين عبدوا العجل (ابن أم) كان هارون شقيق موسى ، وإنساداه بأخته ، لأنه أدهى إلى العطف والحنو ، وقرئ ابن أم بالكسر على الإضافة إلى ياء المشكلم ، وحذفت الياء بالفتح تشبها بخمسة عشر جملة الاسمان اسمها واحدا فبني (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أى لا تظن أنى منهم أولاً تجد على في نفسك ما تجد عليهم يبنى أصحاب العجل (غضب من ربه) وذلة أى غضب في الآخرة وذلة في الدنيا (ولما سكت عن موسى الغضب) أى سكن ، وكذلك قرأ بعضهم ، وقال الزمخشري قوله سكت مثل كأن الغضب كان يقول له ألقى الألواح وجز برأس أخيك ، ثم سكت عن ذلك (وفي نسختها) أى فيها ينسخ منها ، والنسخة صلة بمعنى مفعول (لرهبهم يرهبون) أى يخافون ، ودخلت اللام لتقدم المفعول كقوله للرؤيا تعبرون ، وقال المبرد تعلق بمصدر تقديره رهبتهم لرهبهم (واختار موسى قومه) أى من قومه (سبعين رجلا) حملهم معه إلى الطور يسمعون كلام الله لموسى فقالوا أرنا الله جهره فأخذتهم الرجفة فغابا لهم على قلوبهم ، وقيل إنما أخفتهم الرجفة لعبادتهم العجل أو لسكونهم على عبادته ، والأول أرجح لقوله فقالوا أرنا الله جهره فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغراء ، والأول أظهر لقوله ثم يشاكم من بعد موتكم (لو شئت أهلكم من قبل ولإني) يحتمل أن تكون لو هنا لتعنى أى تموت أن يكون هو وم قد ماتوا قبل ذلك ، لأنه خاف من تشييع بنى إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين ، ويحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرع والاستسلام لأمر الله كأنه قال : لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت فإنا عبيدك ونعت قهرك ، وأنت تفعل ما تشاء ، ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرع والرغبة كأنه قال لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت ، ولكلك عاقبتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن ما وعدتنا وأحى هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة (أهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى أهلكنا وتهلك سائر بنى إسرائيل بما فعل السفهاء الذين

الْمُتَّقِينَ • وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا عَلَيْنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ • الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ

طلبوا الرقبة والذين عبدوا العجل ، فبني هذا إدلاء بحجته ، وتبرؤ من فعل السفهاء ، ورغبة إلى الله أن لا يلم الجميع بالمعصية (إن هي إلا فتنة) أي الأمور كلها يدك (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) ومعنى هذا : اعتذار عن فعل السفهاء ، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته (إنا ههنا إليك) أي تبنا ، وهذا الكلام الذي قاله موسى عليه السلام إنما هو استلطاف ورغبة إلى الله وتضرع إليه ، ولا يقتضي شيئا مما توهم الجهال فيه من الجفاء في قوله : أتهلكنا بما فعل السفهاء منا لأننا قد بينا أنه إنما قال ذلك استلطافا وبراءة من فعل السفهاء (قال عذابى أصيب به من أشاء) قيل الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة ، والصحيح أنه عوم يندرجون فيه مع غيرهم ، وقرئ من أساء ، بالسين وقح المعصية من الإساءة ، وأنكرها بعض المفسرين وقال إنها تصحيف (ورحمى وسعت كل شيء) يحتمل أن يريد رحمة في الدنيا فيكون خصوصا في الرحمة وعموما في كل شيء لأن المؤمن والكافر ، والطيع والعاصي : تألم رحمة الله ونعمته في الدنيا ، ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة فيكون خصوصا في كل شيء ، لأن الرحمة في الآخرة مختصة بالمؤمنين ، ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق ، فيكون عموما في الرحمة ، وفي كل شيء (فأكتبها للذين يتقون) إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة فهي بلا شك مختصة بهؤلاء الذين كتب بها الله لهم رحم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن كانت رحمة الدنيا ، فهي أيضا مختصة بهم لأن الله نصرهم على جميع الأمم ، وأعلى دينهم على جميع الأديان ، ويمكن لهم في الأرض ما لم يمكن لنبيهم وإن كانت على الإطلاق : فقله سأكتبها تخصيص للإطلاق (والذين هم بآياتنا يؤمنون) أي يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء ، وليس ذلك لغیر هذه الأمة (الذين يتبعون الرسول) هذا الوصف خصص أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال بعضهم : لما قال الله ورحمى وسعت كل شيء طمع فيها كل أحد حتى إبليس ، فلما قال سأكتبها للذين يتقون إبليس لم يطمع الله ، وبقية اليهود والنصارى (النبي الأمي) أي الذي لا يقرأ ولا يكتب وذلك من أعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم كأنه أتى بالعلوم الجمة من غير قرأة ولا كتابة ، ولذلك قال تعالى : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إلا رأت أبصار المبعوثين ، قال بعضهم : الأمي منسوب إلى الأم وقيل إلى الأمة (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) ضمير الفاعل في يجدونه لى إسرائيل ، وكذلك الضمير في عندهم ، ومعنى يجدونه يجدون نعمته وصفته ولذا ذكر هنا ما ورد في التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك ما ورد في البخارى وغيره أن في التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى أمتينك المتوكل ليس بفظ ولا غيظ ولا مصخاب في الأسواق لا يجزى بالسبئية السبئية ، ولكن تغفرو تصفح ، وإن أقبضه حتى أقيم به الله الدوام بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح به عيوننا عيا ، وآذاننا صما ، وقلوبا غلفا

ومن ذلك ما في التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب وهو باق بأيديهم إلى الآن إن الملك نزل على إبراهيم فقال له : في هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق ، فقال إبراهيم يارب ليت إسماعيل يمشي بخدمة فقال الله لإبراهيم ذلك لك قد استجيب لك في إسماعيل وأنا أباركه وأنيبه وأكبره وأعظمه بماذا ، وتفسير هذه الحروف محمد

ومن ذلك في التوراة إن الرب تعالى جاء في طور سيناء ، وطلع من ساعد وظهور من جبال فاران ، ويعني بطور سيناء موضع مناجاة موسى عليه السلام ، وساعد موضع عيسى وفاران هي مكة موضع مولد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ومبعثه ، ومعنى ما ذكر من مجيئ الله وطلوعه وظهوره هو ظهور دينه على يد الأنبياء الثلاثة المنسوين لتلك المواضع ، وتفسير ذلك ما في كتاب شيعيا خطابا للمكة : قومي فأزهرى مصباحك فقد دنا وقتك وكرامة الله طالمة عليك ، فقد غفلت الأرض الظلام ، وعلا على الأمم المصاب ، والرب يشرق عليك إشراقا ، ويظهر كرامته عليك ، تسير الأمم إلى نورك ، والملوك إلى ضوه طلوعك ، ارفى بصرك إلى ماحورك ، وتأمل فإنهم مستجمعون عندك ، وتخرج اليك عساكر الأمم وفي بعض كتبهم لقد قطعت السما من بهاء محمد المحمود ، وامتلات الأرض من حمده ، لأنه ظهر بخصلاص أمته

ومن ذلك في التوراة أن هاجر أم إسماعيل لما ضيبت عليها سارة تراه لها ملك فقال لها هاجر أين تريدن ومن أين أتيت فقالت أهرب من سيدتي سارة ، فقال لها ارجعي إلى سارة وستجلبين وتلدن وهذا اسمه إسماعيل وهو يكون حين الناس ، وتكون يده فوق الجميع ، وتكون يده الجميع مبسوطة إليه بالخصوع ، ووجه دلالة هذا الكلام على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن هذا الذي وعدوا به الملك من أن يدها فوق الجميع وأن يده الجميع مبسوطة إليه بالخصوع إنما ظهرت بمبحث النبي محمد صلى الله عليه وسلم وظهور دينه وعلو كبره ، ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا لنبيه قبل محمد صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك أيضا في التوراة أن الرب يقيم لهم نيا من إخوانهم ، وأي رجل لم يسمع ذلك الكلام الذي يؤديه ذلك النبي عن الله فينتقم الله منه ، ودلالة هذا الكلام ظاهرة بأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق ، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم كبنى قرظة وبني قينقاع وغيرهم ومن ذلك في التوراة : إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام وقد أجيبت دعاءك في إسماعيل ، وباركت عليه وسيد اتى عشر عظيما ، وأجعله لامة عظيمة

ومن ذلك في الإنجيل أن المسيح قال للحواريين إن ذاهب عنكم وسيأتيكم الفارقليط الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له وبهذا وصف الله سبحانه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قوله دو ما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ، وتفسير الفارقليط أنه مشتق من الحمد واسم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمد وأحمد وقيل معنى الفارقليط الشافع المشفع

ومن ذلك في التوراة : مولده بمكة أوسكنه بطيبة وأمنه المحامدون ، ويان ذلك أن أمته يقرؤون الحمد لله في صلاتهم مرارا كثيرة في كل يوم وليلة ، وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأحبار ، وهو من الذين من حمير أن كتبوا أخبره بأمره وكيف كان ذلك ، وقيل كان أبوه من مؤمنى أهل التوراة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من عظمائهم وخيارهم ، قال كعب وكان من أعلم الناس بما

أنزل الله على موسى من التوراة ، وبكتب الانبياء ، ولم يكن يدخر عنى شيئا عما كان يعلم ، فلما حضرته الوفاة دعاى ، فقال باني : قد علمت أنى لم أكن أدخرك شيئا عما كنت أعلم ، إلا أنى حبست عنك ورقتين فهما ذكر نبى يبعث ، وقد أطل زمانه ، فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بسد وقاى أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتبهم ؛ وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما فى هذه الكوة التى ترى وعلقت عليهما ، فلا تعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا وأقرهما فى موضعهما حتى يخرج ذلك النبى ، فإذا خرج فاتبعه وانظر فهما ، فإن الله يزيدك بهما خيرا ، فلما مات والذى لم يكن شئ أحب إلى من أن ينقض المأتم حتى أنظر ما فى الورقتين فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا هما بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لانبى بعده ، مولده بمكة ومهاجرة ببلية ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيرة السيئة ، ولكن يجزى بالسيرة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح أمت المحادون الذين يصدقون الله على كل شرف وعلى كل حال وتندلل بالتكبير ألسنتهم ، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه ، يفسلون فروجهم بالماء ويأتزون على أوساطهم وأناجيلهم فى صدورهم ويأكلون قربانهم فى بطونهم ويؤجرون عليها وتراحمهم بينهم تراحم نبي الأم والأب ، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ، وهم السابقون المقربون والصافون المشقق لهم ، فلما قرأت هذا قلت فى نفسى : والله ما علمنى شيئا خيرا لى من هذا فكشفت ما شاء الله حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم وبني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيائه ، وبلغنى أنه خرج فى مكة فهو يظهر مرة ويستخفى مرة ، فقلت هو هذا وتخوفت ما كان والذى حذرني وخوفني من ذكر الكذابين ، وجعلت أحب أن أتبين وأثبت فلم أزل بذلك حتى بلغنى أنه أتى المدينة فقلت فى نفسى إنى لأرجو أن يكون إياه وجعلت أقتبس السيل إليه فلم يقدر لى حتى بلغنى أنه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت فى نفسى لعله لم يكن الذى كنت أظن ، ثم بلغنى أن خليفة قام مقامه ، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جوده فقلت فى نفسى لأدخل فى هذا الدين حتى أعلم أم الدين كنت أرجو وأنتظر وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم ، وإلى ما تكون طاعتهم فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأتبين وأثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب ، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرم ووفاهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الدين كنت أنتظر لحدثت نفسى بالدخول فى دين الإسلام ، فوالله إنى ذات ليلة فوق سطح إذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية يا أيها الذين آمنوا آتوا الكتاب آتوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها قردما على أديبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ، فلما سمعت هذه الآية خفيت الله ألا أصبح حتى يحول وجهي فى قفاى ، فما كان شئ أحب إلى من الصباح ، فندوت على عمر فأسلمت حين أصبحت ، وقال كعب لعمر عند انصرافهم إلى الشام يا أمير المؤمنين إنه مكتوب فى كتاب الله إن هذه البلاد التى كان فيها بنو إسرائيل ، وكانوا أهلها مقتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره ، وقوله لا يتخالف فعله ، والقريب والبعيد عنده فى الحق سواء وأتباعه رهبان باليل وأسد بالنهار ، متراحون متواصلون متبادلون ، فقال له عمر : نكلتك أمك ، أحق ما تقول ؟ قال إى والذى أنزل التوراة على موسى والذى يسمع ما تقول إنه لحق ، فقال عمر الحمد لله الذى أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم برحمته التى وسعت كل شئ ، ومن ذلك كتاب فروة بن عمر الجندى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ملوك العرب

بالشام ، فكتب إليه : سم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله من فروة بن عمر إلى مقر بالإسلام ، صدق ،
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأنه الذي بشره عيسى ابن مريم عليه السلام ، فأخذه هرقل
لما بلغه إسلامه وسجنه فقال والله لا أفرق دين محمد أبداً فإنك تعرف أنه النبي الذي بشره عيسى ابن مريم ،
ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقائه فقال قيصر صدق والإنجيل ، يشهد لهذا ما خرج البخاري ومسلم
من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم ،
فلما أخبر بها علم أنه رسول الله ، وقال إنه يملك موضع قدمي ولو خلصت إليه لفعلت قديمه ، ومن حديث
زيد بن أسلم عن أبيه وهو عندنا بالإسناد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج زمان الجاهلية مع ناس
من قريش في التجارة إلى الشام ، قال فلما لي سوق من أسواقها إذا أنا يطرق قد قبض على عتقي فذهبت
أنأزعه فقبل لي لا تفعل فإنه لا نصيب لك منه فأدخلني كنيسة فإذا تراب عظيم ملئ لجامي بزئيل ومجرقة قال
لي أقل ما ههنا لجلست أنظر كيف أصنع ، فلما كان من المهاجرة وإفاني وعليه ثوب أرى سائر جسده منه ،
فقال أتلك على ما أرى ما قلت شيئاً ، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغى فقلت واثكل أمك يا عمر أبلغت ما أرى
ثم وثبت إلى المجرة فضربت بها هامته فشرت دماغه ثم واريته في التراب وخرجت على وجهي لأأدرى
أين أسير فصرت بقية يومى وليقى من العد إلى المهاجرة فاتيت إلى دير فاستظلت بفناءه ففرج إلى رجل
منه فقال لي يا عبداً ما يقدمك هنا ، فقلت أضللت أصحابي ، فقال لي ما أنت على طريق وإنك لتنتظر بعينى
خائف ، فدخل فأصب من الطعام واسترح فدخلت فأأنى بطعام وشراب وأطمئنت ، ثم سعدت النظر
وصوبه ، فقال قد علم والله أهل الكتاب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب منى ، وإنى لأرى صفتك الصفة
التي نخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه ، فقلت يا هذا لقد ذهبت بي في غير مذهب ، فقال لي ما سمعك فقلت عمر
ابن الخطاب ، فقال أنت والله صاحبنا فآكتب لي على ديري هذا وما فيه ، فقلت يا هذا إنك قد صمت إلى
صنيعة فلا تكررها ، فقال إنما هو كتاب في رق ، فإن كنت صاحبنا فذلك ، وإلا لم يضرك شيء فكتب
له على ديره وما فيه ، فأثنى بيباب ودرهم فدفنها إلى ثم أوكف أنا فأنا فقال لي أترأها فقلت نعم ، قال سر
عليها فإنك لا تمر بقوم إلا سقوها وعلفوها وأضافوك فإذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة قائمهم يفعلون
بها كذلك حتى ترجع إلى قال فركبها فكان كما قال حتى لحقت بأصحابي وهم متوجهون إلى الحجاز ، فضربتها
مدبرة وأطلقت معهم ، فلما وافى عمر الشام في زمان خلافته جاءه ذلك الزاهد بالكتاب وهو صاحب
دير العرس فلما رآه عرفه ، فقال قد جاءه ما لا مذهب لعمرته ، ثم أقبل على أصحابي فحدثهم بحديثي فلما فرغ
منه أقبل على الزاهد فقال هل عندكم من نفع للسلين ، قال نعم يا أمير المؤمنين ، قال إن أضقت المسلمين
ومرضعتهم وأرشدتهم فلنا ذلك قال نعم يا أمير المؤمنين فوق له عمر رضى الله عنه ورحمه . وعن سيف
يرفعه إلى سالم بن عبد الله قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال السلام عليك يا فاروق ،
أنت صاحب إيلياء ؛ والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء .

ومن ذلك أن عمرو بن العاصى قدم المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أرسله إلى عمان وإلى عليها لجامه يوم اليهودى من يهود عمان
فقال له أشدك بالله ، من أرسلك إلينا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال اليهودى والله إنك لتعلم أنه

عَنِ النَّكَرِ وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • قُلْ يٰٓأَيُّهَا
النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ قَامِنًا بِاللَّهِ
وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الْبَاقِيَةِ وَكَلَّمْتَهُ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ • وَمَنْ قَوْمُ مُوسَىٰ ۙ اٰمَنُوْهُ يَهْدُوْنَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَعْدِلُونَ • وَقَطَعْنَاهُمْ اَثْقَىٰ عَشْرَةِ اَسْبَاطٍ اَمَّا وَاَوْحَيْنَاۤ اِلَىٰ مُوسَىٰ اِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ قَوْمُهُ اَنْ اَضْرِبْ

رسول الله، قال عمرو اللهم نعم، قال اليهودي لئن كان خفا ما نقول لقد مات اليوم فلما سمع عمرو ذلك جمع
أصحابه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودي أن النبي صلى الله عليه وسلم مات فيه، ثم خرج فأخبر بموت
النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق ووجده قد مات في ذلك اليوم صلى الله تعالى عليه وسلم وبارك وشرف
وكرم (ومن ذلك أن وفد غسان قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقبهم أبو بكر الصديق فقال لهم من
أنتم؟ قالوا رط من غسان قدمنا على محمد لنسمع كلامه، قال لهم انزلوا حيث نزل الوفود، ثم اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكلموه، فقالوا وهل تقدر على كلامه كما أردنا فقبم أبو بكر، وقال إنه لطوف بالأسواق
ويمشي وحده ولا شرقة معه وبرغب من يراه منه فقالوا لا يكر من أنت أيها الرجل، قال أنا أبو بكر بن
أبي قحافة، قالوا أنت تقوم بهذا الأمر بعده فقال أبو بكر الأمر إلى الله، قال لهم كيف تقدعون عن الإسلام
وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء ثم لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلبوا (بأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر) يحتمل أن يكون هذا من وصف النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة، فتكون
الجملة في موضع الحال من ضمير المفعول في يهدونه، أو تفسيرا لما كتب من ذكره أو يكون استئناف وصف
من الله تعالى غير مذكور في التوراة والإنجيل (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) مذهب مالك أن
الطيبات هي الحلال، وأن الخبائث هي الحرام، ومذهب الشافعي أن الطيبات هي المستغفرات والمستلذات إلا ما حرمه
الشرع منها كالخمر والخنزير، وأن الخبائث هي المستغفرات: كالخنافس والعقارب وغيرها (ويضع عنهم
إصْرَهُمْ) وهو مثل لما كلفوا في شرعهم من المشقات كقتل النفس في التوبة؛ وقطع موضع الجلوس من
الثوب، وكذلك الأغلال عبارة عما منع من شريعتهم كتحريم الشحوم وتحريم العمل يوم السبت وشبه
ذلك (وعزروه) أي منعه بالنصر حتى لا يقوى عليه عدو (واتبعوا النور الذي أنزل معه) هو القرآن
أو الشرع كله، ومعنى معه مع بعثه ورسالته (إني رسول الله إليكم جميعا) تفسيره قوله صلى الله عليه وسلم
وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى الناس كافة فأعرب جميعا حال من الضمير في إليكم (الذي له
ملك السموات والأرض) نعمت الله أو منصوب على المدح بإضمار فعل أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر
(يؤمن بالله وكلماته) هي الكتب التي أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء (ومن قوم موسى أمة) هم الذين يتوابعون
تزلزل غيرهم في عصر موسى أو الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم في عصره (وقطعناهم) أي فرقناهم (أسباطا)
السط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب واتصابه على البدل من اتقى عشرة لآلعي العبيد فإن تميزا حتى عشرة

بِصَاكِ الْحَجَرِ فَأَنْجَسَتْ مِنْهُ أَفْتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَجَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ
الْعَنَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ • وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ
اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ حُدُودًا تَقَرَّبْكُمْ حَبِيبَتُكُمْ سَرِيدُ
الْمُحْسِنِينَ • فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجَالًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَظْلِمُونَ • وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَمْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ
شُرًّا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ • وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا
أَلَهُمْ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعْذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ • فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا
الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزَابٍ مَبِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ • فَلَمَّا حَتَّوْا عَنْ مَانِهِمْ عَنْهُ

لا يكون إلا مفردا ، وقال الزعفراني على التفسير ، لأن كل قبيلة أسباطا لا بسط (فانجست) أي اضمحرت إلا أن
الانجاس أخف من الانجاس وقال القزويني الانجاس : أول الانجاس (وظللا عليهم الغمام) وما بعده إلى قوله
بما كانوا يظلمون مذكور في البقرة (تنبيه) وقع الاختلاف في اللفظين هذا الموضع من هذه السورة وبين
سورة البقرة في قوله اضمحرت وانجست وقوله وإذ قلنا ادخلوا ، وإذ قيل لهم اسكنوا وقوله وكلوا بالواو
وفكلوا بالغاء ، فقال الزعفراني : لأبأس باختلاف المبارتين إذ لما يكن هنالك تناقض ، وعلاها شيخنا
الاستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتاب ملاك التأويل وصاحب الدرر تبليغات منها قوية وضيفة وفيها
طول ذكرناها لعلها (واسئلهم) أي أسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ (عن القرية) قيل هي إيلياء ،
وقيل هي طبرية ، وقيل مدين (حاضرة البحر) قرية منه أو على شاطئه (إذ يمدون في السبت) أي يتجاوزون
حد الله فيه ، وهو اصطلاحهم يوم السبت ، وقد نهوا عنه وموضع إذ بدل من القرية والمراد أهلها وهو بدل
اشتغال أو منصوب بكانت أو بحاضرة (إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرطا) كانت الحيتان تخرج من البحر يوم
السبت حتى تصل إلى بيوتهم ابتلاء لهم إذ كان صيدها عليهم حراما في يوم السبت ، وتغيب عنهم في سائر
الأيام ، وسببهم مصدر من قولك سبت اليهودي سبت إذا عظم يوم السبت ، ومعنى شرطا ظاهرة قرية منهم
يقال شرع منا فلان إذا دنا وإذ في قوله إذ تأتيتهم منصوب يمدون ، أو بدل من إذ يمدون (وإن ذلك أمة
منهم لم يمدون قوما) الآية : افرقت بنو إسرائيل ثلاث فرق : فرقة عصت يوم السبت بالصيد وفرقة نهت عن
ذلك واعتزلت القوم وفرقة سكنت واعتزلت ، فلم ته ولم تنص ، وأن هذه الفرقة لما رأت مهاجرة الناهية
وطغيان العاصية قالوا للفرقة الناهية : لم تعظون قوما يهد الله أن يهلكهم أو يعذبهم ، فقالت الناهية تنهاتهم معذرة
إلى الله ولعلهم يتقون ، فهلكت الفرقة العاصية ، ونجت الناهية ، واختلف في الثالثة هل هلكت لسكونها أو نجيت
لاعتزالها وتركها العصيان (بعذاب مبس) أي شديد ، وقري بالحمر وتركه ، وقري على وزن فاعيل وعلى وزن
فعل وكلها من معنى البؤس (فلما حتوا عما نهوا عنه) أي لما تكبروا عن مأنهوا عنه (قلنا لهم كونوا قردة

قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ • وَإِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَيِّنَ لَهُمِ الْيَوْمَ الْقِيَمَةَ مِنْ يُسْئِرُهُمْ سِوَى الْعَذَابِ
إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوْرٌ رَحِيمٌ • وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمَا نَتَمُومُ الصَّالِحِينَ وَمَنْهُمْ ذُو ذَاكَ
وَبَنَاتُهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ • غُلْفٌ مِنْ بَدَنِهِمْ خَلْفٌ وَرَوُّوا الْكُتُبَ يَأْخُذُونَ عَرْضَ
هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرْضٌ مِثْلُ مَا يَأْخُذُونَ أَلَمْ يُؤْخَذْ لَهُمْ مِثْلُ الْكُتُبِ أَنْ لَا يَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالنَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ • وَالَّذِينَ يَمَسُكُونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ • وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلُومٌ ثَقِيلَةٌ فَأَنزَلْنَاهُمْ غُلُومًا • أَلَيْسَ

عاشين) ذكر في البقرة ، والمعنى أنهم عذبوا أولا بذاب شديد فضعوا بذلك فسحوا قرده ، وقيل فلما عتوا
تكرار لقوله فلما نسوا ، والذاب البئس هو المسخ (تأذن ربك) عزم ، وهو من الإيذان بمعنى الإعلام
(ليبيّن عليهم) الآية أى يسلط عليهم ، ومن ذلك أخذ الجزية ، وهو أنهم في جميع البلاد (وقطعناهم في
الأرض) أى فزقناهم في البلاد ، ففى كل بلدة فرقة منهم ، فليس لهم إقليم يملكونه (منهم الصالحون) هم من
أسلم كعبده بن سلام أو من كان صالحا من المتقين منهم (بالحسنات والسيئات) أى بالنعم والتقصير
(غلّف من بدنه غلّف) أى حدث بدنه قوم سوء ، والغلّف يسكون اللام ذم ، ويقسمها مدح ، والمراد من
حدث من اليهود بعد المدكورين ، وقيل المراد النصارى (يأخذون عرض هذا الأدنى) أى عرض الدنيا
(ويقولون سيفغر لنا) ذلك اغترار منهم وكذب (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو لفعال يرجون
المغفرة وهم يهودون إلى مثل فعلهم (ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق) إشارة إلى كلمتهم
في قولهم سيفغر لنا وإعراب ألا يقولوا غلّف يان على ميثاق الكتاب أو تفسير له أو تكون أن حرف
جارة وتفسير (والذين يسكون بالكتاب) قرئ بالتشديد والتخفيف ؛ وهما بمعنى واحد ، وإعراب
الذين صلّف على الذين يتقون ، أو مبتدأ وخبره إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ، وأقام ذكر المصلحين مقام
الصغير ، لأن المصلحين هم الذين يسكون بالكتاب (وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ) أى اقلعنا الجبل ورفعناه
فوق بنى إسرائيل وقلنا لم خذوا التوراة حين أبوا من أخذها ، وقد تقدم في البقرة تفسير الظلة وغدوا
ما آتيناكم بقوة (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ) الآية :
في معناها قولان : أحدهما أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل النذر ، وأخذ عليهم العهد
بأنه ربهم ، فأقروا بذلك والزموه ، روى هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طرق كثيرة
وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم ، والثانى أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية جارة عن إعادتهم
في الدنيا وأما إعادتهم ففساه أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته فتشبهت بها عقولهم فكانه أشهدهم
على أنفسهم ، وقال لهم ألسن ربكم وكأنهم قالوا بلسان الحال بلى أنت ربنا ، والاول هو الصحيح لتواتر الأخبار
به ، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابق بظاهرهما ، فذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابق بتأويل
وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضى أن أخذ الذرية من بنى آدم ، والجمع

جُودَةً وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَكُمْ تَقْوَى • وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ • أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ • وَكَذَلِكَ فَصَّلَ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ • وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا قَاتِبَهُ الْقَيْطَانُ فَمَكَانَ مِنَ الْقَاوِينَ • وَلَوْ شَاءَ لَرَفَعْنَاهُ بِهَؤُلَاءِ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَفَتْنَاهُ كَذَلِكِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتَرَكْهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ

بينما أنه ذكر بنى آدم في الآية والمراد آدم كقوله : ولقد خلقناكم ثم صورناكم : الآية ، وعلى تأويل لقد خلقنا أباكم آدم من صورته ، وقال العنشى : إن المراد بنى آدم أسلاف اليهود ، والمراد بنيتهم من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الصحيح المشهور أن المراد جمع بنى آدم حسباء كرهناه (قالتوا على شهادته) قولهم بلى إقرار منهم بأن الله ربهم ، فإن قدره أنت ربنا ، فإن بلى بعد التقرير تقتضى الإيجاب وبخلاف لم فلها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضى الإيجاب وإذا وردت بعد التقرير تقتضى النفي ، ولذلك قال ابن عباس في هذه الآية لو قالوا نعم لكفروا ، وأما قولهم شهدنا : فعناه شهدنا بربوبيتك فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عند الله ، وقيل إن شهدنا من قول الله والملائكة أى شهدنا على بنى آدم باعتراضهم (أن) تقولوا يوم القيامة (في موضع مفعول من أجله : أى فعلنا ذلك كراهية أن تقولوا ، فهو من قول الله لا من قولهم ، وقرئ بالثاء على الخطاب لبنى آدم ، وبالياء على الإخبار عنهم) (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) قال ابن مسعود : هو رجل من بنى إسرائيل يصوم على السلام إلى ملك مدين دعا إلى الله فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل ، وأضل الناس بذلك وقال ابن عباس هو رجل من الكنعانيين اسمه يلهم بن باحوراء كان عنده اسم الله الأعظم ، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون : سألوهم يلهم أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا عليه موسى ألا يأتى إلى أعطيها على هذا القول : هى اسم الله الأعظم وعلى قول ابن مسعود هى ما عليه موسى من الشريعة ، وقيل كان عنده من صف إبراهيم ، وقال عبدة بن عمرو بن العاصى : هو أمية بن أبى الصلت ، وكان قهواً ونباحاً وحكمة وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ، ثم رجع عن ذلك ومات كافراً ، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم كاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم ، فالآية على هذا ما كان عنده من السلم والانسلاخ عبارة عن البعد والانفصال منها كالانسلاخ من الثياب والجلد (ولو شئت لرفعناه بها) أى لرفعنا منزلته بالآيات التى كانت عنده (ولكنه) أخلد إلى الأرض) عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله (فتنه كذل الكلب) أى صفته كهفة الكلب : وذلك غاية في الخسة والرداءة (إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) الله هو نفس بسرعة وتحريك أعضائه ثم وخروج اللسان ، وأكثر ما يسترى ذلك الحيوانات مع الحر والتعب ، وهى حالة دائمة للكلب ، ومعنى إن تحمل عليه إن تحمل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره أو تتركه دون أن تحمل عليه ، فهو يلهث على كل حال ، ووجه تشبيه ذلك الرجل به أنه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال ، فضلالته على كل حال

الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ . سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ . مَنْ يَدْعُ اللَّهَ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضِلَّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لَهُمْ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ . وَفِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى قَادَعُهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِنُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَمْسَلُونَ . وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَهْدُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ . أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنْ هُوَ

كَأَنَّ لَهْ الْكَلْبِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَقِيلَ إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ خَرَجَ لِسَانَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَصَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ فِي صَوْرَتِهِ وَلَهُ حَقِيقَةُ (ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أَيْ صِفَةُ الْمَكْذِبِينَ كَصِفَةِ الْكَلْبِ فِي لَهْ وَكَصِفَةِ الرَّجُلِ الْمَغْبِي بِهِ لَأَنَّهُمْ إِنْ أَنْزَلُوا لَمْ يَهْتَدُوا ، وَإِنْ تَزَكَّوْا لَمْ يَهْتَدُوا ، وَشَبَّهِمُ بِالرَّجُلِ فِي أَنَّهُمْ رَأَوْا آيَاتِ وَالْمَعْجُزَاتِ فَلَمْ تَفْعَلْهُمْ ، كَأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَنْفَعْهُ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْآيَاتِ (سَاءَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ) الْآيَةُ : قَدِمَ هَذَا الْقَوْلُ لِلْإِخْتِصَاصِ وَالْحَصْرِ (كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) هُمُ الَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِكَفَرِهِمْ ، فَأَعْبَرُ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ ذَلِكَ كَأَجَاءٍ فِي قَوْلِهِ مَوْلَاهُ الْجَنَّةُ لَا بَالِي ، وَمَوْلَاهُ النَّارُ وَلَا بَالِي (لَا يَبْصُرُونَ بِهَا) لَيْسَ الْمُنَى فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ جَمْعًا ، وَإِنَّمَا الْمُنَى تَعْيِينًا مَا يَنْفَعُ فِي الَّذِينَ (وَفِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ قَدْرَ تَسْمَةِ وَتَسْمُونَ اسْمًا مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةُ . وَسَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ : أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَمَعَ اللَّهُ سَمْعَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ يَقْرَأُ فَيَذْكُرُ اللَّهَ مَرَّةً ، وَالرَّحْمَنُ أُخْرَى ، فَقَالَ يَرْجُمُ عَمْدَ أَنْ إِلَهِهُ وَاحِدٌ وَهَاهُوَ يُعْبَدُ آلَهُ كَثِيرَةً ، فَذَكَرَ الْآيَةَ مِثْلَ أَنْ تَكُنِ الْأَسْمَاءُ الْكَثِيرَةُ هِيَ الْمَسْمُوعُ وَاحِدٌ ، وَالْحُسْنَى مَصْدَرٌ وَصَفٌ بِهِ أَوْ تَأْنِيثٌ أَحْسَنُ وَحَسَنُ أَسْمَاءِ اللَّهِ هِيَ أَنَّهُ صَافَةٌ مَدْحٌ وَتَعْظِيمٌ وَتَحْمِيدٌ (قَادَعُهُ بِهَا) أَيْ سَمَّوَهُ بِأَسْمَائِهِ ، وَهَذَا إِبَاحَةٌ لِإِطْلَاقِ الْأَسْمَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ أَوِ الْحَدِيثِ ، فَيُجُوزُ إِطْلَاقُهُ عَلَى اللَّهِ إجمالًا وَأَمَّا مَا يَرِدُ فِيهِ مَدْحٌ لَاتَعْلُقُ بِهِ شَيْءٌ ، فَأَجَازَ أَبُو بَكْرٍ الطَّيِّبُ إِطْلَاقَهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْعَ ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ وَغَيْرِهِ ، وَرَأَوْا أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابِ التَّرْمِذِيِّ حَدِيثُهَا عَنْ تَعْيِينِ التَّسْمَةِ وَالتَّسْمِينَ ، وَاخْتَلَفَ الْمُحَدِّثُونَ هَلْ تَكُنِ الْأَسْمَاءُ الْمَعْدُودَةُ فِيهِ مَرْفُوعَةً إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَوْ مَوْقُوفَةً عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَإِنَّمَا الَّذِي وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ كَوْنُهَا تَسْمَةً وَتَسْمِينَ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِنُونَ فِي أَسْمَائِهِ) قِيلَ مَعْنَى ذَرَوْا أَتْرَكُوهُمْ لَا تَحْجُجُوهُمْ وَلَا تَمْزُجُوا لَهُمْ ، فَالْآيَةُ عَلَى هَذَا مَنْسُوخَةٌ بِالْقِتَالِ ، وَقِيلَ مَعْنَى ذَرَوْا الْوَعِيدَ وَالتَّهْدِيدَ كَقَوْلِهِ : وَذَرْنِي وَالْمَكْذِبِينَ ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ لِمَا بَعْدَهُ وَالْحَادِثُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ : هُوَ مَا قَالَ أَبُو جَهْلٍ قَدْ ذَكَرْتُ الْآيَةَ بِسَبِيهِ ، وَقِيلَ تَسْمِيَتُهُ بِمَا لَا يَلِيقُ ، وَقِيلَ تَسْمِيَةُ الْأَصْنَامِ بِأَسْمَاءِ كَأَشْتِقَاقِهِمُ اللَّاتِ مِنَ اللَّهِ ، وَالْعَزَى مِنَ الْعَزِيرِ (وَمَنْ) خَلَقْنَا أُمَّةً) الْآيَةُ رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : هَذِهِ الْآيَةُ لَكُمْ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُهَا لِقَوْمِ مُوسَى (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ) الْإِسْتِدْرَاجُ اسْتِفْهَالٌ مِنَ الدَّرَجَةِ أَيْ نَسُوهُمْ إِلَى الْهَلَاكِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ،

إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ • أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ هَؤُلَاءِ أَتَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ قَبْلَى حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ • مَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا هَادَى لَهُ وَيَذَرْنَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَجْمَعُونَ • يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِئُهَا لَوْحٌ أَوْ قَلَمٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَشْعَةً يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ • هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ

والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة (إن كيدى متين) سمى فعله بهم كيدا لأنه شديد بالكيد في أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان (أو لم يفكروا مباحصهم من جهة) يعني مباحصهم التي صلى الله عليه وآله وسلم ، فتقضى عنه ما نسب له المشركون من الجنون ، ويحتمل أن يكون قوله مباحصهم من جهة معمولاً لقوله أو لم يفكروا فيقول به ، والمعنى : أو لم يفكروا فيعلمون أن مباحصهم من جهة ، ويحتمل أن يكون الكلام قد تم في قوله : أو لم يفكروا ثم ابتدأ إخبار الاستئناف لقوله مباحصهم من جهة ، والاول أحسن (أو لم ينظروا) يعني نظر استدلال (ماخلق الله) عطف على الملكوت ويعني بقوله من شيء : جميع المخلوقات إذ جميعها دليل على وحدانية عائلتها (وأن صى أن يكون قد اقترب أجالهم) أن الأولى مخففة من التثنية ، وهي عطف على الملكوت ، وأن الثانية مصدرة في موضع رفع بصبى ، وأجلهم يعني موتهم ، والمعنى لعلمهم بموتهم عن قريب ، فينبغي لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل (قبلى حديث بعده) الضمير للقرآن (يسألونك عن الساعة) السائلون اليهود أو قريش ، وصحبت القيامة ساعة لسرعة حسابها كقوله : وما أسر الساعة إلا كلنج البصر أو هو أقرب (أيان مرساه) معنى أيان : متى ، ومرسأها : وقوعها وحدوثها ، وهي من الإرساء بمعنى الثبوت (قل إنما عليها عند ربى) أى استأثره بعلم وقوعها ولم يطلع عليه أحد (لا يجليها لوقتها إلا هو) معنى يجليها يظهرها ، فهو من الجلاء خذلانها ، واللام في لوقتها ظرفية : أى عند وقتها ، والمعنى لا يظهر الساعة عند مجيئ وقتها إلا الله (تقلت في السموات والأرض) في معناه ثلاثة أقوال : الأول قلت على أهل السموات والأرض لطيفتها عديم وخوفهم منها ، والثاني قلت على أهل السموات والأرض أنفسهم لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض ، والثالث معنى قلت : أى قل عليها أى غنى (يسألونك كأنك حفى عنها) الحفى بالشئ هو المهتبل بالمعنى به ، والمعنى : يسألونك عنها كأنك حفى بعلها وقيل المعنى يسألونك عنها كأنك حفى بهم لقربك منهم ، فنها على هذين القولين يتعلق يسألونك ، وقيل المعنى يسألونك كأنك حفى بالسؤال عنها (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) برأية من علم الغيب ، واستدلال على عدم علمه (وما مسمى السوء) عطف على لاستكثرت من الخير أى لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير ، واحترست من السوء ولكن لا أعلمه فيصنئ ما قدر لي من الخير والشر ، وقيل إن قوله وما مسمى السوء : استئناف إخبار ، والسوء على هذا هو الجنون واتصاله بما قبله أحسن (لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق ببشرى ونذير مما أى أبشر المؤمنين

إِلَيْهَا فَلَمَّا تَفَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَرَتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهَا لَنِّ أَنْ آتَيْتَنِي صَاحِباً تُكُونُ مِن
الشُّكْرِينَ • فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِباً جَلَّالَهُ شَرَّكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَفَعِلَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ • أَشْرَكُونَ مَا يَخْلُقُ
شَيْئاً وَهُمْ يَحْكُمُونَ • وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ • وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَسْحَدِ لَا يُبِتِقُوا
سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَدْعَوْتُكُمْ أَمْ أَمَّيْتُمْ صُنْتُمْ • إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَشْكَالُكُمْ قَادِعُوا عَنَّا فَعَلُوا

وأشركم ، ونخص بهم البشارة والنذارة ، لأنهم هم الذين يتصفون بها ، ويعوز أن يتعلق بالبشارة وحدها ،
ويكون المتعلق بنذير يخدوف أى نذير للكافرين ، والأول أحسن (من نفس واحدة) يعنى آدم (زوجها) يعنى
حواء (ليكن إليها) يميل إليها ويستأنس بها (تفشاهها) كناية عن الجماع (حملت حملاً خفيفاً) أى خف عليها ولم
تلق منه ما يلحق بعض الحوامل من حملهن من الأذى والكره ، وقيل الحمل الخفيف الذى فى فرجها (فرت به)
قبل معناه استترت به إلى حين ميلاده ، وقيل معناه قامت وقعدت (فلما أثقلت) أى ثقل حملها وصارت به ثقيلاً
(لئن آتيتننا صالحاً) أى ولداً صالحاً سالماً فى بدته (فلما آتاهما صالحاً جملناه شركاء فيما آتاهما) أى لما آتاهما
ولداً صالحاً كاملاً : جعل أولادهما شركاء بالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك
فما آتاهما : أى فيما آتى أولادهما وذريتهما ، وقيل إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها : إن أعطيتنى
وصحيت ما فى بطنك عبد الحارث ، فأخلصك ، وكان اسم إبليس الحارث ، وإن صحيتنى فى ذلك قتلتك ،
فأخبرت بذلك آدم ، فقال لها إنه عدو لنا الذى أخرجنا من الجنة ، فلما ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى
فقال لها إبليس مثل ذلك ، فنصته فات الولد ثم حملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث طمعاً فى حياته ، قوله جملناه
شركاء فيما آتاهما : أى فى التسمية لا غير ، لافى عبادة غير الله ، والقول الأول أصح لثلاثة أوجه : أحدها
أنه يقتضى برائة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والثانى
أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته لقوله تعالى : فعلى الله مما يشركون بعضهم الجمع ، والثالث
أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يقتضى إلى قول يستد صحيح ، وهو غير موجود فى تلك
القصة ، وقيل من نفس واحدة هو قصى بن كلاب وزوجه وجملناه شركاء أى سموا أولادهما عبد العزى
وعبد الدار وعبد مناف ، وهذا القول بعيد لوجهين أحدهما أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصى من قریش
والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم ، والآخر أن قوله وجعل منها زوجها ، فإن هذا يصح فى حواء لأنها خلقت
من ضلع آدم ، ولا يصح فى زوجة قصى (أشركون ما يخلق شيئاً وهم يحكمون) هذه الآية رد على المشركين
من بني آدم ، والمراد بقوله ما يخلق شيئاً الأصنام وغيرها مما عبد من دونه الله ، والمعنى أنها مخلوقة غير
خالقة ، والله تعالى خالق غير مخلوق فهو الإله وحده (ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينجون) يعنى أن
الأصنام لا ينصرون من عدم ، ولا ينصرون أنفسهم فهم فى غاية العجز والدلة ، فكيف يكونون آلهة (وإن
تدعواهم إلى الهدى لا يتبعوكم) يعنى أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدي أولى أن تهدي ، لأنها جامادات
(سواء عليكم أَدْعَوْتُكُمْ أَمْ أَمَّيْتُمْ صُنْتُمْ) تأكيد ويان لمسا قبلها ، فإن قيل : لم قال أم أمم صامتون فوضع الجملة
الإسمية موضع الجملة الفعلية وهلا قالوا صمتهم ؟ فالجواب إن صمتهم عن دعاه الأصنام كانت حالة مستمرة فعبهنا

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَيْدِ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَعْيُنْ يُصِيرُونَ بِهَا أَمْ لَمْ
 أَذْأَنْ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كَيْدُونَ فَلَا تَنْظُرُونَ ۝ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ هُوَ يَتَوَلَّى
 الصَّالِحِينَ ۝ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَتَاهُمْ نَصْرُونَ ۝ وَلَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَدَى
 لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۝

بجملة إسمية لتقتضي الاستمرار على ذلك (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) رد على المشركين بأن
 آلهتهم عباد؛ فكيف يبدد العبد معربه (فادعهم فليستجروا) أمر على جهة التحجيز (أم لم أرجل يمشون بها)
 وما بعده: معناه أن الأصنام جمادات عديمة للحس والجوارح والحياة والقدرة، ومن كان كذلك: لا يكون
 إلها، فإن من وصف الإله الإدراك والحياة والقدرة؛ وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام، لأن المشركين
 مقررون أن أصنامهم لا تمشي ولا تمشي، ولا تبصر، ولا تسمع، فلزمته الحجة، والمهمزة في قوله «ألم»
 للاستفهام مع التوبيخ، وأم في المواضع الثلاثة تضمنت معنى المهمزة، ومعنى بل وليست عاطفة (قل
 ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تظنون) المعنى استجدوا أصنامكم لمضرتي والكيد علي، ولا تخزوني،
 فإنكم وأصنامكم لا تقدرون على مضرتي، ومقصد الآية إرد طغيانهم ببيان عجز أصنامهم وعدم قدرتها على
 المضرة، وفيها إشارة إلى التوكل على الله والاعتصام به وحده وأن غيره لا يقدر على شيء ثم أضحى بذلك
 في قوله (إن ولي الله) الآية: أي هو حافظي وناصري منكم فلا تضروني ولو حرصتم أتم وألتمكم على
 مضرتي، ثم وصف الله بأنه الذي أنزل الكتاب، وبأنه يتولى الصالحين، وفي هذين الوصفين استدلال على
 صدق النبي صلى الله عليه وسلم بإزالة الكتاب عليه، وبأن الله تعالى حفظه، ومن تولى حفظه فهو من الصالحين
 والصالح لا بد أن يكون صادقا في قوله ولا سيما فيما يقوله عن الله (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
 نصركم) الآية: رد على المشركين، وقد تقدم معناه (وإن تدعهم إلى الهدى لا يسمعون) يحتمل أن يريد الأصنام
 فيكون تحقيرا لهم، ورذا على من عبدها، فإنها جمادات لا تسمع شيئا، فيكون المعنى كالذي تقدم، أو يريد
 الكفار، ووصفهم بأنهم لا يسمعون يعني سمعا يتفقون به، لا فراط قودهم، أو لأن الله طبع على قلوبهم
 (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) إن كان هذان من وصف الأصنام، فقله ينظرون مجاز، وقوله لا يبصرون
 حقيقة، لأن لهم صورة الآعين وهم لا يرون بها شيئا، وإن كان من وصف الكفار فينظرون حقيقة ولا
 يبصرون مجازا على وجه المبالغة كما وصفهم بأنهم لا يسمعون (خذ العفو) فيه قولان أحدهما أن المعنى خذ من
 الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومما شرته مما تيسر لا ما يشق عليهم، ثلثا ينقروا فالعفو على هذا بمعنى السهل
 والصفح عنهم، وهو ضد الجمل والتكليف كقول الشاعر ۝ خذ العفو مني تستدبني مودتي ۝

والآخر أن المعنى خذ من الصدقات ما سهل على الناس في أموالهم أو ما فضل لهم، وذلك قبل فرض الزكاة،
 فالعفو على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة (وأمر بالعرف) أي بالمعروف وهو فعل الخير وقيل العفو
 الجاري بين الناس من الموائد، واحتج المالكية بذلك على الحكم بالموائد (وأعرض عن الجاهلين) أي
 لا تكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم واحلم عنهم، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم

وَلَمَّا يَنْزَغَنَّ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ أَقْرَبُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ۝ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا قُلْ إِنَّمَا اتَّبَعْتُ مَا يَوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَافُ مَنْ مِنْ رَبِّكُمْ وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ

عليه وآله وسلم جبريل عنها ، فقال لأدري حتى أسأل ؛ ثم رجع فقال يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعلمي من حرملك ، وتفغوي عن ظلك ، وعن جعفر الصادق : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيها بمكارم الأخلاق ، وهي على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح ، وقيل كانت مداراة للكفار ، ثم نسخت بالقتال (ولما ينزغك من الشيطان نزغ) نزغ الشيطان وسوسته بالتشكيك في الحق والأمر بالمعصية أو تحريك الغضب ، فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك كما ورد في الحديث أن رجلاً اشتد غضبه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : (إني لأعلم كلمة لو قالها لأذهب عنه ما به : فعوذ بالله من الشيطان الرجيم (طائف من الشيطان) متناهية منه ، كما جاء إن الشيطان له والملك له ، ومن قرأ طائف بالآلاف ، فهو اسم فاعل ومن قرأ طيف بياح ساكنة ، فهو مصدر أو تخفيف من طيف المشددة ، كيت وميت (تذكروا) حذف مفعوله ليحم كل ما يذكر من خوف عقاب الله ، أو رجاء ثوابه أو مراقبته والحياة منه ، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه والنظر والاعتبار وغير ذلك (فإذا هم مبصرون) هو من بصيرة القلب (وإخوانهم يمدونهم في الغي) الضمير في إخوانهم للشياطين ، وأريد بقوله طائف من الشيطان : الجنس ، ولذلك أعيد عليه ضمير الجماعة وإخوانهم هم الكفار ، ومعنى يمدونهم : يمدون مددا لهم : يمدونهم ، وضمير المقول في يمدونهم للكفار ، وضمير الفاعل للشيطان ، ويحتمل أن يريد بالإخوان : الشياطين ، ويكون الضمير في إخوانهم للكفار ، والمعنى على الوجهين : أن الكفار يمدونهم الشيطان وقرئ يمدونهم بضم الياء وقسمها ، والمعنى واحد ، وفي النسخة يتعلق يمدونهم ، وقيل يتعلق بإخوانهم كما تقول إخوة في الله ، أو في الشيطان (ثم لا يقصرون) أي لا يقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم الكفار ولا يقصر الكفار عن غيهم ، وفي الآية من إدراك اليان لزوم ما لا يلزم بالاتزام الصادق قبل الراء في مبصرون ولا يقصرون (وإذا لم تأتكم بآية قالوا لولا اجتبتنا) الضمير فلم تأتكم الكفار ، ولولا هنا عوض ، وفي معنى اجتبتنا قولان : أحدهما اختارتها من قبل نفسك ، فالآية على هذا من القرآن ، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يتأخر عنه الوحي أحيانا ، فيقول الكفار هلا جئت بقرآن من قولك ، والآخر معناه طلبتها من الله ، وتفسيرها عليه ، فالآية على هذا معجزة ، أي يقولون اطلب المعجزة من الله (قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي معناه لا اخترع القرآن على القول الأول ولا أطلب آية من الله على القول الثاني (هنا بصائر) أي علامات هدى والإشارة إلى القرآن (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن الإنصات للمأمورة هو لقراءة الإمام في الصلاة ، والثاني أنه الإنصات للخطبة ، والثالث أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق وهو الراجع لوجهين : أحدهما أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه ، والثاني أن الآية مكية ، والخطبة إنما

وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ • إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ •

سورة الأنفال

مدنية لإمنا آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فكية وآياتها ٧٥ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ • إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ • إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رُبِّهِمْ يُتَوَكَّلُونَ • الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ •

شرعت بالمدينة (المككم زحون) قال بعضهم الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية (واذكر ربك نفسك) يحتفل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان أو الذكر باللسان سرا، فعل الأول يكون قوله: ودون الجهر من القول؛ حلف متناهي أي حالة أخرى، وعلى الثاني يكون يانا وقسمنا للأول (بالندو والأصال) أي في الصباح والمشي والأصال جمع أصل، قيل المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل فرض الحسن والأظهر الإطلاق (إن الذين عند ربك) هم الملائكة عليهم السلام، وفي ذكرهم تعريض للمؤمنين وتعريض للكفار (وله يسجدون) قدم المجرور لمخى المحصر أي لا يسجدون إلا لله والله أعلم

سورة الأنفال

نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغانمها (يسألك عن الأنفال) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والسائلون هم الصحابة، والأنفال هي الغنائم، وذلك أنهم كانوا يوم بدر ثلاث فرق: فرقة مع النبي صلى الله عليه وسلم في العريش تحرسه، وفرقة اتبعوا المشركين قتلهم وأسروهم، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا، فلما انتهت الحرب واجتمع الناس رأيت كل فرقة أنها أحق بالغنمة من غيرها، واختلوا فيما بينهم، فنزلت الآية ومعناها يسألك عن حكم الغنمة ومن يستحقها، وقيل الأنفال هنا ما ينقله الإمام لبعض الجيش من الغنمة زيادة على حظه، وقد اختلف الفقهاء هل يكون ذلك التفتيل من الحسن وهو قول مالك، أو من الأربعة الأقسام، أو من رأس الغنمة، قبل إخراج الحسن (قل الأنفال لله والرسول) أي الحكم فيها لله والرسول لا لكم (وأصلحو ذات بينكم) أي اتفقوا واتفقوا، ولا تنازعوا، وذات هنا بمعنى الأحوال، قاله البخاري، وقال ابن عطية يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته وقال الزبيري إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب (وأطيعوا الله ورسوله) يريد في الحكم في الغنائم، قال عبادة بن الصامت نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وسامت أخلاقنا، فزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قسمها على السواء، فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين (إنما المؤمنون) الآية: أي الكاملون الإيمان قائما هنا للتأكيد والمبالغة والمحصر (وجلت قلوبهم) أي خافت وقرأ أبي بن كعب فزعت (زادتهم إيماناً) أي قوى تصديقهم ويقينهم

أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ يَدْرَجُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَقَرَّةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ • كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ • يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ • وَإِذْ يَدْعُوكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُ لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيَّرَ ذَاتَ الشُّوْكَ تَكُونُ لَكُمْ وَرِيدُ اللَّهِ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ • لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيَطْلُبَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ • إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْغَلَّةِ مُرْدِفِينَ • وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَشْرًا وَلِيُطْلِعَنَّ

خَلْقًا لَمْ يَلِدْ إِنْ الْإِيمَانُ لَا يَرِيدُ وَلَا يَنْقُصُ ، وَإِنْ زِيَادَتُهُ لِنَافِعِهِ بِالْعَمَلِ (لَمْ يَدْرَجُوا) يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ (كَأَنَّمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ) فِيهِ ثَلَاثُ تَأْوِيلَاتٍ أَحَدُهَا أَنْ تَكُونَ الْكَافِرُ فِي مَوْضِعٍ رَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ إِذْ عَذُوفٌ تَقْدِيرُهُ هَذِهِ الْحَالُ كَمَا إِنْ خَرَجَ مِنْ مَوْضِعٍ فِي مَكَرَةٍ تَفْطِيلُ الْقَتْلِ كَمَا لَمْ يَكُنْ فِي حَالِهِ خُرُوجُكَ لِلْحَرْبِ ، وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْكَافِرِ نَصَبٌ عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ لِمَصْدَرِ الْفِعْلِ الْمَقْدَرِ فِي قَوْلِهِ الْإِنْفَالِ اللَّهُ وَالرَّسُولُ أَيْ اسْتَقَرَّتِ الْأَقْفَالُ وَالرَّسُولُ اسْتَقْرَارًا مِثْلَ اسْتَقْرَارِ خُرُوجِكَ ، وَالثَّالِثُ أَنْ تَعْلُقَ الْكَافِرُ بِقَوْلِهِ يُجَادِلُونَكَ (مِنْ بَيْتِكَ) يَعْنِي مَسْكَنَهُ بِالْمَدِينَةِ إِذْ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لِقَرَّةٍ بَدْرٍ (وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) أَيْ كَرِهُوا قَاتِلَ الْعَمَلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَدِيَّ قَرِيشٍ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ فِيهَا أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ ، وَمَعَهَا أَرَبُونَ رَاكِبًا فَأَخْبِرَ بِذَلِكَ جَبْرِيلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ بِالْمُسْلِمِينَ فَسَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلَ مَكَّةَ فَاجْتَمَعُوا وَخَرَجُوا فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ لِيُفْتَحُوا عَصْرَهُمْ قَتْلَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ يَمُودِينَ اللَّهُ فَوَعَدَكَ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، إِمَّا الْعَمْرُ وَإِمَّا قَرِيشَ ، فَاسْتَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، فَقَالُوا الْعَمْرُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ لِقَاءِ الْعَمْرِ ، فَقَالَ إِنْ الْعَمْرُ قَدْ مَضَى عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَهَذَا أَبُو جَهْلٍ قَدْ أَقْبَلَ ، فَقَالَ لِمَنْ بَدَنُ عِبَادَةٍ : أَمَضْتُ لِمَا شِئْتُ فَإِنَّا مُتَبَوِّكُونَ وَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ وَالَّذِي بَيْنَكَ بِالْحَقِّ لَوْ خَشِيتُ هَذَا الْبَحْرَ لَخَشِيتُ مَعَكَ فَرَسًا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ) كَانَ جِدَالُهُمْ فِي لِقَاءِ قَرِيشٍ بِأَيْتَانِهِمْ لِقَاءَ الْعَمْرِ إِذْ كَانَتْ أَكْثَرُ أَوَّلًا وَأَقْلَرُ رَجَالًا ؛ وَتَبَيَّنَ الْحَقُّ : هُوَ إِعْلَامُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُمْ يَنْصُرُونَ (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ) تَهْلِيهِ لِحَالِهِمْ فِي إِفْرَاطِ جَوْعِهِمْ مِنْ لِقَاءِ قَرِيشٍ (وَإِذْ يَدْعُوكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) يَعْنِي قَرِيشَ أَوْ عَصْرَهُمْ ، وَالْمَعْلُومُ فِي إِذْ عَذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَذْكَرُوا (أَنَّهُ لَكُمْ) يَدُلُّ عَلَى إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ (وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيَّرَ ذَاتَ الشُّوْكَ تَكُونُ لَكُمْ) الشُّوْكَ عِبَارَةٌ عَنِ السَّلَاحِ . سَمِعْتَ بِذَلِكَ لِحَذَرِهَا ، وَالْمَعْنَى نَحْوُونَ أَنْ تَلْقُوا الطَّائِفَةَ الَّتِي لَاسْلَاحَ لَهَا وَهِيَ الْعَمْرُ (أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ) يَعْنِي يَظْهَرُ الْإِسْلَامُ بِقَتْلِ الْكَافِرِ وَإِعْلَامِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ (لِيُحِقَّ الْحَقَّ) مَعْلُومٌ بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيَطْلُبَ الْبَاطِلَ فَعَلَّ ذَلِكَ وَلَيْسَ تَكَرَّرًا لِلأَوَّلِ لِأَنَّ الْأَوَّلَ مَفْعُولٌ بِرِيدٍ ، وَهَذَا تَعْلِيلٌ لِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالْحَقِّ الْأَوَّلِ الْوَعْدَ بِالنَّصْرِ ، وَبِالْحَقِّ الثَّانِي الْإِسْلَامَ : فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ عَصْرَهُمْ ، لِيُظْهَرَ الْإِسْلَامَ ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُهُ : وَيَطْلُبُ الْبَاطِلَ أَيْ يَطْلُبُ الْكُفْرَ (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) إِذْ يَدُلُّ مِنْ إِذْ يَدْعُوكُمُ : وَقِيلَ يَتَلَقَّ بِقَوْلِهِ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَأَفْضَلُ مَضْمُونٍ وَلِسْتَغَاثِهِمْ دَعَاؤُهُمْ بِالْمَوْتِ وَالتَّصَرُّعِ (عَدَكُمْ) أَيْ مَكْثَرَكُمْ (مُرْدِفِينَ) مِنْ قَوْلِهِ رَدَفَهُ إِذَا تَبَعَهُ ، وَأَرَدَفَهُ إِذَا تَبَعَهُ أَنْبَتَهُ إِذَا تَبَعَ وَالْمَعْنَى يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَمَنْ قَرَأَ فَتَفْتَحُ الدَّالَ هُوَ اسْمُ مَفْعُولٍ ، وَمَنْ قَرَأَ بِالْكَسْرِ فَهُوَ

بِه قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ • إِذْ يَفْشِكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجِزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ • إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَجِبُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَخْرَجُوا فَوْقَ الْأَعْتَاقِ وَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ • ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ •

اسم فاعل ، وصح معنى القراءتين لأن الملائكة المنزلين يتبع بعضهم بعضا فمنهم تابعون ومتبعون (وما جعله الله الضمير حاد على الوجد ، أو على الإمداد بالملائكة (إذ يفتشكم النعاس) إذ بدل من إذ يعدمكم أو منصوب بالنصر ، أو بما عند الله من معنى النصر ، أو بإظهار فعل تقدير ما ذكر ، ومن قرأ ينشأكم يضم الياء والتخفيف فهو من أغشى ، ومن قرأ بالغتم والتشديد فهو من غشى المشدد ، وكلاهما يتعدى إلى مفعولين فنصب النعاس على أنه المفعول الثاني ، والمعنى ينطيك به فهو استمارة ، من الغشاء ، ومن قرأ ففتح الياء والشين فهو من غشى المتعدى إلى واحد أي ينزل عليكم النعاس (أمنة منه) أي أمنا ، والضمير المجرور يعود على الله تعالى ، واتصاف أمنة على أنه مفعول من أجله قال ابن مسعود النعاس عند حضور القتال علامة أمن من العدو (ويزل عليكم من السماء ماء) تحديد لصفة أخرى ، وذلك أنهم عدوا الماء في غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر ، وقيل بعد وصولهم ، فأزل الله لهم المطر حتى سالت الأودية (ليطهركم به) كان منهم من أصابته جنابة فتطهر بماء المطر ، وتوضأ به سائرهم ، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطهر ولا للوضوء (ويذهب عنكم رجز الشيطان) كان الشيطان قد ألقى في قلوب بعضهم وسوسة بسبب عدم الماء ، فقالوا نحن أولياء الله وفيما رسوله فكيف نبقى بلا ماء ، فأزل الله المطر وأزال عنهم وسوسة الشيطان (وليربط على قلوبكم) أي يثبثها بوزال ما وسوس لها الشيطان وينضبطها وإزالة الكسل عنها (ويثبت به الأقدام) الضمير في به حاد على الماء ، وذلك أنهم كانوا في رمة دمه لا يثبت فيها قدم ، فلما نزل المطر تلبت وتدقت الطريق ، وسهل المشي عليها والوقوف ، وروى أن ذلك المطر بعينه صبب للطريق على المشركين تبين أن ذلك من لطف الله (إذ يوحى) يحتمل أن يكون ذلك بدلا من إذ المتقدمة كما أنها بدل من التي قبلها ، أو يكون العامل فيه يثبت (فتجربوا الذين آمنوا) يحتمل أن يكون التثنية بفتح الهمزة الملائكة مع المؤمنين أو بأقوال مؤنسة مقوية للقلب قالوا إذا تصوروا بصور بنى آدم أو بإلقاء الأمن في قلوب المؤمنين (سألتي في قلوب الذين كفروا الرعب) يحتمل أن يكون من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر تكبلا لتثيت المؤمنين ، أو استئناف إخبار عما فعله الله في المستقبل (فأخرجوا فوق الأعناق) يحتمل أيضا أن يكون خطابا للملائكة أو للمؤمنين ، ومعنى فوق الأعناق أي على الأعناق ، حيث المفصل بين الرأس والرقبة لأنه مذهب ، والضرب فيها يظهر الرأس ، وقيل المراد الرموس ، لأنها فوق الأعناق ، وقيل المراد الأعناق وفوق راحة (كل بنان) قيل هي المفصل ، وقيل الأصابع وهو الأشهر في اللغة ، وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسرموقه (ذلك بأنهم شاقروا الله ورسوله) الإشارة إلى ما أصاب

ذَلِكَ قُدُورُهُ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ عَذَابُ النَّارِ يَسَاءُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَاً فَلَا تُولُومُوا
الْأَدْبَارَ • وَمَنْ يُولَمْ يَوْمَهُ يَوْمَئِذٍ دَرَّةٌ إِلَّا مَتَحَرِّقًا لِقَتَالٍ أَوْ مَتَحَرِّقًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَآلُهُ
جَهَنَّمَ وَيُسَّرُّ الْمَصِيرُ • فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى • وَلَيْسَ لِلْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُ بِلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ • إِنْ تَسْتَفْتَحُوا فَقَدْ جَاءَ • كُمْ
الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَوَيْحٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعْدُ وَلَنْ نُنْفِ عَنْكُمْ قِتْلَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُؤْمِنِينَ • يَسَاءُ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ • وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

الكفار يوم بدر، والباء للتعليل، وشافوا من الشقاق وهو العداوة والمقاطعة (ذلك قُدُورُهُ) الخطاب هنا
للكفار، و«ذلك» مرفوع تقديره ذلك العقاب أو العذاب، ويحتمل أن يكون منصوبا بقوله : قُدُورُهُ ،
كقولك زيدا فاضربه (وأن الكافرين) عطف على ذلك هل تقدير رفته ، أو نصبه ، أو مفعول معه ، والواو
بمعنى مع (زحفا) حال من الذين كفروا ، أو من الفاعل في لقيتم ، ومعناه متقابل الصفوف والأشخاص ،
وأصل الزحف الاندفاع (فلا تولوم الأدبار) نهى عن الفرار مقيدا بأن يكون الكفار أكثر من مثل المسلمين
حسبا يذكره في موضعه (ومن يولم يومئذ) أى يوم القادى أى حصر كان (إلا متحرقا لقتال) هو الكرى بعد القرارى
صدوره أنه منهزم ، ثم يعطف عليه ، وذلك من الخنداق في الحرب (أو متحيرا إلى فتنة) أى متحازا إلى جماعة من
المسلمين ، فإن كانت الجماعة حاضرة في الحرب ، فالتحيز إليها جائز باتفاق ، واختلف في التحيز إلى المدينة ،
والإمام والجماعة إذا لم يكن شيئا من ذلك حاضرا ، ويروى عن عمر بن الخطاب ، أنه قال : أناقة لكل مسلم ،
وهذا الإباحة لذلك ، والفرار من الذنوب الكبائر ، واتصب قوله متحرقا على الاستثناء من قوله ومن يولم ، وقال
الزمخشري اتصب على الحال والإلتواء ، ووزن متحيز متفعلا ، ولو كان على متفعلا لقال متحوز ، لأنهم حازموا
(فلم تقتلوا) أى لم يكن قتلهم في قدرتهم لأنهم أكثر منكم وأقوى ولكن الله قتلهم بتأييدكم عليهم وبلائته (ومارميت
إذ رميت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب وحصى ورمى بها وجوه الكفار
فانهزموا ، فمضى الآية أن ذلك من الله في الحقيقة (بلاء حسنا) يعنى الاجر والنصر والغبنة (موهن) من
الوهن وهو الضعف ، وقرئ بالتفديد والتخفيف وهو بمعنى واحد (إن تستفتحوا) الآية : خطاب لكفار
قريش ، وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحب الطائفتين إليه ، وروى أن الذى دعا بذلك أبو جهل
فصر الله المؤمنين ، وقض لهم ، ومعنى إن تستفتحوا طلبوا الفتح ، ويحتمل أن يكون الفتح الذى طلبوه بمعنى
النصر أو بمعنى الحكم ، وقيل إن الخطاب للمؤمنين (قد جاءكم الفتح) إن كان الخطاب للكفار فالفتح
هنا بمعنى الحكم : أى قد جاءكم الحكم الذى حكم الله عليكم بالمعزة والقتل والأسر ، وإن كان الخطاب
للمؤمنين ، فالفتح هنا يحتمل أن يكون بمعنى الحكم ، لأن الله حكم لهم ، أو بمعنى النصر (وإن تقتلوا) أى
ترجعوا عن الكفر وهذا يدل على أن الخطاب للكفار (وإن تعودوا نعد) أى إن تعودوا إلى الاستفتاح
أو القتال نعد لقتالكم والنصر عليكم (ولا تولوا عنه) الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو للأمر

قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ • إِنَّ شَرَّ الدُّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ وَلَوْ عَلِمَ فِيهِمْ خَيْرًا
لَأَسْمِعَهُمْ وَلَوْ أَسْمِعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَأَعْلُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ • وَأَقْبُوا قِتَّةً لِلصَّيِّينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ
خَاصَّةً وَأَعْلُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ • وَادْكُرُوا إِذْ أَتَمَّ قَلِيلٌ مُسْتَضْفَعُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَمْتَصِفَكَ
النَّاسُ قَوْلَكُمْ وَآيِدُكُمْ بِصِرِّهِ وَرِزْقِكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ • وَأَعْلُوا إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ • وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُغْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمُكْرِمِينَ • وَلَئِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَفَعْنَا لَعَلَّنَا مِثْلَ هَذَا إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ • وَإِذْ
قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ • وَمَا كَانَ

بالطاعة (وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ) أى تسمعون القرآن والمواظع (كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) هم الكفار
سمعوا بأذانهم دون قلوبهم فصاعدهم كلا سماع (إن شر الدواب) أى كل من يدب، والقصد أن الكفار
شر الخلق، قال ابن قتية: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار، فانهم جدوا في القتال مع المشركين (لما
يحكيكم) أى للطاعة، وقيل للجهاد لأنه يحيا بالنصر (يحول بين المرء وقلبه) قيل بميته، وقيل يصرف
قلبه كيف يشاء فيقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان وشبه ذلك (فتنة لاصيين الذين
ظلموا منكم خاصة) أى لاصيب الظالمين وحدهم، بل تصيب معهم من لم ينصير المشرك ولم ينه عن الظلم،
وإن كان لم يظلم، وحكى الطبري أنها نزلت في علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وطلحة والزبير، وأن
الفتنة ما جرى لهم يوم الجمل، ودخلت التون في تصيين لأنه بمعنى التهى (إذ أنتم قليل) الآية: أى حين كانوا
بمكة وآراكم بالمدينة، وآيدكم بنصره في بدر وغيرها (لا تخفوا الله) نزلت في قصة أبي لابة حين أشار إلى
بني قريظة أن ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الذبح، وقيل المعنى لا تخفوا بظلول الغنائم ولنظها
عام (وتخفوا أماناتكم) عطف على لا تخفوا أو منصوب (يجعل لكم فرقانا) أى تفرقة بين الحق والباطل
وذلك دليل على أن التقوى تور القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة (وإذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا)
كفروا) عطف على إذ أنتم قليل، أو استئناف، وهى إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضرة إبليس
في صورة شيخ نجدى الحديث بطوله (ليثبتوك) أى ليسجنوك (قالوا قد سمعنا) قيل نزلت في النضر بن
الحارث كان قد تعلم من أخبار فارس والروم فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال لو شئت لقلت
مثل هذا، وقيل هى في سائر قريش (أساطير الأولين) أى أخبارهم المسطورة (وإذ قالوا اللهم) الآية :
قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعوا على أنفسهم إن كان أمره

الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون . وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصنّون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياءه إلا المتّحون ولكن أكثرهم لا يعلمون . وما كان صلاحهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّةً قدّوفاً العذاب بما كنتم تكفرون . إن الذين كفروا يفتنّون أمتهم ليصدّوا عن سبيل الله فيستغفونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنّم يحشرون .

ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعاً فيجعل في جهنّم أولئك هم الخاسرون . قل للذين كفروا إن يتوبوا فقد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين . وقتلّوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّهُ لله فإن اتّهوا فإن الله بما يعملون بصير . وإن تولّوا فاعلموا أنّ الله مولىّكم نعم المولى ونعم النصير . وأطعوا أمّا غنم من شيء فإنّ لله حسبه وللرسول

هو الحق ، والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل رواه البخاري ومسلم في كتابيها واتصّب الحق لانه خبر كان وقال الغضيري معنى كلامهم وجود أى إن كان هذا هو الحق فناقبتا على إنكاره ، ولكنه ليس بحق فلا تستوجب عقابا ، وليس مرادهم الدماء على أنفسهم ، إنما مرادهم نفي العقوبة عن أنفسهم (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) أى لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمان من العذاب ، قال بعض السلف : كان لنا أمانان من العذاب وهما وجود النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار ، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الأمان الواحد ، ونفى الآخر ، وقيل الضمير في يعذبهم الكفار ، وفي وهم يستغفرون للؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم (وما لهم ألا يعذبهم الله) المعنى أى شيء يمنع من عقابهم وهم يصدون أى يمنعون المؤمنين من المسجد الحرام والجملة في موضع الحال وذلك من الموجب لعذابهم (وما كانوا أولياءه) الضمير للمسجد الحرام أو لله تعالى (وما كان صلاحهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّةً) المكاء التصغير بالغم ، والتصديّة التصفيق باليد : وكانوا يفعلونها إذا وصل المسلمون ليخطوا عليهم صلاتهم (يفتنّون أمتهم) الآية تنزل في إفتان قريش في غزوة أحد وقيل إنها نزلت في أبي سفيان بن حرب فانه استأجر العير من الأحباش فقاتل بهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد (تكون عليهم حسرة) أى يتأسفون على إفتانها من غير قائمة أو يتأسفون في الآخرة (ثم يغلبون) إخبار بالغييب (ليميز الله الخبيث من الطيب) معنى يميز بفرق بين الخبيث والطيب هنا الكفار والطيب المؤمنون وقبل الخبيث ما أتقاه الكفار ، والطيب ما أتقاه المؤمنون ، واللام في ليميز على هذا تعلق يغلبون ، وعلى الأول يحشرون (فيركه) أى يضمه ويجعل بعضه فوق بعض (إن يتوبوا) يعنى عن الكفر إلى الإسلام لأن الإسلام يجب ما قبله ، ولا تصح المغفرة إلا به (وإن يعودوا) يعنى إلى القتال (قد مضت سنة الأولين) تهديد بما جرى لهم يوم بدر وما جرى للأمم السالفة (حتّى لا تكون فتنة) الفتنة هنا الكفر ، فالخبيث قاتلوم حتّى لا يبقى كافر ، وهو كقوله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلا الله (واعلموا

وَلَدَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْقُرْآنِ
يَوْمَ النَّقْيِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • إِذْ أَنْتُمْ بِالْمَدِينَةِ الدُّنْيَا وَمِنَ الْمَدِينَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكِبُ أَسْفَلَ
مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافٍ فِي الْمَعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ
وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ • إِذْ يَرِيكَمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَيْثًا لَفَسَدْتُمْ
وَلَتَشْرَعَنَّ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ • وَإِذْ يَرِيكَوهُمْ إِذِ الْفَتْحِ فِي - أَحْيَيْنَكُمْ قَلِيلًا
وَهَلَكَكُمْ فِي الْآخِرِ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَلِلَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ
قَوْمًا فَابْتَغُوا مِنْهُمْ فَاتِنًا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ • وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا الْفِتْنَةَ فَتُهَمِّشُوا
رَبِّكُمْ وَأَسْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ • وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرَكَاةً وَيَسْعَدُونَ

أما غنم من شيء لفظه عام برادها الخصوص لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار منها ما يخص : وهو ما أخذ
على وجه الغلبة بعد القتال ، ومنها ما لا يخص بل يكون جميعه لمن أخذه ، وهو ما أخذ من كان يلاذ الحروب من غير
إجبار ، وما طرحه العدو خوف الفرق ، ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذه من حاجته ، ويصرف سائرته في مصالح
المسلمين وهي التي لم يوجد عليه غيل ولا ركاب (فإن الله حسمه) الآية : اختلف في قسم الخنس على هذه الأصناف
فقال قوم يصرف على ستة أسهم سهمه في عمارة الكعبة ، وسهم للنبي صلى الله عليه وسلم في مصالح المسلمين ،
وقيل للوالي بعده ، وسهم للذي القربى الذين لا تحمل لهم الصدقة بسهم لليتامى ، وسهم للساكنين ، وسهم لابن السبيل
وقال الصافي على خمسة أسهم ، ولا يجعل شهما مختصا ، وإنما بدأ عنه بالله ، لأن الكل ملكه ، وقال أبو حنيفة
على ثلاثة أسهم : لليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وقال مالك الخنس إلى اجتهد الإمام بأخضته كفايته ويصرف
الباقى في المصالح (إن كنتم آمنتم بالله) واجمع إلى ما تقدم والمعنى إن كنتم مؤمنين فاطلوا ما ذكر الله لكم من قسمة
الخنس ، واعملوا بحسب ذلك ولا تخالفوه (وما أنزلنا على عبدنا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم والذي أنزل عليه القرآن
والنصر (يوم الفرقان) أي التفرقة بين الحق والباطل وهو يوم بدر (النقي الجمعان) يعني المسلمين والكفار (إذ أنتم
بالمدونة الدنيا) العامل في ذات النقي والمدونة شفيع الوادى ، وقرئ بالضم والكسر وهما الفتان ، والدنيا القرية من المدينة
والقصوى البعيدة (والركب أسفل منكم) يعني العير التي كان فيها أبو سفيان ، وكان قد نكب عن الطريق خوفا من النبي
صلى الله عليه وسلم ، وكان جمع قريش المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير (ولو تواعدتم لاختلقت في المعاد)
أي لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كبرهم وقتلكم لاختلقت ولم تجتمعوا معهم أو لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم
مثل ما اتفق تيسير الله لطفه (ليهلك من هلك عن بينة) أي يموت من مات يدور عن إعداؤه إقامة الحجة عليه ويمش من
حاش بعد اليان له ، وقيل ليهلك من يكفر ويحيى من يؤمن ، وقرئ من حي بالإظهار والإدغام وهما الفتان (أذير يكهم الله)
الآية : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى الكفار في نومه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فقويت أنفسهم (لفشتم) أي
جبتهم عن القام (وإذ يريكم) لا يستهان أن الله أظهر كل طائفة قليلة في عين الأخرى ليقع التجاسر على القتال (ربحكم)

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ عَظِيمٌ . وَإِذْ زَيْنَ لَهْمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَقَابَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ
وَأَيُّ جَارٍ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفَتَنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ
اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ . إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءُ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ . ذَلِكَ بِمَا قَعَمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ . كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
كَفَرُوا بَنَازِكِ اللَّهِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ . ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ لَم يَكُ مُبِرًّا نِّعْمَةً أَنفُسَهَا
عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُضَيِّرُوا مَا بَأْسُهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ فَأَمَلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالِ فِرْعَوْنَ وَكُلًّا كَانُوا ظَالِمِينَ . إِنَّا نَشَرُ الْأَوَّابَ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ عَلِمْتَ مِنْهُمْ فَمَنْ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ . فَإِنَّمَا تَشْفِقُهُمْ فِي الْحَرْبِ
تَشْرِدُهُمْ مِّنْ خَلْقِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ . وَلَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً قَانِذُ إِلَهُهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُبَيِّتُ
الْخَاسِرِينَ . وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقَ آلِهِمْ لَا يُسَبِّحُونَ . وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ

أَي قُوَّتِكُمْ وَفَسَاطِحِكُمْ ، وَذَلِكَ اسْتِعَارَةٌ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ، يَعْنِي كَقَارِ قَرِيشٍ حِينَ خَرَجُوا
لِبَدْرِ (بَطْرًا) أَيْ عَتَوْا وَتَكَبَّرُوا (وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) الْآيَةُ : لَمَّا خَرَجَتْ قَرِيشٌ إِلَى بَدْرِ تَصَوَّرَ لَهُمْ إِبْلِيسُ
فِي صُورَةِ سَرَّاقَةٍ بَنَازِكٍ فَصَالَ لَهُمْ (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) رَأَى الْمَلَائِكَةَ تَحَاتُلُ (يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ) الَّذِينَ
كَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَقِيلَ لِلَّذِينَ كَانُوا مَعَ الْكَفَّارِ وَمِنْ قَرِيشٍ مِنْهُمْ قَيْسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُنِيرَةِ وَأَبُو قَيْسٍ
ابْنُ الْفَاكَةِ بْنِ الْمُنِيرَةِ وَالْحَارِثُ بْنُ رَيْحَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ وَعَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خُلْفٍ وَالْمَعَاذِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ الْحُبَّاجِ
وَكَانُوا قَدْ أَسْلَبُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا وَخَرَجُوا يَوْمَ بَدْرِ مَعَ الْكَفَّارِ قَالُوا هَذِهِ الْقِتَالَةُ (غَزَا هَؤُلَاءُ دِينَهُمْ) أَيْ
أَخْذَ الْمُسْلِمُونَ بِدِينِهِمْ فَأَخَذُوا أَنْفُسَهُمْ فَيَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ) ذَلِكَ
فِيمَنْ قَتَلَ يَوْمَ بَدْرِ (وَأَدْبَارَهُمْ) أَيْ اسْتَطَاعَهُمْ ، وَقِيلَ ظُهُورَهُمْ (وَذُوقُوا) هَذَا مِنْ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ تَقْدِيرُهُ
وَيَقُولُونَ لَهُمْ ذُوقُوا وَالْقَوْلُ الْمَحْذُوفُ مَعْمُولُهُ مَطْوُوفٌ عَلَى يَضْرِبُونَ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَابَعْدَهُ مِنْ قَوْلِ
الْمَلَائِكَةِ أَوْ يَكُونَ مُسْتَأْنَفًا (ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ) تَقْدِيرُهُ عِنْدَ سَيَرِهِ الْأَمْرَ ذَلِكَ ، وَالْبَاءُ سَبَبِيَّةٌ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ
لَا يُضَيِّرُ نِعْمَةً عَلَى عِبِيدِهِ حَتَّى يُضَيِّرُوا مَا بَأْسُهُ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاذِيِّ (كَذَّابٌ) ذَكَرَ فِي آلِ عِمْرَانَ (الَّذِينَ هَادَتْ مِنْهُمْ)
يُرِيدُ بَنِي قُرَيْظَةَ (تَشْرِدُهُمْ مِنْ خَلْقِهِمْ) أَيْ أَفْلَحَ بِهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ مَا يَزْجُرُ غَيْرَهُمْ (وَلَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً)
أَيْ هَضَمَ الْعَهْدَ (قَانِذُ إِلَهُهِمْ) أَيْ رَدَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَالْمَعْمُولُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ قَانِذُ إِلَهُهِمْ عَهْدَهُمْ (عَلَى سَوَاءٍ)

الْحَيْلُ تُرْمُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْفُ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ • وَإِنْ جُنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْزَعْ لَهَا تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي ابْدَعَكُمْ وَبَنَصَّرَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُنْفِقُونَ • وَلَئِنْ لَمْ يَنْفِقُوا عَنْكَ لَأَكْفِكَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ • مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَكَلَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ • يَسْأَلُهَا الَّذِينَ هِيَ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتَيْتُكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • يَسْأَلُهَا الَّذِينَ هِيَ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ • أَلَمْ تَرَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ يَإِذْنَ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ • مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْشِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ • لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ • فَكُلُوا

أى على ، مائدة ، وقيل معناه إن تستوى معهم في العلم بنقض العهد (ولا تحسبن الذين كفروا سبغوا) أى لا تقن أنهم قاتوا ونجوا بأقسامهم (أنهم لا يعجزون) أى لا يعجزون في الدنيا ولا في الآخرة (وأعدوا لهم) الضمير للذين يبذلهم العهد أولئك لا يعجزون ، وحكمه عام في جميع الكفار (من قوة) قال الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ألا إن القوة الرمي ، (ومن رباط الحيل) قال الزحشرى الرباط اسم الخيل التى تربط في سبيل الله وقال ابن عطية رباط الخيل جمع ربط أو مصدر (هدو الله وعدوكم) يعنى الكفار (وآخرين) يعنى المنافقين . وقيل بنى قريظة ، وقيل الجن لأنها تفر من صهيل الخيل ، وقيل فارس ، والاول أرجح لقوله مردوا على التفاف (لا تعلمونهم الله يعلمهم) قال السبيل : لا يبنى أن يقال فيهم شيء ، لأن الله تعالى قال لا تعلمونهم ، فكيف يعلمهم أحد ، وهذا لا يلزم ، لأن معنى قوله لا تعلمونهم : لا تعرفونهم : أى لا تعرفون آسادهم وأعيانهم وقد يعرف صنفهم من الناس ، ألا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) السلم هنا المهادة ، والآية منسوخة بآية القتال في براءة ، لأن مهادة كفار العرب لا تنجز (وأنف بين قلوبهم) قيل المراد بين قلوب الأوس والخزرج إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام ، واللفظ عام (ومن أتيتك من المؤمنين) صلف على اسم الله ، وقال الزحشرى مفعول معه والواو بمعنى مع أى حسبك وحسب من أتيتك الله (إن يكن منكم عَشْرُونَ صَابِرُونَ) الآية : إخبار يتضمن وعدا بشرط الصبر ووجود ثبوت الواحد عشرة ثم نسخ بثبوت الواحد للثنتين (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) أى يقاتلون على غير دين ولا بصيرة فلا يثبتون (ما كان لى أن يكون له أسرى) لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر بجيائهم ، وأشار عمر بقتلهم . نزلت الآية عتابا على استبقائهم (حتى يشن في الأرض) أى يبايع في القتال (تريدون عرض الدنيا) عتاب لمن رغب في فساد الأسرى (لولا كتاب من الله سبق) الكتاب ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم ، وقيل ما قضاه الله

مَا غَنَمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَهْوَأَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ • يَأْتِيهَا النَّاسُ قُلُوبًا فِي أَيَدِكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَقَرَّ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَلَّهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَاقْتَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَدِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَصْرَوْكُمْ فِي الدِّينِ فَلْيُكَلِّمُ النَّصْرَ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ • وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضٍ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ إِلَّا تَعْلَوْهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ • وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَلَّهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَاقْتَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ • وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَلَّهُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

من تحليل الغنائم لهم (فيا أخذتم) يريد به الأسرى وقد أومأ ، ولما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : لو نزل طاب ما غنمت غيرك يا عمر (فكلوا مما غنمت) لإباحة للغنائم ولقد عاد الأسارى (إن يعلم الله في قلوبكم خيرا) أى إن علم في قلوبكم إيمانا جبر عليكم ما أخذ منكم من الفدية ، قال العباس في نزلت وكان قد اتدى يوم بدر ثم أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال ما لا يقدر أن يحمله ، فقال قد أعطاني الله خيرا مما أخذني ، وأنا أراجر أن يفقر (وإن يريدوا خيانتك) الآية تهديد لهم (إن الذين آمنوا) إلى آخر السورة مقصدها بيان منازل المهاجرين والأنصار والذين آمنوا لم يهاجروا والذين هاجروا وابدأ بالحديبية ، فبدأ أولا بالمهاجرين ، ثم ذكر الأنصار ثم الذين آووا ونصروا ، وأثبت الولاية بينهم ، وهى ولاية التعاون ثم نسخت بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (وإن استصروكم) لما نفي الولاية بين المؤمنين والناصر ، وقبل هى ولاية الميراث الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا : أمر بنصرهم إن استصروا بالمؤمنين : إلا إذا استصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد فلا ينصرونهم عليهم (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض) إلا المناصرة من إن الشرطية ولا التافية والضمير في تفعلوه لولاية المؤمنين ومماوتهم أو لحفظ الميثاق الذى في قوله : إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، أو النص الذى في قوله فليكن النص ، والمعنى إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة (والذين آمنوا وهاجروا) الآية : ثناء على المهاجرين والأنصار ، ووعدهم ، والرزق الكريم فى الجنة (والذين آمنوا من بعد) يعنى الذين هاجروا بعد الحديبية وبيعة الرضوان (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) قيل هى ناسخة لقوارث بين المهاجرين والأنصار ، قال مالك ليست فى الميراث ، وقال أبو حنيفة هى فى الميراث وأوجب بها ميراث الحال والعمة وغيرهما من ذوى الأرحام (فى كتاب الله) أى القرآن وقيل اللوح المحفوظ .

سورة التوبة

مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فكتبتان وآياتها ١٢٩ : نزلت بعد المائة

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ • فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْبُدُوا اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا عِبْتُمْ وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ خَيْرٌ مِمَّا عِبْتُمْ وَاللَّهُ يَبْشِرُ

(سورة براءة)

وتسمى سورة التوبة ، وتسمى أيضا الفاحشة : لأنها كشفت أسرار المناقطين ، واتفقت المصاحف والقراء على إسقاط البسمة من أولها ، واختلف في سبب ذلك ، فقال عثمان بن عفان اشتبهت معانيها بمعاني الأفعال وكانت تدعى القرينتين في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك قرنت بينهما فوضعتما في السبع الطوال وكان الصحابة قد اختلفوا هل هما سورتان أو سورة واحدة فركت البسمة بينهما لذلك وقال علي بن أبي طالب البسمة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ، فلذلك لم تبدأ بالآمان (براءة من الله ورسوله) المراد بالبراءة التبرؤ من المشركين وارتفاع براءة على أنه خبر ابتداء أو مبتدأ (إلى الذين عاهدتم من المشركين) تقدير الكلام براءة واصله من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فمن وإلى يتعلقان بمحذوف لا براءة ، وإنما استند المهد إلى المسلمين في قوله عاهدتم ، لأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم لازم للمسلمين ، فكانهم هم الذين عاهدوا المشركين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاهد المشركين إلى أجل محدودة ، فهم من وفي فأمر الله أن يتم عهده إلى مدته ، ومنهم من نقض ، وأقارب النقض لجعله أجل أربعة أشهر ، وبهذا لا يكون له عهد (فسيحوا في الأرض) أي سيروا آمنين أربعة أشهر وهي الأجل الذي جعل لهم ، واختلف في وقتها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، لأن السورة نزلت حينئذ وذلك عام تسعة ، وقيل هي من عيد الأضحي إلى تمام الشهر الأول من ربيع الآخر ، لأنهم إنما عاهدوا بذلك حينئذ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة تلك السنة أبا بكر الصديق يبعج بالناس ثم بمكة بعده علي بن أبي طالب قرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة وقيل يوم النحر (غير مجزئ الله) أي لا تقوتونه (وأذان) أي إعلام يبرئ الله تعالى ورسوله من المشركين (إلى الناس) جعل البراءة مختصة بالمعاهدين من المشركين ، وجعل الإعلام بالبراءة عاما لجميع الناس : من عاهد ، ومن لم يعاهد ، والمشركين وغيرهم (الحج الأكبر) هو يوم عرفة أو يوم النحر ، وقيل أيام الموسم كلها ، وعبر عنها بيوم كقولك يوم صفين والجل ، وكانت أمانا كثيرة (أن الله بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) تقديره أذان بأن الله بَرِيءٌ ، وحذفت الباء تحفيضا ، وقرئ إن الله بالكسر ، لأن الأذان في معنى القول (ورسوله) ارتفع بالطف على الضمير في بَرِيءٌ ، أو بالطف على موضع اسم إن ، أو بالابتداء وخبره محذوف وقرئ بالنصب صلف على اسم إن ، وأما الحذف فلا يجوز فيه الطف على المشركين لأنه ممنى فاسد ويجوز على الجوار أو القسم ، وهو مع ذلك بعيد والقراءة به شاذة (فإن تبتم) يعني التوبة من الكفر (إلا الذين

الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ اللَّهِ • إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْهِمْ
أَحَدًا فَأَمْوَأَ إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ • فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُوا رُءُوسَهُمْ وَأَقْتُلُوا كُلَّ مَرَدٍّ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
ظَلَّوْا سَبِيلَهُم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ • وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ
أَبْلُغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بَأْتِهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ • كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ
عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ • كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا
عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ أَفْوَاهُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ • أَشْتَرُوا بِنَائِيَتِ
اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُتَدُونُ • فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِذَا هُمْ فِي الدِّينِ وَفَصَّلُ الْآيَةِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ •
وَإِن نَّكُنَّا إِلَّا أَيْمَانُهم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ قَتَلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَمَا هُمْ بِيَتَّقُونَ •

عاهدتم) يريد الذين لم ينقضوا العهد (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) يعني الأشهر الأربعة التي جعلت لهم، فن قال إنها
شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم فهي الحرم المعروفة زاد فيها شوال وهجره وجب، وسميت حرما تقنيا
لأن أكثر ومن قال إنها إلى ربيع الثاني؛ فسميت حرما لحرمتها ومنع القتال فيها حيث (فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم) ناسخة لكل موادة في القرآن وقيل إنها نسخت أيضا لإيماننا بعد وإفاداه، وقيل بل نسختها
هي فيجوز لمن والقدهاء (وخذوهم) معناه الأسر، والأخيه هو الأسير (كل مرصد) كل طريق ونصبه على
الظرفية (فإن تابوا) يريد من الكفر، ثم قرن بالإيمان الصلاة والزكاة، فذلك دليل على قتال تارك الصلاة
والزكاة كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والآية في معنى قوله صلى الله تعالى عليهما وآله وسلم
• أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وقيموا الصلوات وتوا الزكاة (ظفوا سيلهم) تأمين لهم (وإن
أحد من المشركين استجارك فأجره) هو من الجوار أي استأنك فأمنه حتى يسمع القرآن ليرى هل يسلم
أم لا (ثم أبلفه مأمنه) أي إن لم يسلم فردته إلى موضعه، وهذا الحكم ثابت عند قوم، وقال قوم نسخ بالقتال
(كيف يكون للمشركين عهد) لفظ استفهام، ومعناه استنكار واستبعاد (إلا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام) قيل المراد قريش، وقيل قبائل بني بكر (فما استقيموا) مازظرفية (كيف) تأكيد للأولى، وحذف
الفعل بعدها العلم به تقديره كيف يكون لهم عهد (لا يرقبوا) أي لا يراعوا (إلا ولا ذمة) الإل القربة، وقيل
الحلف، والذمة العهد (وأكثرهم فاسقون) استثنى من فضله بالإيمان (أمة الكفر) أي رؤساء أهله قبل إسم
أبو جهل لعنه الله، وأميه بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وحكي ذلك
الطبري وهو ضعيف لأن أكثر هؤلاء كان قدماء قبل نزول هذه السورة، والاحسن أنها على العموم (لا إيمان

أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَاخْرَاجَ الرُّسُلِ بَدْعُكُمْ أُولَئِكَ أَخْتَفَوْنَاهُمْ فَأَلْفَنَاهُمْ فَنَقَضْنَا
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ • قَتَلْتُمْ يَعْنِيهِمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَنَحْنُ بِكُمْ عَلِيمٌ وَيُثَبِّتُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ •
وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ
جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَخْطُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ • مَا كَانَ
لِلشَّرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ •
لَمَّا يَصُرْ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَتَمَنَّحْ إِلَّا اللَّهُ فَصَى
أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ • أَجْلَسْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كُنْ أَمِنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَتَوَتَّنُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَهَلَبُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ • يَشْرِيهِمْ رَبُّهُمْ
بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نَفِيمٌ مُقِيمٌ • خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ • يَتْلَاهُمُ الَّذِينَ
آمَنُوا لَا يُخْلَفُوا أَبَدًا وَمِنْ آخِرَتِهِمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكَفْرِ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ

لهم) أى لا إيمان لهم يوفون بها ، وقرئ لا إيمان بكسر الهمزة (لهم يتهون) يتعلق بقاتلوا (وهو) بإخراج
الرسول) قيل يعنى إخراجه من المدينة حين قاتله بالحق واحد ، وقيل يعنى إخراجه من مكة إذا شاوروا
فيه بدار الندوة ثم خرج هو بنفسه (وم بدعكم أول مرة) يعنى إذا تهم لثني صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين
بمكة (يعنيهم الله بأيديكم) يريد بالقتل والأمر وفي ذلك وعد للمسلمين بالظفر (قوم مؤمنين) قيل أنهم خزاعة
والإطلاق أحسن (ويتوب الله) استغاف إخبار فإن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار فيسلم (أم حسبتم)
الآية : معناها أن الله لا يتركهم دون تمحيص يظهر فيه الطيب من الخبيث ، وأم هنا بمعنى بل والهمزة ،
(يعلم الله) أى يعلم ذلك موجبا لتقوم به الحجة (وليعة) أى بطلان (ما كان للشركين أن يعمرؤا مساجد
الله) أى ليس لهم ذلك بالحق والواجب وإن كانوا قد عمروها تغليا وظلما ، ومن قرأ مساجد بالجمع أراد
جميع المساجد ، ومن قرأ بالوحيد أراد المسجد الحرام (شاهدين على أنفسهم بالكفر) أى أن أحوالهم وأقوالهم
تقتضى الإقرار بالكفر ، وقيل الإشارة إلى قولهم في التلبية لا شريك لك إلا شريك هو لك (أجسستم سقاية
الحاج) الآية : سبها أن قوما من قريش افتخروا بسقاية الحاج ، وبعمارة المسجد الحرام ؛ فبين الله أن
الجهاد أفضل من ذلك ، ونزلت الآية في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله
فقال أنا صاحب البيت وعندى مفتاحه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية ، وقال علي لقد أسلمت قبل
الناس وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تتخفوا آباءكم) الآية قيل نزلت فيمن يثبط عن الهجرة

يَوْمَ الْقِيَامِ . قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَتَّخِذُونَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ . وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ . لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ . وَإِذْ أَجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ • ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا . وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ • ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ . وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ مَا هَمُّهُمْ هَذَا . وَإِنْ خِفْتُمْ حِيلَةَ فَسُوفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . إِنْ شَاءَ . إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ

ولفظها عام وكذلك حكمها (تربصوا) وعيد لمن آثر أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد (بأمره) قبل بني قحطبة مكة ، وقيل هو إشارة إلى ضارب أو عقاب (ويوم حنين) عطف على مواطن أو منصوب بفعل مضمر ، وهذا أحسن لوجهين : أحدهما أن قوله إذ أجبتكم كثرتكم مختص بحنين ، ولا يصح في غيره من المواطن فيضعف عطف يوم حنين على المواطن للاختلاف الذي بينهما في ذلك ، والآخر أن المواطن ظرف مكان ، ويوم حنين ظرف زمان فيضعف عطف أحدهما على الآخر ، إلا أن يريد بالمواطن الأوقات ، وحنين اسم علم لوضع عرف رجل اسمه حنين وانصرف لأنه مذكور (إذ أجبتكم كثرتكم) كانوا يومئذ اثنا عشر ألفا ، فقال بعضهم : لن نطلب اليوم من قلة فأراد أنه إظهار مجرم قهر الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بقي على بقلته في نفر قليل ، ثم استصر باقه وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار وقال شاعت الوجوه ، ونادى بأصحابه فرجسوا إليه وهرم الله الكفار وقصة حنين مذكورة في السير (بما رحبت) أي ضافت على كثرة اتساعها ومائنا مصدرة (وأنزل جنودا لم تروها) يعني الملائكة (ثم يتوب الله) إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين (إنما المشركون نجس) قيل إن نجاستهم بكفرهم وقيل بالنجاسة (فلا يقربوا المسجد الحرام) نص على منع المشركين وهم عبدة الأوثان من المسجد الحرام ، وقاس العلماء على ذلك ، وقاس مالك على المشركين جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ، وقاس على المسجد الحرام سائر المساجد ، فنع جميع الكفار من جميع المساجد وجعلوا الشافعي مامة في الكفار خاصة بالمسجد الحرام فنع جميع الكفار دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول غيره . وقصرها أبو حنيفة على موضع النص فنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول سائر المساجد وأباح دخول أهل الكتاب في المسجد الحرام وغيره (بعد ما همم هذا) يريد عام تسعة من الهجرة حين حج أبو بكر بالناس ، وقرأ عليهم على سورة براءة (وإن خفتم حيلة) أي قفرا ، كان المشركون يجلبون الأطمعة إلى مكة تخاف الناس قلة القوات بها إذ منع المشركون منها ، فوجد الله بأن يغنيهم من فضله ، فأسلت العرب كلها وتماذى جلب الأطمعة إلى مكة ثم فتح الله سائر الأمصار (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أمر بقتال أهل الكتاب ونفي عنهم الإيمان بالله لقول اليهود عزير ابن الله ، وقول النصارى

أَتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ . وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُ اللَّهُ أَنْ يُؤْفَكُونَ . أَخْلَوْا أَجَابَهُمْ وَرَهْبَتُهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَسْرَوْا إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَٰهَا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . يَرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمُّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ . يَسَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

المسيح ابن الله ، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر لأن اعتقادهم فيه فاسد ، فإنهم لا يقولون بالمعاد والحساب (ولا يعمرون ما حرم الله وسوله) لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك (ولا يدينون دين الحق) أى لا يدخلون في الإسلام (من الذين أتوا الكتاب) يان الذين أمر بقتلهم وحسن نزلت هذه الآية خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى غزوة تبوك لقتال النصارى (حتى يعطوا الجزية) اتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى ، ويلحق بهم المجوس ، لقوله صلى الله عليه وسلم : سنواهم سنة أهل الكتاب ، واختلفوا في قبولها من عبدة الأوثان والصابئين ولا تؤخذ من النساء والصيانيين والمجانين ، وقدر ما عند مالك أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعمائة درهما على أهل الورق ، ويؤخذ ذلك من كل رأس (عن يده) فيه تاويلان : أحدهما دفع الذي لها يده لا يمنها مع أحد ولا يمل بها كقولك يداً يده الثاني عن استسلام واقياد كقولك أتى فلان يده (وم صاغرون) أذلاء (وقالت اليهود عير ابن الله) قال ابن عباس إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود ، وهم سلام بن مشكم ، وثمان بن أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، وقيل لم يقلها إلا نضاح ، ونسب ذلك إلى جميعهم لأنهم يتبعون لمن قالها ، والظاهر أن جماعةهم قالوها إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم ، وكان سبب قولهم ذلك أنهم قددوا التوراة لحفظها عيراً وحده فعلها لم فقالوا ما علم الله عزير التوراة إلا أنه ابنه ، وعزير مبتدأ ، وابن الله خبره ، ومنع عزير التنوين لأنه أعجى لا ينصرف وقيل بل هو منصرف وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وهذا ضعيف ، وأما من نوه لجملة عيراً وقالت النصارى المسيح ابن الله قال أبو الممالى : أطبقت النصارى على أن المسيح إله وابن إله وذلك كفر شنيع (بأفواههم) يتضمن متعين أحدهما الإزاهم هذه المقالة والتأكد في ذلك ، والثاني أنهم لا حجة لهم في ذلك ، وإنما هو مجرد دعوى كقولك لمن تكذبه هذا قول بلسانك (يضاهون قول الذين كفروا من قبل) معنى يضاهون يشابهون ، فإن كان الضمير لليهود والنصارى ، فالإشارة بقوله الذين كفروا من قبل للمشركين من العرب إذ قالوا الملائكة بنات الله ، وهم أول كافر . أو للصابئين أو لأمم متقدمة وإن كان الضمير للمعاصرين لتي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ، فالذين كفروا من قبل هم أسلافهم المتقدمون (قاتلهم الله) دعاء عليهم ، وقيل معناه لعنهم الله (أنى يؤفكون) تعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب (اتخذوا أجباهم ورهبانهم أرباباً) أى أطاعهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يسجدوا (والمسيح) معطوف على الأجباهم والربان (وما أسروا إلا ليعبدوا) إلهاً واحداً أى أمرهم بذلك عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم (يريدون أن يطفئوا نور الله) أى يريدون أن يطفئوا نيرة محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وما جاء به من عبادة الله وتوحيد (بأفواههم) إشارة

إِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْيَاءِ وَالرَّهْيَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ
الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ • يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا
جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَفْقَهُمْ فَبُذِّقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ • إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ
أَثِمًا عَشْرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ فَلَا تَقْضُوا فِيهِ
أَنفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ • إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ
يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَحْلُونَهُ بَمَا يُمْرُونَهُ مَا لَكُمْ لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ذِينَ لَهُمْ سُوَّةُ
أَعْيُنِهِمْ وَالَّذِينَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ • يَلْبِثُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَفْرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَاتِلُكُمْ
لَى الْأَرْضِ أَرْضِيهِم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ قَمَا مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ • إِلَّا تَنْفَرُوا

إلى أفوالهم كقولهم ساحر وشاعر ، وفيه أيضا إشارة إلى ضعف حيلهم فيما أرادوا (ليظهروا على الدين)
الضمير للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أو للدين ، وإظهاره جملة أعلى الأديان وأقواما حتى يتم المشارق
والمغارب ، وقيل ذلك عند نزول عيسى ابن مريم حتى لا يبق إلا دين الإسلام (ليأكلون أموال الناس
بالباطل) هو الرشا على الأحكام وغير ذلك (والذين يكتنون الذهب والفضة) ورد في الحديث أن كل من
أدب زكاة فليس بكنز ، وما لم تود زكاته فهو كنز ، وقال أبو ذؤ ، وجاهة من الزهاد كلما فضل عن حاجة
الإنسان فهو كنز (ولا ينفقونها) الضمير للأموال والكنوز التي يتضمنها المعنى ، وقيل هي الفضة ، واكتفى
في ذلك عن الذهب إذا الحكم فيها واحد (يوم يحصى) العامل في الظرف أليم أو عذوب (عليها) الضمير يعود
على ما يعود عليه ضمير ينفقونها (اثنا عشر شهرا) هي الأشهر المعروفة أولا المحرم وآخرها ذو الحجة ، وكان الذي
جعل المحرم أول شهر من العام محرر بن الخطاب رضي الله عنه (في كتاب الله) أي في اللوح المحفوظ ، وقيل في
القرآن والأول أرجح لقوله يوم خلق السموات والأرض (منها أربعة حرم) هي رجب وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم (ذلك الدين القيم) يعني أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم ، دين إبراهيم وإسماعيل ، وكانت العرب
قد تمسكت به حتى غيره بعضهم (فلا تظنلوا فيه أنفسكم) الضمير في قوله فهن للأشهر الحرم تعظيلا لأمرها
وتقليلا للذنوب فيها ، وإن كان الظلم نعتا في ضميرها ، وقيل الضمير للاتي عشر شهرا ، أو الزمان كله ، والأول
أظهر (وقاتلوا المشركين كافة) أي قاتلهم في الأشهر الحرم ، فهذا نسخ لتحريم القتال فيها ، وكافة حال
من الفاعل أو المفعول (إنما النسئ) وهو تأخير حرمة الشهر إلى الشهر الآخر ، وذلك أن العرب كانوا أصحاب
حروب وإغارات ، وكانت عزمة عليهم في الأشهر الحرم فيشتق عليهم تركها فيجعلونها في شهر حرام ويحرمون
شهرا آخر بدلا منه ، وربما أحلوا المحرم وحرموا صفر حتى تكمل في العام أربعة أشهر عزمة (يحلونه عاما
ويحرمونه عاما) أي تارة يحلون وتارة يحرمون ، ولم يرد العالم حقيقة (ليؤاطوا عداة ما حرم الله) أي ليؤاتوا
عدا الأشهر الحرم وهي أربعة (فيحلوا ما حرم الله) يعني إحلالهم القتال في الأشهر الحرم (مالكم إذا قيل لكم

يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . (الأنصرونه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا أتى اثنتان هما في النار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم يروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم . أقرؤا خفًا وثقًا وجعلوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . لو كان عرضًا قريبًا وسفرًا قاصدًا لا تتبعوك ولكن بددت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون . عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين .

أقرؤا) عتاب لمن تخلف عن غزوة تبرك (أنا قلتم إلى الأرض) عبارة عن تخلفهم ، وأصل أنا قلتم تأخلفتم (الأنصرونه) يعذبكم) شرط وجزاء وهو العذاب في الدنيا والآخرة (الأنصرونه قد نصره الله) شرط وجواب ، والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن قيل : كيف ارتبط هذا الشرط مع جوابه ، فالجواب أن المعنى : إن لم تنصروه أتم فتنصروه الله الذي نصره حين كان ثاقبًا اثنتين ، فدل بقوله نصره الله على نصره في المستقبل (إذ أخرجه الذين كفروا) يعني خروجه من مكة مهاجرة إلى المدينة ، وأسند إخراجهم إلى الكفار ، لأنهم فعلوا معه من الأذى ما لا يقضى خروجه (ثاني اثنين) هو أبو بكر الصديق (إذ يقول لصاحبه لا تحزن) ينفى أبا بكر (إن الله معنا) يعني بالنصر والطف (فأنزل الله سكينته عليه) الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل لا يبي بكر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نزل معه السكينة ، ويضف ذلك بأن الضمير بعدها للرسول عليه السلام (وأيده بجنود لم يروها) يعني الملائكة يوم بدر وغيره (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يريد إذلالها ودحسها (وكلمة الله هي العليا) قيل هي لا إله إلا الله ، وقيل الدين كله (أقرؤا خفًا وثقًا) أمر بالتخفي إلى الغزو ، والخفة استمارة لمن يمكنه السفر بسهولة ، والثقل من يمكنه بصوبة ، وقال بعض العلماء الخفيف الفتي والثقل الفقير ، وقيل الخفيف الشاب ، والثقل الشيخ ، وقيل الخفيف النشط ، والثقل الكسلان ، وهذه الأقوال أمثلة في الثقل والخفة ، وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله ليس على الضملاء ولا على المرضى الآية (لو كان عرضًا قريبًا) الآية : نزلت هي وكثير مما بعدها في هذه السورة في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة وكانت في شدة الحر وطيب الثمار والظلال ، فقلبت عليهم فأخبر الله في هذه الآية أن السفر لو كان لمرض من الدنيا ، أو إلى مسافة قريبة لفلوه (بددت عليهم الشقة) أي الطريق والمسافة (وسيحلفون بالله) إخبار بنفيب وهو أنهم يمتدنون بأعذار كاذبة ويحلفون (يهلكون أنفسهم) أي يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذبة ، أو تخلفهم عن الغزو (عفا الله عنك لم أذنت لهم) الآية : كان بعض المنافقين قد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في التخلف عن غزوة تبوك فأذن لهم ، ضائبه الله تعالى على إذنته ، وقدم المقول على العتاب لإكرامه صلى الله عليه وسلم وقيل إن قوله عفا الله عنك ليس لإذن ولا عتاب ولكنه استفتاح كلام كما يقول أصلحك الله (حتى يبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) كانوا قد قالوا استأذنه في العقود ، فإن أذن لنا فقدنا ، وإن لم يأذن لنا فقدنا ، وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لولم يأذن لهم ، فليكن كان يقعد

لَا يَسْتَنْذِكُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَالِمِينَ **بِالتَّائِبِينَ** • إِنَّمَا يَسْتَنْذِكُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا • وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً • وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ • لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ • لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَلَقَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَهُ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنَّ لِي وَلَا تَقْنِي الْأَفْئِةَ سَقَطُوا لَنْ جَهَنَّمَ حِمْلَةٌ بِالْكَافِرِينَ • إِنْ تَصَبَّكَ عَنْهُمْ تُصِيبُكَ صُيُوءٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَبِتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ • قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ • قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَتَبَصَّرُوا بِكُمُ اللَّهُ إِنَّمَا بَعَثْنَا مِنْهُ النَّبِيِّنَّ يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيكُمْ وَيُنَظِّرُكُمْ عَلَى الْفِتَنِ وَقَدْ يَعْلَمُ بِمَا الْمُشْرِكُونَ •

العامي والمناقق ويسافر المطيع (لا يستأذلك الذين يؤمنون بالله) الآية : لا يستأذلك في التخلف عن الغزو لغير علم من يؤمن بالله واليوم الآخر (وارتابت قلوبهم) أي شكك، ونزلت الآية في عبد الله بن أبي بن سلول والجند بن قيس (ولو أرادوا الخروج) الآية . أي لو كانت لهم نية في الغزو والاستعداد له قبل أوأناه (انبعاثهم) أي خروجهم (ثبطهم) أي كسر عزمهم وجعل في قلوبهم الكسل (وقيل اقعدوا) يحتمل أن يكون القائل لم يقعدوا هو الله تعالى ، وذلك عبارة عن قتاله عليهم بالقعود ، ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض (مع القاعدین) أي مع النساء والصبيان وأهل الأعداء ، وفي ذلك ذم لم لا يختلطهم في القعود مع هؤلاء (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) أي شرا وفسادا (ولا وضعوا) أي أسرعوا السير، والإيضاح سرعة السير ، والمعنى أنهم يسرعون للفساد والفتنة (خلالكم) أي بينكم (يبغونكم الفتنة) أي يحاولون أن يفتنوك (سماعون لهم) وقيل يسمعون أخبارهم وينقلونها إليهم (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أي طلبوا الفساد ، وروى أنها نزلت في عبادة بن أبي بن سلول وأصحابه من المناققين (ولقبوا لك الأمور) أي دبروها من كل وجه ، فأبطل الله سمعهم (ومنهم من يقول أئذني لي ولا تخني) لما دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى غزوة تبوك قال الجند بن قيس وكان من المناققين : أئذني لي في القعود ولا تقني برؤية بني الأصفر فإن لا أصبر عن النساء (الافئة سقطوا) أي وقفوا في الفتنة التي فروا منها (إن تصيبك حسنة تؤولهم) الحسنة هنا النصر والفتنة وشبه ذلك (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أي قد حذرنا وتأهبنا من قبل (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) أي ما قدر وقضى ، وهذا رد على المناققين (قل هل تترصون بنا إلا إحدى الحسنيين) أي هل تنتظرون بنا إلا إحدى أمرين : إما الظفر والنصر ، وإما الموت في سبيل الله وكل واحد من الحسنيين حسن (بمذاب من عنده) المصائب وما يزل من السماء أو عذاب الآخرة (أو بأيدينا) يعني القتل (فترصوا) تهديد (قل أتحقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) تضمن الأمر هنا معنى الشرط ،

مَعَكُمْ مَتَبَصَّرُونَ • قُلْ أَتَقْتُلُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ مَوَاسِمُهُمْ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ تَقَاتُّهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يَتَّقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ • فَلَا تُجِيبُكَ أُمُورُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْخَيْرَةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ • وَيَخْلُقُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لِحُكْمُكُمْ وَمَا مِنْكُمْ وَلِكَيْتُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ • لَوْ يَجِدُونَ مَلِجًا أَوْ مَخْرَجًا أَوْ مَدَخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَلُزُّكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْتَخْطُونَ • وَلَوْ إِنْهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ • إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَاهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ

فاحتاج إلى جواب : والمعنى ان يتقبل منكم سواء اتفقتم طوعا أو كرها ، والطوع والكراه عوم في الإتيان أى لن يتقبل على كل حال (وإيمانهم أن تغبل منهم تفقاتهم إلا أنهم كفروا) تعليل لعدم قبول تفقاتهم بكفرهم ، ويحصل أن يكون إيمانهم كفروا فاعل إيمانهم ، أو في موضع مفعول من أجله والفاعل الله (إنما يريد الله ليعذبهم بها) قبل العذاب في الدنيا بالمصائب ، وقيل ما ألزموا من أداء الزكاة (وتزهد أنفسهم وهم كافرون) إخبار بأنهم يموتون على الكفر (ويخلقون بالله إيمانهم لحكم) أى من المؤمنين (يفرقون) يخافون (لو يجدون ملجأ) أى ما يلجأ إليه من المواضع (أو مخرجات) هى الغيران في الجبال (أو مدخلا) وزنه مفتعل من الدخول ومعناه نفق أو سرب في الأرض (يجمعون) أى يسارعون (ومنهم من يلزك في الصدقات) أى يمسك على قسمها والآية في المناقذين كالتى قبلها وبمعدا ؛ وقيل في ذى الحريصرة الذى قال اعدل يا محمد فأنت لم تعدل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وذاك إن لم اعدل فمن يعدل الحديث (ولو أنهم رضوا) الآية : ترغيب لهم فيها هو خير لهم ، وجواب لو محذوف تقديره لكان ذلك خيرا لهم (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية : إنما هنا تقتضى حصر الصدقات وهى الزكاة في هذه الأصناف الثمانية فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم ، ومذهب مالك أن تفريقها في هؤلاء الأصناف إلى اجتهد الإمام ، فله أن يجعلها في بعض دون بعض ، ومذهب الشافعى أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء ، واختلف العلماء هل الفقير أشد حاجة من المسكين أو بالعكس ؟ فقيل هما سواء ، وقيل الفقير الذى يسأل الناس ويعلم حاله ، والمسكين ليس كذلك (والعاملين عليها) أى الذين يقبضونها ويفرقونها (والمؤلفة قلوبهم) كفار يعطون ترغيبا في الإسلام ، وقيل هم مسلمون يعطون ليتمكن إيمانهم ، واختلف هل بقى حكمهم أو سقط للاستفتاء عنهم (وفي الرقاب) يعنى العبيد يشترون ويمتقنون (والغاريين) يعنى من عليه دين ، ويشترط أن يكون استدان في غير فساد ولا سرف (وفي سبيل الله) يعنى الجهاد فيعطى منها المجاهدون ويشترى منها آلات الحرب واختلف هل تصرف في بناء الأسوار وإشغال الأساطيل (وابن السبيل) هو الغريب المحتاج (فريضة) أى

قُلْ أَذْنُ خَيْرٌ لَّكُمْ يَوْمَ بَاقِهِ وَيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ • يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لَعْنَتُهُمْ وَأَقْبَرُ مِنْكُمْ وَأَقْبَرُ مِنْكُمْ وَأَقْبَرُ مِنْكُمْ • أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ • إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ • يَحْذَرُ الْمُتَّقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ
بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَزِفُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ خَارِجٌ مَا تَحْذَرُونَ • وَلَكِنْ سَأَلْتُمْ لِقَوْلِهِمْ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ
أَبَاقِهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ • لَا تَقْتَرِبُوا أَهْلَ الْكَفَرِ بَعْدَ إِكْفَرْتُمْ إِنْ تَعْلَمُونَ أَنَّ طَائِفَةً مِنْكُمْ لَفِئَةٌ
طَائِفَةٌ مِنْهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ • الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَمُرُّونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَتَوَقَّعُونَ الْمَعْرُوفَ
وَيُقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ • كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً وَكَثَرُوا

حقاً محدوداً : ونسبه على المصدر ، فإن قيل . لم ذكر مصرف الزكاة في تضاعيف ذكر المنافقين ، فالجواب
أنه حصر مصرف الزكاة في تلك الأصناف ليقطع طمع المنافقين فيها ، فانصلت هذه الآية في المعنى بقوله
ومنهم من يترك في الصدقات الآية (ومنهم الذين يؤذون النبي) يعني من المنافقين وإذا بينهم النبي صلى الله عليه
وسلم بالأقوال والأفعال (ويقولون هو أذن) أي يسمح كل ما قاله ويصدق ، ويقال إن قائل هذه المقالة هو
نبي بن الحارث وكان من مرادة المنافقين وقيل خطاب بن قيس (قل أذن خير لكم) أي يسمح بالخير والحق (ويؤمن
للمؤمنين) أي يصدقهم يقال آمنت لك إذا صدقتك ، ولذلك تعنى هذا الفعل بالوعدى يؤمن بالله بالبه
(ورحمة) بالرفع حلف على أذن ، وبالحذف على خير (يحلفون) يعني المنافقين (واقه ورسوله أحق أن يرضوه)
تقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، فهما جلتان حذف الضمير من الثانية لدلالة الأولى عليها ، وقيل
إنما وحده الضمير لأن رضائه ورسوله واحد (من يحادداه) يعني من يماضي ويخالف (فإنه) إن هنا مكررة
تأكيداً للأولى ، وقيل بدل منها ، وقيل التقدير فواجب أن له ، فهي في موضع خبر مبتدأ محذوف (يحذر
المنافقون أن تنزل عليهم) يعني في شأنهم سورة على النبي صلى الله عليه وسلم والخصائر في عليهم وتنبههم وقولهم
تعود على المنافقين ، وقال الزمخشري إن الضمير في عليهم وتنبههم للمؤمنين ، وفي قلوبهم للمنافقين ، والأول أظهر
(قل استزفوا) تهديد (إن الله يخرج ما تحذرون) صنع ذلك بهم في هذه السورة ، لأنها فضحتهم (إنما كنا نخوض
ونلعب) نزلت في وديعة بن ثابت بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هذا يريد أن يفتح قصور الشام هيئات هيئات ،
فسأله عن ذلك فقال إنما كنا نخوض ونلعب (إن نف من طائفة منكم) كان رجل منهم اسمه عثمن تاب
ومات شهيداً (بعضهم من بعض) نفي لأن يكونوا من المؤمنين (ويقبضون أيديهم) كناية عن البخل (نسوا الله)
أي غفلوا عن ذكره (فنسهم) تركهم من رحمة وفضله (وعد الله المنافقين) الأصل في الشر أن يقال أوعد ،
وإنما يقال فيه وعد إذا صرح بالشر (والكفار) يعني المجاهرين بالكفر (كالذين من قبلكم) خطاب للمنافقين
والكاف في موضع نصب والتقدير فلعن مثل فعل الذين من قبلكم ، أو في موضع خبر مبتدأ تقديره أتم كالذين

أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَمَ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُصِمَ كَالَّذِي
عَاصُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ • أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَوْمَ نُوحٍ وَعَادَ وَثَمُودَ وَقَوْمَ إِبْرَاهِيمَ وَأَحْمَبَ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ • وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ • وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً
فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ • يَسَاءَ لِلَّذِي جَهِدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ
عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ حِصْنٍ مُمْسِكٍ • يَحْلِقُونَ بِاللَّهِ مَقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلْبَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا يَكُونُ لَهُمْ جِزَاءٌ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فُتْنٍ فَإِنْ يَتُوبَا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبَا

من قبلكم (وغضتم) أى خلعتهم وهو مستمر من الحوض في الماء، ولا يقال إلا في الباطل من الكلام
(كالذي عاصوا) تقديره كالخوض الذي عاصوا، وقيل كالذين عاصوا، فالذي هنا على هذا بمعنى الجميع
(ألم يأتهم) الآية : تهديد لهم بما أصاب الأمم المتقدمة (والمؤتفكات) يعنى مدائن قوم لوط (بالبينات) أى
بالمجرات (بعضهم أولياء بعض) في مقابلة قوله المناقون بعضهم من بعض ولكنه خص المؤمنين بالوصف
بالولاية (جنت عدن) قيل عدن هى مدينة الجنة وأعطوها، وقال الزمخشري هو اسم علم (ورضوان من الله
أكبر) أى رضوان من الله أكبر من كل مذكر وذلك معنى ما ذكر في الحديث إن الله تعالى يقول لأهل
الجنة أريدون شيئا أزيدكم، فيقولون ياربنا أى شيء تريدنا؟ فيقول رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا
(جاهد الكفار والمنافقين) جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان مالم يظهر ما يدل على كفرهم،
فإن ظهر منهم ذلك غشكهم حكم الزنديق، وقد اختلف هل يقتل أم لا (واغلظ عليهم) الغلظة ضد
الرحمة والرفق، وقد تكون بالقول والفعل وغير ذلك (يحلقون بالله ماقالوا) نزلت في الجلاس بن سويد،
فإنه قال إن كان ما يقول محمد حقا نحن شر من الحير، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فقرأ عليه خلف أنه ماقاله (ولقد قالوا كلمة الكفر) يعنى ما تهدم من قول الجلاس لأن ذلك يقتضى التكذيب
(وكفروا بعد إسلامهم) لم يقل بعد إسلامهم، لأنهم كانوا يقولون بأنهم آمنوا ولم يدخل الإيمان في قلوبهم
(وهموا بما لم ينالوا) هم الجلاس يقتل من بلغ تلك الكلمة عنه، وقيل هم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقيل
الآية نزلت في عبد الله بن أبى بن سول، وكلمة الكفر التى قالها قوله سمى كلبك بأكلك، وهم بما لم يناله قوله
لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (وما هموا إلا أن أغاثهم الله) أى ما عابوا إلا اللغى الذى كان
حقه أن يشكروا عليه، وذلك في الجلاس أوفى عبد الله بن أبى (فإن يتوبوا) فتح الله لهم باب التوبة فتاب

يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ • وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ
ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَتَصَّدَّقُوا وَلَكِنْ كُنَّا مِنَ الصَّالِحِينَ • فَلَمَّا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ •
فَأَعْقِبْنَاهُمْ نَقَاصًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَقُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ • أَلَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبَ • الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ
وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ •
فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا
لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ تَارُجَهُمْ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ • فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا

الجلال وحسن حاله (ومنها من عاهد الله) الآية : نزلت في ثعلبة بن حاطب ، وذلك أنه قال يا رسول الله ادع
الله أن يكثر مالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل تردى شكره خير من كثير
لا تلبسه ، فأعاد عليه حتى دعا له فكثرت ماله فتشاغل به حتى ترك الصلوات ثم امتنع من أدائه الزكاة ، فنزلت فيه
الآية فجاء بركاته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ولم يأخذها منه ، وقال إن الله أمرني أن لا أخذ زكاتك
ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان (بخلافه) إشارة إلى منتهى الزكاة (فأعقبهم نقاصًا) عقوبة على العصيان
بما وعدهم منه (إلى يوم يلقونه) حكم بوفاءه على النفاق (الذين يلزمون المطوعين) نزلت في المنافقين حين تصدق
عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا ما هذا إلا رياء وأصل المطوعين المطرطين والمراد به هنا من تصدق
بكثير (والذين لا يجدون إلا جهدهم) هم الذين لا يقدرون إلا على القليل فيصدقون به نزلت في أبي عقيل تصدق
بصاع من تمر ، فقال المنافقون إن الله غفى عن صدقة هذا (فيسخرونهم) أي يستخفون بهم (سخر الله منهم) تسمية
للعقوبة باسم الذنب (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) يحتمل معنيين . أحدهما أن يكون لفظه أمر ، ومعناه الشرط ،
ومعناه إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، كما جاء في سورة المنافقين ، والآخر أن يكون تحذير
كأنه قال إن شئت فاستغفر لهم ، وإن شئت فلا تستغفر لهم ، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم ، وهذا أرجح لقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الله خيرني فاخترت ، وذلك حين قال عمر أئمتل على عبد الله بن أبي وقد نهاك الله
عن الصلاة (سبعين مرة) ذكرها على وجه التمثيل للمعد الكثير (فرح المخلفون) أي الذين خلفهم الله
عن بدر وأقدمهم عنه ، وفي هذا تحقير وذم لهم ، ولذلك لم يقل المخلفون (بمقدمهم) أي بتقدمهم (خلاف
رسول الله) أي بصدده حين خرج إلى تبوك ، بخلاف على هذا ظرف ، وقيل هو مصدر من خلف فهو
على هذا مفعول من أجله (وقالوا لا تنفروا في الحر) قاتل هذه المقالة رجل من بني سلية عن صعب عليه
السفر إلى تبوك في الحر (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) أمر بمعنى الخبر فضحكهم القليل في الدنيا مدة
بقائهم فيها وبكاهم الكثير في الآخرة : وقيل هو بمعنى الأمر أي يجب أن يكونوا يضحكون قليلا ويكونوا كثيرًا

يَكْسِبُونَ • فَإِنْ رَجَعَهُ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَذْنَوْكَ الْغُرُوجَ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُخَلِّتُوا
مَعِيَ عِدَدًا إِنَّا كُمْ رَضِينَا بِالْقُدُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْبَلُوا مَعَ الْخَالِفِينَ • وَلَا تَقْصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ • وَلَا تُجِيبْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَدَهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ
أَنْ يُعَذِّبَ بِهِمَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ • وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ
رَسُولِهِ اسْتَذْنِكَ أُولَئِىَ الطُّوْلُ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ • رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَافِ
وَطُحَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ • لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ
لَهُمْ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتُ جَعْنَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الثَّوَرُ
الْعَظِيمُ • وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا
لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَمْ يُحْمَلْهُمْ فَلَتَ لَا أَجْدُ

في الدنيا لما وقوا فيه (إلى طائفة منهم) إعلم قل الهم ، لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التحلف (لن تخرجوا
معي أبدا) عقوبة لم فيها خرى وتوبخ (أول مرة) يعني في غزوة تبوك (فاقبلوا مع الخالفين) أى مع القاعد
وم النساء والصبيان (ولا تقص على أحد منهم مات أبدا) نزلت في شأن عبد الله بن أبى بن سلول ، وصلاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه حين مات ، وروى أنه صلى عليه فزلت الآية ، وروى أنه صلى الله عليه
وسلم لما تقدم ليصلى عليه جله جبريل لجذوبه ، وتلا عليه : ولا تقص على أحد منهم مات أبدا الآية ،
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يصل عليه (واذا أنزلت سورة) قيل ينى براة والأرجح
أنه على الإطلاق (أن آمنوا) أن هنا مفسرة (استأذنتك أولو الطول منهم) أى أولو النقى والمال الكثير
(لكن الرسول) الآية أى إن تخلف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومن معه (الخيرات) تم منافع العارفين وقيل
هى الخوار العين لقوله خيرات حسان (وجاء المعذرون) هم المستندون ثم أذعن التأء فى الدال وقتلت
حركتها إلى العين واختلف هل كانوا فى اضفارهم صادقين أو كاذبين وقيل هم المقصرون من عذر فى
الأمر إذا قصر فيه ولم يجد فوزه على هذا المقلون وروى أنها نزلت فى قوم من غفار (وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله) هم قوم لم يجهادوا ولم يمتدوا عن تحلفهم فكذبوا فى دعواهم الإيمان
(سيعيب الذين كفروا منهم) أى من المذنبين (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) هذا رفع العرج
عن أهل الاعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذا تركوا التزو وقيل إن الضعفاء هنام النساء والصبيان
وهذا بعيد (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) قيل نزلت فى بنى قريظ وهم ستة إخوة صحبوا النبي صلى الله عليه
وعلى وآله وسلم وقيل فى عبد الله بن مفضل المزنى (إذا نصحو الله) ينى بياتهم وأقوالهم وإن لم يخرجوا

مَا أَحْلَكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَنَهُمْ قَبِضُ مِنَ النِّعَمِ حَزْناً أَلَّا يَحْسُدُوا مَا يَنْفِقُونَ • إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاكَ رِضْوَانُ بَنَ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ • يَحْتَدِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَمْتَدِدُوا لَن تَزِيدُنَا مِنْ ثَمَرِ مَا كُنْتُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرْدُونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِذَا أَقْبَلْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَرْضَوْنَهُمْ فَأَرْضَوْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآلُهُمْ جَهَنَّمَ جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْهُمْ فَهُمْ قَائِنٌ تَرْضَوْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ • الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ قُرْبَىٰ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَىٰ لَهُمْ سَيَدْخُلُوهَا فِي رَحْمَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ • وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ • وَمِنَ حَوَاقِمِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَقُولُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرْدُونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ • وَآخَرُونَ

النفوذ (ماعلى المحسنين من سبيل) وصفهم بالمحسنين لأنهم نصحو الله ورسوله ورفع عنهم العقوبة والتعنيف والوم (ولاعلى الذين إذا ما أتوك لتحملهم) قيل هم بنو مقرن وقيل ابن مقفل وقيل سبعة نفر من بطون شق وهم البكاؤون ومعنى لتحملهم على الإيل وجواب إذا يحتمل أن يكون قلت (لا أجد ما أحلكم) أو توتوا إذا رجعتهم يعنى من غزوة تبوك (لن تزدنكم) لن تصدقكم (من أخباركم) نعمت لمحذوف وهو المفعول الثانى تقديره قد نبأنا الله جملة من أخباركم (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) هم أهل البوادي من العرب (وأجد أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله) يعنى أنهم أحمق أن لا يعلموا الشرائع ليعلمهم عن الحاضرة ويجالس العلم (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) أى تتحمل عليهم الزكاة والتفقة فى سبيل الله قل المغمم الذى ليس بحق عليه (ويتربص بكم الدوائر) أى ينتظر بكم مصاب الدنيا (عليهم دائرة السوء) خبر أو دعاه (وصلوات الرسول) أى دعواتهم لهم وهو عطف على قربات أى يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغترام دعاه الرسول لهم وقيل نزلت فى بنى مقرن (والسابقون الأولون) قيل هم من صلى القبلتين وقيل من شهد بدرا وقيل من حضرة الرضوان (والذين اتبعوه) سائر الصحابة ويدخل فى ذلك التابعون ومن يمدحهم إلى يوم القيامة بشرط الإحسان (مردوا على النفاق) أى اجترأوا عليه وقيل أقاموا عليه (سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) العذاب العظيم هو عذاب النار وأما المرتان قبله فالثانية منها عذاب القبر والأولى عذابهم بإقامة الحدود عليهم وقيل بغضيتهم بالنفاق (وآخرون

اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم • خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم • ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم • ولعل أعمالوا فسرى الله حكمكم ورسوله والمؤمنون وسردحون إلى علم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون • وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم • والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وقريبا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم

اعترفوا بذنوبهم) الآية: قيل انزلت في أبي لباة فعمله الصالح الجهاد وعمله السيئ فصبحت لبي قريظة وقيل هو لن تخلف عن تبوك من المؤمنين فعملهم الصالح ما سبق لهم وعملهم السيئ تخلفهم عن تبوك وروى أهم ربطوا أنفسهم إلى سورى المسجد وقالوا لا نخل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هي عامة في الأمة إلى يوم القيامة قال بعضهم ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية (خذ من أموالهم صدقة) قيل نزلت في المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم لما تاب الله عليهم قالوا يا رسول الله إنا زبد أن تصدق بأموالنا فنزلت هذه الآية وأخذت أموالهم وقيل هي الزكاة المفروضة فالضمير على العموم لجميع المسلمين (تطهرهم وتزكهم بها) خطاب لبي صلى الله عليه وآله وسلم في موضع صفة لصدقة أو حال من الضمير في خذ (وصل عليهم) أى ادع لهم (سكن لهم) أى تسكن به قوسهم فهو عبارة عن صحة الاعتقاد أو عن طمأنينة قوسهم إذا حلوا أن الله تاب عليهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) الضمير في يعلموا للتائبين من المتخلف وقيل للذين تخلفوا ولم يتوبوا وقيل عام وفائدة الضمير المؤكد تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره (ويأخذ الصدقات) قيل معناه يأمر بها وقيل يقبلها من عباده (وآخرون مرجون لأمر الله) قيل هم الثلاثة الذين خلفوا قيل أن يتوب الله عليهم وقيل هم الذين بنوا مسجد الضار ، وقرئ مرجون بالهمز وتركه وهما لغتان ومعناه التأخير (والذين اتخذوا مسجدا) قرئ الذين يغير أو صفة لقوله وآخرون مرجون أو على تقديرهم الذين وهذه القراءة جارية على قول من قال في المرجون لأمر الله هم أهل مسجد الضار ، وقرئ والذين بالواو عطف على آخرون مرجون وهذه القراءة جارية على قول من قال في المرجونين أنهم الثلاثة الذين خلفوا (ضارا وكفرا) كانوا بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجدا قباه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتيه ويصلى فيه لحسد على ذلك قومهم بنو غنم بن عوف وبنو سالم بن عوف فبنوا مسجدا آخر مجاورا له ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قباه وذلك هو الضرار الذى قصدوا وسألوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيه ويصلى لهم فيه فنزلت عليه فيه هذه الآية (وقريبا بين المؤمنين) أرادوا أن يفرق المؤمنين عن مسجد قباه (وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) أى انتظارا لمن حارب الله ورسوله وهو أبو حامر الزاهب الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القاسق وكان من أهل المدينة فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاهد بالكفر والتفاق ثم خرج إلى مكة

لَكَذِبُونَ • لَا تَهْمُ فِيهِ أَيْدِي الْمَسْجِدِ أَسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ • أَفَنْ أَسَسَ بَنِيَّتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مِنْ أَسَسَ بَنِيَّتَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ • لَا يُزَالُ بَنِيَّتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَصَدَّ عَنْهُ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ • النَّاسُ ثَبَتُونَ الْخَبِيرُونَ الْحَسْبُكَ السَّابِقُونَ الرَّائُونَ كَمُونَ

لحزب الأحزاب من المشركين فلما خرجت مكة خرج إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بغيرهم فهلك هناك وكان أهل مسجد الضرار يقولون إذا قدم أبو عامر المدينة يصل في هذا المسجد والإشارة بقوله من قبل إلى ما فعل معه الأحزاب (ولحلفن إن أردنا إلا الحسنى) أى الحسنة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله فأكذبهم الله في ذلك (لا تهم فيه أبداً) نهى عن إتيائه الصلاة فيه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بطريقه (لمسجد أسس على التقوى) قيل هو مسجد قباء، وقيل مسجداننى صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) كانوا يستنجون بالماء ونزلت في الأقصار على قول من قال إن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد المدينة، ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصة على قول من قال إن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد قباء (أفنى أسس بنيته على تقوى من الله ورضوان خير أئمن أسس بنيته على شفا جرف هار) الآية : استغلام بمعنى التقرير، والذى أسس على التقوى والرضوان : مسجد المدينة أو مسجد قباء، والذى أسس على شفا جرف هار : هو مسجد الضرار، وتأسيس البناء على التقوى والرضوان : هو بحسن النية فيه، وقصد وجه الله، وإظهار شرعه، والتأسيس على شفا جرف هار : هو فساد النية، وقصد الرياء، والتفريق بين المؤمنين، فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البديع، ومعنى شفا جرف : طرفه، ومعنى هار : ساقط أو واهى، بحيث أشقى على السقوط، وأصل هار : هائر، فهو من المقلوب، لأن لامة جعلت في موضع العين (فانهار به في نار جهنم) أى طاح في جهنم، وهذا ترشيح للجنان، فإنه لما شبه بالجرف وصف بالانهار الذى هو من شأن الجرف، وقيل إن ذلك حقيقة، وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه، والصحيح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أمرهم بهدم (لا يزال) بانياتهم الذى بنوا ريباً في قلوبهم أى لا يزال أى لا يزال فى قلوب أهل مسجد الضرار ريباً من بنيته : أى شك في الإسلام بسبب بنيته، لاعتقادهم صواب فعلهم : أو غيظ بسبب هدمه (إلا أن تقطع قلوبهم) أى إلا أن يموتوا (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) قيل إنها نزلت في بيعة العقبة وحكمها عام في كل مؤمن مجاهد في سبيل الله إلى يوم القيامة، قال بعضهم ما أكرم الله، فإن أنفسنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبنا لنا، ثم اشترانا من هذا الثمن العالى، فإنها لصفقة رابحة (يقاتلون في سبيل الله) جملة في موضع الحال يان للشراء (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) قال بعضهم ناهيك عن بيع : البائع فيه

السَّاجِدُونَ لِلْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَيَشْرِ الْمُؤْمِنِينَ • مَا كَانَ
لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلشَّارِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِيَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَسَمِ •
وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ
حَلِيمٌ • وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْزِلَ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَسْمُنَّ مَا يَتَّبِعُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ • إِنَّ اللَّهَ لَمَلِكٌ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ • لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ
وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ
بِهِمْ رَعُوفٌ رَحِيمٌ • وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

رب العلا والتمن جنة المأوى ، والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (التائبون) وما بعده : أو صاف
للمؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم : تقديره هم التائبون (السائحون) قيل معناه الصائمون ،
ويقال ساح في الأرض : أى ذهب (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) نزلت في شأن
أبي طالب فإنه لما امتنع أن يقول لإلهه إلا الله عد موته ، قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
والله لا تستغفر لك ما لم أنه عنك ، فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية ، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم
استأذن ربه أن يستغفر لاه فزلت الآية ، وقيل إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لأبائهم المشركين فزلت
الآية (وما كان استغفار إبراهيم لإبراهيم لآيه إلا عن موعدة) المعنى لآية لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم
لآيه ، فإن ذلك لم يكن إلا لوعده تقدم ، وهو قوله سأستغفر لك ربي (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) قيل
تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر ، وقيل لأنه نهي عن الاستغفار له (لأتوام) قيل كثير الدماء ، وقيل موقن ،
وقيل قهيه ، وقيل كثير الذكركه ، وقيل كثير التأوه من خوف الله (وما كان الله ليضل قوما) الآية : نزلت
في قوم من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن ، غافوا على أنفسهم من ذلك فزلت الآية تأييداً لهم أى ما كان
الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبين لكم المنع من ذلك (في ساعة العسرة) يعنى حين محاولة غزوة تبوك ، والساعة
هنا بمعنى الحين والوقت ، وإن كان مدة ، والعسرة الشدة وضيق الحال (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم)
يعنى تزيغ عن الثبات على الإيمان ، أو عن الخروج في تلك الغزوة لما رأوا من الضيق والمشقة ، وفي كاد
ضيق الأمر والشأن ، أو ترتفع بها القلوب (ثم تاب عليهم) يعنى على هذا الفريق أى رجع بهم عما كادوا
يقعون فيه (وعلى الثلاثة الذين خلّفوا) هم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، تخلّفوا
عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير اتفاق ولا قصد للمخالفة ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عتب عليهم ، وأمر أن لا يكلمهم أحد ، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم فبقوا على ذلك مدة إلى أن أنزل الله
توبتهم ، وفردوى حديثهم في البخارى ومسلم والسير ، ومعنى خلّفوا هنا : أى عن الغزوة ، وقال كعب بن مالك معناه

ءَامَنُوا أَتَقُولُ أَنَّهُ وَكَوْنُوا مَعَ الصَّالِحِينَ . مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَخْلُقُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَنٌّ وَلَا نَقَبٌ وَلَا عَمْصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَتَّخِذُونَ مَثَلًا نَبِيَّ اللَّهِ وَلَا يَتَّبِعُونَ الْكُفَّارَ وَلَا يَتَّخِذُونَ الْكُفَّارَ مِنْ عَدُوِّ نَبِيٍّ إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلَا يَتَّقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ لِحَاجَتِهِمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

خلفوا عن قول الضر ، وليس بالتخلف عن الغزو يقوى ذلك صكونه جمل إذا ضاقت غاية للتخلف (ضاقت عليهم الأرض) عبارة عما أصابهم من الغم والخوف من الله (ثم تاب عليهم ليتوبوا) أى رجع بهم ليستقيموا على التوبة (وكونوا مع الصادقين) يحتمل أن يريد صدق اللسان إذا كانوا هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يمتدحوا بالكذب فتعظم الله بذلك ، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والمراحم ، والمراد بالصادقين المهاجرون لقول الله في الحشر للفقراء المهاجرين ، إلى قوله : هم الصادقون وقد احتج بها أبو بكر الصديق على الأنصار يوم السقيفة ، فقال نحن الصادقون ، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا أى تابعين لنا (ما كان لأهل المدينة) الآية : ضابط لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى لا يمتنعوا من اقتحام المشقات التي تحصلها هو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (ذلك بأنهم لا يصيبهم) تمليل لما يجب من عدم التخلف (ظلماً) أى عطشاً (ولا نصب) أى تعب (ولا عمصة) أى جوع (ولا يفلئون) أى بأرجلهم أو بدوابهم (ولا ينالون من عدو نبيا) عموم في كل ما يصيب الكفار (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) قال ابن عباس : هذه الآية في البعث إلى الغزو والسرايا : أى لا ينشئ خروج جميع المؤمنين في السرايا ، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، ولذلك حاثهم في الآية المتقدمة على التخلف عنه ، فالآية الأولى في الخروج معه صلى الله عليه وسلم ، وهذه في السرايا التي كان يمشيها ، وقيل هي ناسخة لكل ماورد من الأمر بخروج الجميع فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين ، وقيل هي في طلب العلم ومما هنا : أنه لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع ، بل على البعض لأنه فرض كفاية (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) تخصيص على نفر بعض المؤمنين للجهاد أو لطلب العلم (ليتفقوا في الدين) (إن قلنا إن الآية في الخروج إلى طلب العلم ، فالضمير في يتفقوا للفرقة التي تنفر أى ترحل ، وكذلك الضمير في يندو وفي رجعوا : أى ليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة ، وإن قلنا إن الآية في السرايا ، فالضمير في يتفقوا للفرقة التي تقعد في المدينة ولا تخرج مع السرايا ، وأما الضمير في رجعوا فهو للفرقة التي خرجت مع السرايا (لعلهم يحذرون) الضمير للقوم (قالوا الذين يلونكم من الكفار) أمر بقتال الأقرب فالأقرب على تدرج ، وقيل إنها إشارة إلى قتال الروم بالصام ، لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب ، وكانت أرض العرب قد

وَلِيَجْلُوا فِيكُمْ غُلْفَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ • وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْنَمَا زَادَتْ هَذِهِ
إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَوَازَتْهُمْ إِيمَانُهُمْ وَيَسْتَبْشِرُونَ • وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى
رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ • أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ
يَذْكُرُونَ • وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ • لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ • فَإِنْ تَوَلَّوْا قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ •

عنها الإسلام ، وكانت العراق حينئذ بعيدة (وإذا ما أنزلت سورة فهم من يقول أياكم زادته هذه إيمانا) أى
من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أياكم زادته هذه إيمانا على وجه الاستخفاف بالقرآن كأنهم يقولون أى
عجب فى هذا وأى دليل فى هذا (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة
عند نزول كل سورة (وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) المرض عبارة عن الشك والفتنة
والمنعنى زادتهم رجسا إلى رجسهم أوزادتهم كفرا وفتنا إلى كفرهم وفتنهم (يفتنون فى كل عام) قيل يفتنون
أى يختبرون بالأمراض والجوع ، وقيل بالأمر بالجهاد ، واختار ابن طلبة أن يكون المنعنى يفضحون بما
يكشف من سرائهم (نظر بعضهم إلى بعض) أى تفاوضوا وأشار بعضهم إلى بعض على وجه الاستخفاف
بالقرآن ثم قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد كأن سبب خوفهم أن ينقل عنهم ذلك وقيل معنى نظر بعضهم
إلى بعض على وجه التعجب بما ينزل فى القرآن من كشف أسرارهم ثم قال بعضهم لبعض (هل يراكم من أحد)
أى هل رأى أحوالكم فتقلها عنكم أو علمت من غير قل هذا أيضا على وجه التعجب (ثم انصرفوا) يحتمل أن يراد
الانصراف بالآبدان ، أو الانصراف بالقلوب عن الهدى (صرف الله قلوبهم) دعاء أو خبر (بأنهم قوم
لا يفقهون) تعليل لصرف قلوبهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، والخطاب
للرب أو لفريش خاصة أى من قبيلكم حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته وأولبى آدم كلهم: أى من جنسكم
وقرى من أنفسكم يفتح الفاعل أى من أشرفكم (عزير عليه ما عنتكم) أى يشقى عليه عنتكم ، والعنت : هو ما يضرهم
فى دينهم أو دنياهم وعزير صفة للرسول ، وما عنتكم فاعل يعزير ، وما مصدرية أو ما عنتكم مصدر ، وعزير خبر مقدم
والجمله فى موضع الصفة (حريص عليكم) أى حريص على إيمانكم وسعادتكم (بالمؤمنين رؤوف رحيم) معناه
الله هنا باسمين من أسمائه (فإن تولوا قل حسبي الله) أى إن أعرضوا عن الإيمان ، فاستن بالله وتوكل عليه
وقيل إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة

سورة يونس

مكية إلا الآيات ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ فنية وآياتها ١٠٩ نزلت بعد الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَيْكَ الْكُتُبُ الْحَكِيمُ . أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ .
إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ . هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عِددَ السِّنِّ وَالْحِسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

سورة يونس عليه السلام

(الر) تكلمنا في أول البقرة على حروف المعجم التي في أوائل السور (تلك آيات الكتاب) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، والكتاب هنا القرآن (الحكيم) من الحكمة أو من الحكم أو من الأحكام للأمر أي حكمة الله (أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) الهمة للأنكار، وعجايبه كان، وأن أوحينا اسمها، وأن أنذر: تفسير للوحى، والمراد بالناس هنا كفار قريش وغيرهم، وإلى رجل هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنى الآية: الرد على من استبعد النبوة وتعجب من أن يبعث الله رجلا (قدم صدق) أي عمل صالح فرموه، وقال ابن عباس السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ (قال الكافرون إن هذا لسحر مبين) يمتنعون ما جاء به من القرآن، وقرئ لساحر يمتنعون به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسير لما ذكر قبل من تعجبهم من النبوة، ويكون خبرا مستأفيا (إن ربكم الله) تعريف بالله وصفاته ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه رد على من أنكر النبوة كأنه يقول إنما أودعكم ربكم الذي خلق السموات والأرض فكيف تتكبرون ذلك وهو الحق المبين (ما من شيع إلا من بعد إذنه) أي ما يشفع إليه أحد إلا بعد أن يأذن هو له في الشفاعة، وفي هذا رد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم (وعد الله حقا) نصب وعد على المصدر المذكور المؤكد الرجوع إلى الله، ونصب حقا على المصدر المؤكد لوعده الله (إنه يبدأ الخلق ثم يعيده) أي يبدأ الخلق في الدنيا ويعيده بعد الموت في الآخرة، والبداية دليل على العودة (ليجزى) تعليل للعودة وهي البعثة (بالقسط) أي بعدله في جزائهم أو بقسطهم في أعمالهم الصالحة (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وصف أفعال الله وقدرته وحكمته والفضاء أعظم من النور (وقدرة منازل) الضمير للقمر والمعنى قدر سيره في منازل (والحساب) يعنى حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) أي

وَمَا خَقَّ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَنْتَ لَقَوْمٍ يَتَّقُونَ . إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ . أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . دَعْوَاهُمْ فِيهَا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَلَوْ يَسْأَلُ اللَّهُ النَّاسَ الشَّرَّ
اسْتَجَابَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَذَرِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ
الضُّرُّ دَعَا لِحَبِيئِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانٌ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ كَذَلِكَ زِينٌ
لِلظَّالِمِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا
كَانُوا يُؤْمِنُونَ كَذَلِكَ تَجْزَى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ . ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ . وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَقِلُونَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بَرَاءٌ مِنْهُمْ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ
مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْكَ قَضَى إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يَوْسَىٰ إِلَىٰ آتِي أَخَافُ أَنْ حَصِيَّتْ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ . قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . قُلْ

ما خلقه عبثاً ، والإشارة بذلك إلى ما تقدم من المخلوقات (إن الذين لا يرجون لقاءنا) قيل معنى يرجون هنا
يخافون ، وقيل لا يرجون حسن لقاءنا ، فالرجاء على أصله ، وقيل لا يرجون : لا يتوقعون أصلاً ، ولا يخطر
بألم (ورضوا بالحياة الدنيا) أي قنعوا أن تكون حظهم ونصيبهم (واطمأننوا بها) أي سكنت أنفسهم عن
ذكر الانتقال عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) يحتمل أن تكون هي الفقرة الأولى ، فيكون من عطف
الصفات ، أو تكون غيرها (يهديهم ربهم بإيمانهم) أي يسددهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة أو يهديهم
في الآخرة إلى طريق الجنة ، وهو أرجح لما بعده (دعواهم فيها) أي دعائهم (ولو يسأل الله الناس الشر
استجابهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) أي لو يسأل الله الناس الشر كما يحبون تسجيل الخير لمكوا سريعاً ،
ونزلت الآية عند قوم في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده ، وقيل نزلت في الذين قالوا : إن كان هذا هو
الحق من عندك فأطع علينا حجار من السماء (وإذا مس الإنسان الضر دعانا) عتاب في ضيقه نهي لمن يدعو الله
عند الضر ، ويغفل عنه عند العافية (لجنبه) أي مضطجعا ، وروى أنها نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة لمرض
كان به (ولقد أهلكتنا القرون) إخبار ضيقه وعيد للكفار (لننظر) مناه ليظهر في الوجود فتقوم عليكم الحجة
به (وإذا تلى عليهم) يعني على قريش (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم) أي ما تلوته إلا بحشيته الله ، لأنه من عنده
وما هو من عندي (ولا أدراك به) أي ولا أعلمكم به (فقد لبثت فيكم عمراً من قبله) أي بقيت بينكم
أربعين سنة قبل البعث ما تكلمت في هذا حتى جازني من عند الله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً)

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُكَرِمُونَ • وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَسْمَعُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
سَبِّحْتَهُ وَسَمِعْتُمْ آيَاتِهِ مَا يُشْرِكُونَ • وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَفَرُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَفُونَ • وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ
مِنَ الْمُنتَظِرِينَ • وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَمٍّ إِذَا هُمْ مَكْرُوفٌ • أَيَا تَأْتَا قُلُوبُ اللَّهِ أَسْرَعَ مَكْرًا
إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُمُونَ مَا مَكْرُوفٌ • هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكُمْ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ
طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ
دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْفَاسِقِينَ • فَلَمَّا أَجَبَهُمْ إِذَا هُمْ يَفْتَنُونَ
فِي الْأَرْضِ يُبْدِيهِمُ الْخَبْرَ بَيْنَهُمُ النَّاسُ إِنَّمَا بَيْنَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ
فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْطَبَهُ يَتْبَاتُ

تصل من الاقراء على الله وبيان لبراهمه صلى الله عليه وآله وسلم عما نسبوه إليه من الكذب وإشارة
إلى كذبهم على الله في نسبة الشركاء له (أو كذب بآياته) يان لظلمهم في تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) الضمير في يعبدون لكفار العرب ، وما لا يضرهم
ولا ينفعهم هي الأصنام (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم (قل أنتبئون الله
بما لا يعلم) رد عليهم في قولهم بشفاة الأصنام ، والمعنى أن شفاة الأصنام ليست بمعلومة لله الذي هو عالم
بما في السموات والأرض ، وكل ما ليس بمعلوم لله فهو عدم محض ليس بشيء قوله أنتبئون الله تقريرهم
على وجه التوبيخ والتهكم أى كيف تعلمون الله بما لا يعلم (وما كان الناس إلا أمة واحدة) تقدم في البقرة
في قوله كان الناس أمة واحدة (ولولا كلمة سبقت) يعنى القضاء (ويقولون لولا أنزل عليه آية) كانوا يطلبون
آية من الآيات التي اقترحوها ، ولقد نزل عليه آيات عظام فما اعتدوا بها لعنادهم وشدة ضلالهم (قل إنما
الغيب لله) إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل لا يطلع على ذلك أحد (فانتظروا) أى انتظروا نزول ما اقترحتهم (إني
ممع من المنتظرين) أى منتظر لحايتكم على كفركم (وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء) هذه الآية في الكفار
وقضت النبي لى كان كذلك من غيرهم ، والمكرهنا الطعن في آيات الله وترك شكره ، ومكر الله الموصوف
بالسرعة هو عقابه لهم سماء مكرام مشاكلة لظلمهم ، وتسمية العقوبة بسم الذنب (وجرين بهم) الضمير المؤنث
في جرين لظلمهم ، والضمير في بهم للناس ، وفيه الخروج من الخطاب إلى التثنية ، وهو يسمى الالتفات ،
وجواب إذا كنتم : قوله جاءتها ريح عاصف ، وقوله دعا الله ، قال الزمخشري هو بدل من ظنوا ، ومعناه
دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه (متاع الحياة الدنيا) رفع على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره : وذلك

الْأَرْضِ بِمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطْنَ أَهْلِهَا أُنَادُوا لَهُمْ لَعْنُونَ
عَلَيْهَا أَفْكَرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا لَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَسْرِ كَذَلِكَ فَهَلْ أَلَايْتُ لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ •
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى وَزِيَادَةً وَلَا يَرْهَقُ
وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا
وَتَزِيدُهُمْ ذِلَّةً مَالَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَمْ آغَشِيَتْ وَجُوهَهُمْ قَطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيعًا ثُمَّ قَوْلَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَوَيْلٌ لَنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ
شُرَكَاءُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ لَنَا تَعْبُدُونَ • فَكُنِيَ بِاللَّهِ شَيْدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ • هُنَالِكَ تَبْلَوْنَ
كُلَّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْتَدُونَ • قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدَبِرُ الْأَمْرَ

متاع، أو يكون خبر إنما بغيركم، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب (إنما مثل الحياة الدنيا كماه أنزلناه من
السماء) معنى الآية تخفيف الدنيا وبيان سرعة فناءها وشبهها بالمطر الذي يخرج به النبات، ثم تصيب ذلك النبات
آفة عند حسنه وكاله (بما يأكل الناس) كالزروع والقواكه (والأنعام) بنى المرعى التي ترعاها
من العشب وغيره (أخضت الأرض زخرفها) تمثيل بالمرور إذا تزيفت بالحلى والخيال (قادرون
عليها) أى يتمكنون من الاتضاع بها (أناها أمرنا) أى بعض الجوائح كالريح، والصر، وغير ذلك (لجعلنها
حصيداً) أى جعلنا زرعها كالذى حصد وإن كان لم يحصد (كان لم تغن) كأن لم تنم (واقه) يدعو إلى دار
السلام (أى إلى الجنة، وسميت دار السلام أى دار السلامة من العناء والتعب، وقيل السلام هنا اسم الله:
أى يدعو إلى داره (ويهدى من يشاء) ذكر الدعوة إلى الجنة عامة مطلقة والمهدايا خاصة بمن يشاء (الذين
أحسنوا الحسنى وزيادة) الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله، وقيل الحسنى جزاء الحسنة بعشر أمثالها
والزيادة التخصيف فوق ذلك إلى سبعة أضعاف، والأول أصح لوروده في الحديث وكثرة التافلين به (قد) أى
غبار يغير الوجه (والذين كسبوا السيئات) مبتدأ على حذف مضاف تقديره جزاء الذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها أو على تقدير لم جزاء سيئة بمثلها، أو مقطوعاً على الذين أحسنوا، ويكون جزاء سيئة
مبتدأ وخبره بمثلها (مالهم من الله من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من عذاب الله (قطعا من الليل مظلماً)
من قرأ بفتح الطاء فهو جمع قطعة وإعراب مظلماً على هذه القراءة: حال من الليل، ومن قرأ قطعاً يسكن
الطام، فظلماً صفة له أو حال من الليل (مكانكم) تقديره الزموا مكانكم أى لا تهربوا حتى تنظروا ما يفعل
الله بكم (فويلنا بينهم) أى فرقنا (تبلو كل نفس ما أسلفت) أى تختبر بما قدمت من الأعمال وقرئ تلو بتامين
بمعنى تتبع أو تقرأ في المصاحف (قل من يرزقكم) الآية: احتجاج على الكفار بصحح كثيرة واضحة

سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ • قَدْ أَكَلَمَ اللَّهُ رِبِّكُمْ الْحَقَّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ • كَذَلِكَ
حَقَّتْ لَكُمْ رَبِّكُمُ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ مِنْ شَرِّكَائِكُمْ مِنْ يَدْعُوا الْحَقَّ ثُمَّ يَبْدُوا الْحَقَّ ثُمَّ يَمِيلُوا
عَلَى الْوُحُوشِ قُلْ هَلْ مِنْ شَرِّكَائِكُمْ مِنْ يَدْعِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَدْعِي إِلَى الْهُدَى إِلَى
الْحَقِّ أَتُحِبُّونَ أَنْ يَلْهِيَ عَنْهُ إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ أَفْئَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ • وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا الظَّنَّ لَا يَتَّبِعُونَ
مَنْ الْحَقَّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ • وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنَ رَبِّ الْمُسْلِمِينَ • أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ
كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ • وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ
بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ • وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ قُلِي وَلَكُمْ عَذَابُكُمْ أَمْ بَرِّئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا

لا يحبس لهم عن الإفراج بها (يخرج الحق من الميت) مذكور في آل عمران (ربكم الحق) أي الثابت الربوبية
بخلاف ما يمتنعون من دونه (فماذا بعد الحق إلا الضلال) أي عبادة غير الله ضلال بعد وضوح الحق، وتدل
الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات، إذ الحق فيها في طرف واحد، بخلاف
مسائل الفروع (هكذا حقت كلمت ربك على الذين فسقوا) المعنى كما حق الحق في الاعتقادات
كذلك حقت كلمة ربك على الذين هتوا وتمردوا كفرهم أنهم لا يؤمنون، والكلمات يراد بها القدر والقضاء
(قل هل من شركائكم من يدعوا الحق ثم يميلوا عنه) الآية: احتجاج على الكفار، فإن قيل: كيف يمتنع عليهم
بعبادة الحق، وهم لا ينفرون بها؟ فالجواب، أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون على الابتداء ولا على
الإعادة، وفي ذلك إيصال لربوبيتهم، وأيضا فوضعت الإعادة موضع المتفق عليه لظهور برهانها (أمن لا يهدي)
بتقدير إذا لم يمهله لا يهدي في نفسه، فكيف يهدي غيره، وقرئ بالتخفيف بمعنى يهدي غيره والقرأة الأولى
أبلغ في الاحتجاج (فألم لكم) ما استغفاهم منها تقرير وتوبيخ ولكم خبرها يوقف عليه (كيف تحكمون) أي
تحكمون بالباطل في عبادتكم لغير الله (وما يتبع أكثرهم إلا الظن) أي غير تحقيق، لأنه لا يستند إلى برهان (إن
الظن لا يفتي من الحق شيئا) ذلك في الاعتقادات إذ المطلوب فيها اليقين بخلاف الفروع (تصديق الذي بين يديه)
مذكور في البقرة (أم يقولون) أم هنا بمعنى بل والمعمرة (فأتوا بسورة) تسجيلهم وإقامة حجة عليهم (من
استطعتم) يعني من شركائكم وغيرهم من الجن والإنس (من دون الله) أي غير الله (بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه) أي ساءروا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره (ولما يأتيهم تأويله) أي علم تأويله ويعني
بتأويله الوعيد الذي لم فيه (ومنهم من يؤمن به) الآية: فيها قولان أحدهما إخبار بما يكون منهم في المستقبل
وأن بعضهم يؤمن وبعضهم ينادي على الكفر، والآخر أنها إخبار عن حالهم أن منهم من هو مؤمن به
ويكتم إيمانه، ومنهم من هو مكذب (قل لي) الآية: موادة منسوخة بالقتال (من يستمعون إليك)

تَعْمَلُونَ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّهْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ • إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّيْثَ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلُمُونَ • وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ • وَإِنَّمَا تَرَيْنَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُكُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُ الْآلِيَانَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ • وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ • وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ • قُلْ لَا أَمَلٌ لِّيَ فِيمَا تَرْجُونَ وَلَا نَفْعٌ لِّيَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَذَابُهُ بَيْنًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ • أَتُمْ إِذَا مَآوِعَ عَامَّتُمْ بِهِ أَلَسْتُمْ بِتَسْتَعْجِلُونَ • ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُعْجِزُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ • وَيَسْتَنْبِئُوكَ أَخِي هُوَ قَوْلِي رَبِّي لَهُ الْحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُجْرِمِينَ • وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ ظِلَّاتٌ مَّا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُتِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ • أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا وَهُوَ عَدَدُ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلِلَّهِ تَرْجُوعُونَ • يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِدٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ •

أى يستمعون القرآن ، وجمع الضمير بالحل على معنى من (أفأنت تسمع الصم) المعنى أتريد أن تسمع الصم وذلك لا يكون . لا جأ إذا انضاف إلى الله صم عدم العقل (أفأنت تهدي العمى) المعنى أتريد أن تهدي العمى ، وذلك لا يكون لاسيما إذا انضاف إلى عدم البصر صم والبصر والمعنى عبارة عن قلة فهمهم (لم يلبثوا إلا ساعة) تقليل لمدة بقائهم في الدنيا أو في القبور (ويتعارفون بينهم) يعنى يوم الحشر فهو على هذا حال من الضمير في يلبثوا (وإما نريك) شرط جوابه وإلينا مرجعهم . والمعنى إرأيتك كيف عذابهم في الدنيا فذلك وإن توفيناك قبل ذلك بالآلينا مرجعهم (ثم الله شهيد) ذكرت ثم لترتب الأخبار ، فالترتيب الأمر ، قال ابن عطية ، وقال الزمخشري : ذكرت الشهادة والمراد منه أنها هو العقاب ، فالترتيب على هذا صحيح (وإذا جاء رسولهم) قبل مجيئه في الآخرة لفصل ، وقيل مجيئه في الدنيا ودونه (ويؤولون في هذا الوعد) كلام فيه امتداد أو استخفاف (يا أيها الذين آمنوا) (ماذا يستعجل منه لجرمهم) المعنى أى شيء يستعجلون من العذاب وهو لا طاقة لكم به ، وقوله ماذا جواب إن أناكم ، والجملة متعلقة بأرأيتكم (أتم إذا مآويع آمنتم) دخلت موزنة لتفري على ثم الماطفة ، والمعنى إذا وقع العذاب وطأتموه آمنتم به الآن ، وذلك لا ينفعكم لأنكم كنتم تستجلونه ومكذبين به (يستنبئوك أحمق) أى يسألوكم هل الوعد حق أو هل الشرح ولدين حق ، والأول أرجح ، لقوله وما أتمتم بمجرمين : أى لا تقوتون من الوعد (قل إى) أى نعم (ظلمت) صفة لنفس أى لوهلك الظالم الدنيا لا إحدى بها من عذاب الآخرة (وأسروا الندامة) أى أخفوها

قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فِذَالِكِ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذَنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ . وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْأَلْتُمْ لَأَيُّكُمْ لَا يَشْكُرُونَ . وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ حَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَمُرُّ بِكُمْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عَلَّمْنَا مِنْ قَبْلِهِ إِنَّهُ يَذَرُ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ . أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا يُحِزُّونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَمْ يَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ لَاتَبْدِيلَ

في نفوسهم ، وقيل أظهرهما (موعظة من ربكم) يعني القرآن (وشفاها لما في الصدور) أى يشفي ما فيها من الجهل والشك (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) يتعلق بفضل بقوله فليفرحوا ، وكرر الباء في قوله فبذلك تأكيداً والمعنى الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بغيرهما ، والفضل والرحمة عموم ، وقد قيل الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن (هو خير مما يجمعون) أى فضل الله وبرحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا (قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق) الآية : مخاطبة لكفار العرب الذين حرموا البحيرة والسائبة وغير ذلك (قل الله أذن لكم) متعلق بأرايتم ، وكرر قل للتأكيد ، ولما قسم الأمر إلى إذن الله لهم وإقرارهم ثبت اقترائهم ، لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم في ذلك (وما ظن) وعيد للذين يفترون (يوم القيامة) ظرف منصوب بالظن ، والمعنى : أى شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم (وما تكون في شأن) الشأن الأمر ، والمخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو جميع الخلق ، ولذلك قال في آخرها : وما تعملون من عمل بمخاطبة الجماعة ، ومعنى الآية إحاطة علم الله بكل شيء (وما تلتوا منه من قرآن) الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدم ذكره دلالة ما بعده عليه ، كأنه قال : ما تلتوا شيئاً من القرآن ، وقيل يعود على الشأن ، والاول أرجح ، لأن الإخبار قبل الذكر تفخيم للشيء (إذ تفيضون فيه) يقال أفاض الرجل في الأمر إذا أخذ فيه بجد (وما يمرب) ما ينيب (مقال ذرة) وزنها والذرة صغار التمل ، قال الزمخشري ، إن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف سورة سبأ ، فالجواب أن السماء تقدمت في سبأ لأن حقها التقديم ، وقدمت الأرض هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) من قرأهما بالفتح فهو عطف على لفظ مقال ، ومن قرأهما بالرفع فهو عطف على موضعه أو رفعه بالابتداء أولياء الله اختلف الناس في معنى الولي اختلافاً كثيراً ، والحق فيه ما فسر الله بهد هنا بقوله . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي ، وإعراب الذين آمنوا صفة للأولياء ، أو منصوب على التخصيص ، أو مرفوع بإضمارم الذين ولا يكون ابتداء مستأنفاً لثلاث قطع مما قبله (لم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أما بشرى الآخرة فهي الجنة اتفاقاً ، وأما بشرى الدنيا فهي الرزق الصالحه يراها الرجل الصالح أو ترى له ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل عبة الناس للرجل الصالح ، وقيل ما بشر به في القرآن من الثواب (لا تبدل لكلمات الله)

لَكَلَّمْتُ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْدُ الْعَظِيمُ . وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْمَرْءَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ . هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ . قَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَخْلَعُونَ . مَتَّعُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ . وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَّقُوا إِنْ كَانَ كُفْرُكُمْ عَلَيَّكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بَنَاتِ اللَّهِ فَصَلَّى اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّ ثُمَّ أَقْنُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ . فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَاسْتُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَةً وَافْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ

أى لا تنصير لأقواله ولا خلف لمواعيده ، وقد استدل ابن عمر على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدله (ولا يحزنك قولهم) يعنى ما يقوله الكفار من التكذيب (إن المرة لله) إخبار في ضمنه وعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر ، وتسليته له (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن) فيها وجهان : أحدهما أن تكون مانفة وأوجبت بقوله إلا الظن وكرر إن يتبعون توكيذا ، والمعنى ما يتبع الكفار إلا الظن ، والوجه الثانى أن تكون ما استفهامية ، ويتم الكلام عند قوله شركاء ، المعنى أى شئ يتبعون على وجه التحقير لما يتبعونه ، ثم ابتدأ الإخبار بقوله إن يتبعون إلا الظن ، والمائل في شركاء على الوجهين يدعون (لتسكنوا فيه) من السكون وهو ضد الحركة (والهنا مبصرا) أى مضينا تبصرون فيه الأشياء (قَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) الضمير للصارى ولما قال إن الملائكة بنات الله (هو الغنى) وصف يقتضى نفى الولد والرد على من نسب إليه ، لأن الغنى المطلق لا يختص إلى اتخاذ ولد (له ما فى السموات وما فى الأرض) بيان وتأكيده للغنى ، وباقي الآية توبيخ للكفار ووعيد لهم (متاع فى الدنيا) تقديره لهم متاع فى الدنيا (نوح) روى أن اسمه عبد الغفار ، وإنما سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه من خوف الله (كبر عليكم) أى صعب وشق (مقامى) أى قيامى لو عظمتم والكلام معكم ، وقيل معناه مكانى يعنى نفسه ، كقولك فعلت ذلك لمكان فلان (فأجمعوا) يقطع الهدية من أجمع الأمر لإنعازهم عليه ، وقرئ بألف وصل من الجمع (وشركاؤكم) أى ما تعبدون من دون الله وإعراجه مفعول معه أو مفعول بفعل مضمر تقديره ادعوا شركاءكم ، وهذا على القراءة يقطع الهدية وأما على الوصل فهو معطوف (ثم لا يكن أمركم عليكم غم) أى لا يكون قصدكم إلى ملاكى مستورا ولكن مكتسوبا بجاهرتى به وهو من قولك غم الحلال إذا لم يظهر . والمراد بقوله أمركم فى الموضعين إهلاككم لنوح عليه السلام ، أى لا تقصروا فى إهلاكى إن قدمت على ذلك (ثم اقضوا إلى) أى اقضوا فيما تريدون . ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه إن صعب عليكم دعائى لكم إلى الله فاصنعوا بى غاية ما تريدون وإنى لا أبالى بكم لتوكلوا

كَيْفَ كَانَ عَجَبُ الْمُتَدَرِّينَ • ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ لِحَقِّهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا
كُذِّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلِ كَذَلِكَ نَطْلُعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَعَدِّينَ • ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
بِنَائِبَتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ • فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ مَلَأَ سَحَرٌ مِثْنُ • قَالَ
مُوسَى أَتَقُولُونَ الْحَقُّ لَمَّا جَاءَ ثُمَّ أَسْحَرْ هَذَا وَلَا يُلْغِ السَّحَرُونَ • قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ • وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُوتَنِي بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ •
فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَتُمُوتُونَ • فَلَمَّا أَتَوْا قَالُوا مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ
سَيُعَذِّبُهُ • إِنَّ اللَّهَ لَأَصْلَحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ • وَيَقُولُ اللَّهُ الْحَقُّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ • فَلَمَّا آمَنَ لِمُوسَى
إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ
الْمُفْسِدِينَ • وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَلْيَلْهُ وَقُلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ • قَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا

على الله وتوكل به سبحانه (وجعلناهم خلافت) أى يخلفون من هلك بالفرق (ثم بشارنا من بعده رسلا) يعنى
هودا وصالحا وإبراهيم وغيرهم (أمر هذا) قيل إنه معمول أقولون ، فهو من كلام قوم فرعون وهذا ضعيف
لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر لقولهم : إن هذا السحريين ، فكيف يستهيمون عنه ، وقيل إنه من كلام موسى
تقرير أو توخيلاهم فيقول على قوله أقولون للحق لما جاءكم ، ويكون معمول أقولون عذوف تقديره أقولون للحق
لما جاءكم ثم إنه لسحر ويدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم إن هذا لسحريين ، فقامت الكلام ابتداء موسى
توخيهم بقوله : أسحر هذا ولا يفلح الساحرون ، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبى جعفر ابن الزبير
رحمه الله (للفتن) أى لتصرفنا وتردنا عن دين آبائنا (وتكون لكما الكبرياء) أى الملك ، والمخاطب لموسى
وأخيه عليهما السلام (ما جئتم به السحر) ما موصولة مرفوعة بالابتداء والسحر المحذوف أى السحر بالاستفهام
فأعلى هذا استفهامية ، والسحر خبر ابتداء مضمر (ويحق الله الحق) يحتمل أن يكون من كلام موسى أو
إخبار من الله تعالى (فأما لموسى إلا ذرية من قومه) الضمير عائد على موسى ومعنى الذرية شيان وفتيان
من بنى إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون ، وقيل إن الضمير عائد على فرعون ، فالذرية على هذا من
قوم فرعون ، وروى في هذا أنها امرأة فرعون وخازنته وامرأة عازنه ، وهذا بعيد ، لأن هؤلاء لا يخالطهم ذرية ،
ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور (على خوف من فرعون) والضمير يعود على الذرية
أى آمنت الذرية من بنى إسرائيل على خوف من فرعون وملأ من بنى إسرائيل لأن الأكابر من بنى إسرائيل
كانوا ينجس أولادهم من الإيمان خوفا من فرعون ، وقيل يعود على فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال
ريسة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له (أن يفتنهم) بدل من فرعون (لعال فى الأرض) أى

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • وَجَعَلْنَا بَرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ • وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكَ مِمَّنْ يَبْغُونَ وَأَجْعَلُوا يُوتَكُمْ قِبَلَهُ رَاقِمُوا الصَّلَاةَ وَيُشِرِ الْمُؤْمِنِينَ • وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ • قَالَ قَدْ أُجِيبْتُ دَعْوَتَكُمْ فَاسْتَجِبْ وَلَا تَظْهَرَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ • وَجَوِّزْنَا بَيْنِي وَبَيْنَ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ • أَتَلَنَ وَقَدْ حَصِيتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ • قَالِيمٌ تَجْعَلُ يَدَكَ لِنَافِ لِمَنْ خَلَقْتَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَنَافِلُونَ • وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبَايِدَهُمْ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَاخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَا كَاوُنَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ • فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِّ

متكبر قاهر (ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين) أى لا تمكنهم من طلبنا فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما عذبناهم فيفتنون بذلك (أن تبوء لقومك ممَّنْ يَبْغُونَ) أى اتخذ لهم يوتاً للصلاة والعبادة، وقيل إنه أراد الإسكندرية (واجعلوا يوتكم قبة) أى مساجد وقيل موجهة إلى جهة القبلة، فان قيل لم خص موسى وهارون بالخطاب في قوله أن تبوء؟ ثم عاظم بهما بنو إسرائيل في قوله واجعلوا، فالجواب أن قوله تبوء من الأمور التي يختص بها الأنبياء وأولوا الأمر (ويشر المؤمنين) أمر لموسى عليه السلام، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء بلفظ الأمر، وقيل اللام لام كي وتعلق بقوله آتيت (اطمس على أموالهم) أى اهلكها (واشدد على قلوبهم) أى اجعلها شديدة القسوة (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء الذي هو اشدد، ودعاء بلفظ النفي (قال قد أجيب دعوته) الخطاب لموسى وهارون على أنه لم يذكر الدعاء إلا عن موسى وحده لكن كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه، (فاستجيبا) أى اثبتا على ما أتيا عليه من الدعوة إلى الله (فأتبعهم فرعون) أى لحقهم يقال تبعه حتى أتبعه، هكذا قال الوجودى، وقال ابن عطية أتبع بمعنى تبع، وأما أتبع بالتشديد فهو طلب الأثر سواء أدرك أو لم يدرك (لا إله إلا الذى آمننت به بنو إسرائيل) بنى الله عز وجل، وفي لفظ فرعون بجهلة وتعنت لأنه لم يصرح باسم الله (الآن وقد عصيت قبل) أى قيل له أؤمن الساعة في وقت الاضطراب وذلك لا يقبل منك (تنجيك) أى يبعدك عما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر، وقيل تنجيك على نجدة من الأرض أى على موضع مرتفع (يدئك) أى بجسدك جسدا بدون روح، وقيل يدريك، وكانت له يد من ذهب يعرف بها والحذوف في موضع الحال والباء للمصاحبة (لتكون لمن خلقك آية) أى لمن ورائك آية وهم بنو إسرائيل (مبوا صدق) منزلا حسنا وهو مصر والشام (فاختلفوا حتى جاءهم العلم) قيل يريد اختلافهم في دينهم وقيل اختلافهم في أمر محمد صلى

الَّذِينَ يَقْرُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَدَىٰكَ الْخُبْرُ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُنْتَرِينَ • وَلَا تَكُونُ مِنَ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَكُونُ مِنَ الْخَسِرِينَ • إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ • وَلَوْ جَاءَتْهُمْ
كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ • فَلَوْلَا كَانَتْ قُرْءَانًا فَتَفَعَّلُوا لَإِنَّهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا آٰمَنُوا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ عَذَابَ الْآخِرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْخَيْرِ • وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا
أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ • وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَقُولَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ • قُلْ أَظْهَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُنْفِ الْأَيَّاتُ وَالتَّنْذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ •
فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ • ثُمَّ تَجْعَلُ رُسُلًا

الله عليه وسلم (فإن كنت في شك) قبل الخطاب لنبى صلى الله عليه وآله وسلم، والمراد غيره، وقيل ذلك
كقول القائل لآله: إن كنت ابنى فبرى مع أنه لا يشك أنه ابنه، ولكن من شأن الشك أن يؤول بسؤال
أهل العلم، فأمره بسؤالهم، قال ابن عباس لم يشك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسأل، وقال الزمخشري إن ذلك
على وجه الفرض والتقدير، أى إن فرضت أن تقع في شك فاسأل (عما أزلنا إليك) قيل يعنى القرآن أو الشرع
بجملة، وهذا أظهر، وقيل يعنى ما تقدم من أن نبى إسرائيل ما اختلفوا إلا آمن بعدما جاهد الحق (فاستل الذين
يقروون الكتاب من قبلك) يعنى الذين يقرؤون التوراة والإنجيل، قال السبيل هم عبد الله بن سلام وغيره
ومن أسلم من الأجبار، وهذا بعيد، لأن الآية مكية، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة، لحمل الآية على الإحالة،
أولى (فلا تكون) خطاب لنبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (حقت كلمة ربك) أى قضى أنهم لا يؤمنون،
(فلولا كانت قرية آمنت) لولا هنا للتخصيص بمعنى هلا، وقرئ في الشاذ هلا، والمعنى هلا كانت قرية من
القرى المتقدمة آمنت قبل نزول العذاب فضعها إيمانها: إذ لا يقع الإيمان بعد معاينة العذاب كما جرى لقرعون
(الإلقوم يونس) استثناء من القرى، لأن المراد أهلها، وهو استثناء منقطع بمعنى: ولكن قوم يونس لما
آمنوا كشفنا عنهم العذاب، ويجوز أن يكون متصلا، والجملة في معنى النبى كأنه قال ما آمنت قرية إلا قوم
يونس، وروى في قصصهم أن يونس عليه السلام أقدم بالعذاب، فلما رآه قد خرج من بين أظهرهم
علموا أن العذاب ينزلهم فتابوا وقصروا إلى الله تعالى فرضه عنهم (ومتناهم إلى حين) يريد إلى آجالهم
المكتوبة في الأزل (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) المدرة للإنكار أى أتريد أنت أن تكره الناس
في إدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرمهم إلى ذلك، وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله، وقيل المعنى أفأنت
تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا أو كان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد ثم تسخت بالسيف (انظروا)
أمر بالاحتبار والنظر في آيات الله (وما تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) يعنى من قضى الله عليه أنه
لا يؤمن، وما نافية أو استهائية يراد بها النبى (فهل ينتظرون) الآية: تهديد (حقا علينا) اعتراض بين العامل

وَالَّذِينَ آمَنُوا تَزَكَّيْنَا الْمُؤْمِنِينَ • قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ • وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فُتِنْتَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ • وَإِنْ يَسْسَكَ اللَّهُ بُيُوتًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِضُرٍّ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ • قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ الْخُلُقُ مِنْكُمْ قَدْ أَهْتَدَى فَأَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِي وَمَنْ ضَلَّ فَلَا يُمْسِكُ بِعِلْمِي وَمَا أُعَلِّمُ بَرَكِيلَ • وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَارِجِينَ •

سورة هود

مكية إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤ فنية وآياتها ١٣٣ نزلت بعد سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • الرُّكْبُ أَهَكَتْ أَيَّتَهُ ثُمَّ فَضَلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ • أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مَنذِيرٌ وَيُشِيرُ • وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ • لِلَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ •

ومعموله ومها كذلك ، وتنج المؤمنين (وأن أقم وجهك) الوجه هنا بمعنى القصد والدين (وما أنا عليكم بوكيل) منسوخ بالقتال ، وكذلك قوله وأصبر حتى يحكم الله وعد بالنصر والظهور على الكفر

سورة هود عليه السلام

(الر) (كتاب) يعني القرآن ، وهو خبر ابتدأ منضم (أهكت) أي أهتت فهو من الإحكام للشيء (ثم فصلت) قيل معناه يفت وقيل قطعت سورة سورة ، ونم هنا ليست الترتيب في الزمان ، وإنما في ترتيب الأحوال : كقولك فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل (الأتعبوا إلا الله) أذ مفسرة وقيل مصدرية في موضع مفعول من أجله ، أو بدل من الآيات أو يكون كلاما مستقفا منقطعا عما قبله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبدل على ذلك قوله إِنِّي لَكُمْ مَنذِيرٌ وَيُشِيرُ (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) أي استغفروا عما تقدم من الشرك والمعاصي ، ثم لرجوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها (يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا) أي يفضلكم في الدنيا بالآرزاق ، والنعم ، والخيرات ، وقيل هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه ، لأن الكافر قد يتمتع في الدنيا بالآرزاق (إلى أجل مسمى) يعني إلى الموت (ويؤتي كل ذي فضل فضله) أي يعطي في الآخرة كل ذي عمل جزاء عمله ، والضمير يحتمل أن يعود على الله تعالى أو على ذي فضل (وإن تولوا) خطاب

أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ الْأَحْيِينَ يَنْتَشُونَ ثِيَابَهُمْ يَسْمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَسْتُونَ إِنَّهُ عِلْمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ • وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ •
 وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ
 إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ • وَلَئِنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمُ الْمَغَابِرُ
 إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَجِبُهُ آلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ •
 وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَتَاعًا رَاحَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهُ مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُفِّرُ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمًا بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْ لَيَقُولَنَّ
 ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ • إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ •
 فَلَمَّا تَرَأَى تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَاقَ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْجَاءٌ مِمَّا مَلَكَ إِمَّا

الناس وهو فعل مستقبل حذفته منه إحدى التامين (خطاب يوم كبير) يعنى يوم القيامة أو غيره كيرم بدر
 (ألاإنهم ينتون صدورهم ليستخفوا منه) قيل كان الكفار إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يردون
 إليه ظهورهم لتلا يرونه من شدة البغض والمداوة ، والضمير في منه على هذا يعود إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وقيل إن ذلك عبارة عما تطوى عليه صدورهم من البغض والغل ، وقيل هو عبارة عن إعراضهم
 لأن من أعرض عن شيء اتقى عنه وانحرف والضمير في منه على هذا يعود على الله تعالى أى يريدون أن
 يستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله ولا المؤمنون على ما في قلوبهم (ألا حين يستنشون ثيابهم) أى
 يمسحونها أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن ، والمامل في حين يعلم مايسرون ، وقيل المعنى يريدون أن
 يستخفوا حين يستنشون ثيابهم ، فيوقف عليه على هذا ، ويكون يعلم استخفا (وما من دابة في الأرض
 إلا على الله رزقها) وعد وضمان صادق ، فإن قيل : كيف قال على الله بلفظ الوجوب ، وإنما هو تفضل ،
 لأن الله لا يجب عليه شيء ؟ فالجواب : أنه ذكره كذلك تأكيداً في الضمان ، لأنه لما وعد به صار واقعاً
 لا محالة لأنه لا يحفظ الميعاد (ويعلم مستقرها ومستودعها) المستودع صلب الآب والمستقر بطن المرأة
 وقيل المستقر المكان في الدنيا والمستودع القبر (وكان عرشه على الماء) دليل على أن العرش والماء كانا
 موجودين قبل خلق السموات والأرض (ليلوكم) أى لينتخبكم اختبأرا تقوم به الحجة عليكم ، لأنه كان
 عالماً بأعمالكم قبل خلقكم ويلمح ليلوكم بخلق (سحر مبين) يحتمل أن يشير إلى القرآن ، أو إلى القول
 بالبعث يعنون أنه ماثل كطلان السحر (ولئن أخرنا عنهم العذاب) يحتمل أن يريد عذاب الدنيا أو الآخرة
 (إلى أمة معدودة) أى إلى وقت محدود (ليقولن مايجب) أى أى شيء يمنع هذا العذاب الموعود به ، وقولهم
 ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف (ولئن أذقنا) الآية : ذم لمن يقطع عند الشدائد ، ومن يقتصر
 ويتكبر عند النعم ، والرحمة هنا والنعماء يراد بهما الخيرات الدنيوية ، والإنسان عام يراد به الجنس والاستثناء
 على هذا متصل ، وقيل المراد بالإنسان الكافر فالاستثناء منقطع (فلما تراك بعض ما يوحى إليك)

أَنْتَ تَذِيرُ * وَآلَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْعَلْهُ قُلُ فَاتُوا بِمِثْرِ سُورٍ مِثْلَهُ مُقْتَرِكَةً وَأَدْعُوا مَنْ
اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مُصْذِقِينَ * قَالُوا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلُوا أَمَّا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَإِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * مَنْ كَانَ يَرْيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْصَوْنَ * أُولَئِكَ
الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ

الآية : كان الكفار يفتخرون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي بكذا أو يأتي معه ملك ،
وكانوا يستزدون بالقرآن فقال الله تعالى له : فاعلمك نارك أن تلقى إليهم بعض ما أنزل إليك ويثقل عليك تبليغهم من
أجل استهزائهم ، أو لملك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا لولا أنزل عليه كبر أو جاء معه ملك ، والمقصود
بالآية تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن قولهم حتى يبلغ الرسالة ، ولا يبال بهم ، وإنما قال ضائق ، ولم يقل
ضيق ليدل على اتساع صدره عليه السلام وقلة ضيقه (إنما أنت نذير) أى ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ
والله هو الوكيل الذى يقضى بما شاء من إيمانهم أو كفرهم (أم يقولون اقراءه) أم هنا منقطعة بمعنى بل
والهمزة والضمير في اقراءه لما يوصى إليه (قل فاتوا بعشر سور مثله) تحذام أو لا بعشر سور فلما بان
مجزم تحذام بسورة واحدة قال فاتوا بسورة من مثله ، والمائة المطلوبة في فصاحته وعلومه (مفتريات) صفة
لعشر سور ، وذلك مقابلة لقولهم اقراءه ، وليست المائة في الاقراء (وادعوا من استطعتم) أى استمعوا
من شئتم (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) فيها وجهان : أحدهما أن تكون مخاطبة من الله
للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللؤمنين : أى إن لم يستجب الكفار إلى ما يدعوهم إليه من معارضة القرآن
فاعلموا أنه من عندنا ، وهذا على معنى دوموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقيناه ، والثاني أن يكون خطابا من
النبي صلى الله عليه وآله وسلم للكفار أى إن لم يستجب من تدعوه من دون الله إلى شيء من المعارضة
ولا قدر جميعكم عليه فاعلموا أنه من عند الله ، وهذا أقوى من الأول لقوله : فهل أنتم مسلمون ، ومعنى يعلم
الله : يأذنه ، أو بما لا يعلمه إلا الله من النبوء وقوله فهل أنتم مسلمون لفظه استفهام ، ومعناه استدعاء
إلى الإسلام وإلزام للكفار أن يسلموا لما قام الدليل على صحة الإسلام ليجزم من الإتيان بمثل القرآن
(من) كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) الآية : نزلت في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة
إذ هم لا يصنفون بها ، وقيل نزلت في أهل الربا من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا حسبا ورد
في الحديث في القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك إنهم أول من تسرع بهم النار ،
والأول أرجح لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن وإنما قصد هذه الآية أولئك (نرف إليهم أعمالهم فيها)
نوف إليهم أجور أعمالهم بما ينبتهم فيها من الصحة والرزق ، والضمير في فيها يعود على الدنيا
والمرحور متعلق بقوله نوف أو بأعمالهم (وحبط ما صنعوا فيها) الضمير في فيها هنا يعود على الآخرة إن
تعلق المجرور بحبط ويحيط على الدنيا إن تعلق بصنعوا (أفن كان على بنية من) ربه) الآية معادلة لما
تقدم ، والمعنى أفن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بنية من ربه ، والمراد بمن كان على بنية من ربه :
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون لقوله بعد ذلك : أولئك يؤمنون به ، ومعنى البنية البرهان العقل والامر

رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ
الْأَحْزَابِ فَإِنَّ آتَاءَ مُوعِدِهِ فَلَا تَكُ فِي مِرَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ • وَمَنْ
أَظْلَمُ مِنْ أَقْرَبَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ • الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتَنِيهِمْ بَعْضُ مَا هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ •
أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِرِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانْ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَخْتَصِفُ لَهُمْ السَّذَابُ
مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ • أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَخَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ • لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِرُونَ • إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ • أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ • قَالُوا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَىٰكَ أَتَمَلُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا

الجلى (ويتلو شاهد منه) الضمير في يتلو البرهان وهو البينة ولما كان على بينة من ربه ، والضمير في منه
لرب تعالى ، ويتلو هنا بمعنى يتبعه والعاقد يريد به القرآن فالمتى يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو
القرآن ، فيزيد وضوحه وتعظم دلالته ، وقيل إن الشاهد المذكور هنا هو علي بن أبي طالب (ومن قبله
كتاب موسى) أى ومن قبل ذلك الكتاب الشاهد كتاب موسى ، وهو أيضاً دليل آخر متقدم ، وقد قيل
أقوال كثيرة في معنى هذه الآية وأرجحها ما ذكرنا (ومن الأحزاب) أى من أهل مكة (ويقولون الأشهاد)
جمع شاهد كأصحاب ، ويحتمل أن يكون من الشهادة فيراد به الملائكة والآلئاء أو من الشهود بمعنى
الحضور ، فيراد به كل من حضر الموقف (ويعتنيهم بَعْضُ مَا هُمْ بِالْآخِرَةِ) أى يطلون أعوجاجها أو يصفونها بالأعوجاج
(لم يكونوا معجرين) أى لا يفتنون (يختصف لهم العذاب) إخبار عن تشديد عذابهم وليس بصفة
لأوليائه (ما كانوا يستطيعون السمع) الآية : ما نافية والضمير للكفار ، والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون
ولا يبصرون كقوله : ختم الله على قلوبهم الآية ، وقيل غير ذلك ، وهو بعيد (لاجرم) أى لا بد ولا شك
(آخبتوا) أى خشعوا وقيل آثروا (مثل الفريقين) يعنى المؤمنين والكافرين (كالأعمى والأصم والبصير
والسميع) شبه الكفار بالأعمى والأصم ، وشبه المؤمنين بالبصير والسميع فهو على هذا تمثيل للمؤمنين
بمثالين ، وتمثيل للكافرين بمثالين ، وقيل التقدير كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، قالوا لو عطف الصفات
فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثال واحد وهو من جمع بين السمع والبصر ، وتمثيل للكفار بمثال واحد وهو
من جمع بين العمى والصمم (عذاب يوم أليم) وصف اليوم بالأليم على وجه المجاز لوقوع الألم فيه (أرادنا)
جمع أرذل وهم منسفة الناس ، وإنما وصفهم بذلك لفقرهم جهلانهم واعتقاد أن الشرف هو بالمال

بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَازَى الْكَلِمَاتِ مِنْ فَضْلِ بِلَافْظِكُمْ كَلِيدِينَ قَالَ يَقُومُ أَرَبَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيْتَتَيْنِ رَبِّي وَمَآ تَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَصَبِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلَكُمْ كُوهًا وَأَتَمَّ مَا كَرِهُونَ • وَيَقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ • وَيَقُومُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفْلَاكًا كَرُونَ • وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ إِذَا لَمْ يَنْظُرِينَ • قَالُوا يَنْحُوحُ قَدْ جَدَدْتَنَا فَأَنْزَلْهُ جَدًّا لَنَا قَالَتَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ • وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرَبِّي مَعْتَمِدٌ • وَأَوْحَى إِلَيَّ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ

والجاه، وليس الأمر كما اعتقدوا، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال قهرهم وخمولهم في الدنيا، وقيل إنهم كانوا حاكمة وحجابين، واختار ابن عطية أنهم أرادوا أنهم أرادوا في أفهام لقول نوح: وما على بما كانوا يعملون (بادي الرأي) أي أول الرأي من غير نظر ولا تقدير، وبأدى منصوب على الظرفية: أصله وقت حدوث أول رأيهم، والعامل فيه اتبعوك على أصح الأقوال، والمعنى اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت، وقيل هو صفة لبشرًا مثلنا: أي غير مثبت في الرأي (ومازى لكم علينا من فضل) أي من مزية وشرف، والخطاب لنوح عليه السلام ومن معه (على بيتتين ربني) أي على برهان وأمر حلي، وكذلك قصة صالح وشعيب (وآتاني رحمة من عنده) يعني النبوة (فصبيت عليكم) أي خفيت عليكم، والفعل على هذا البيعة أو الرحمة (أنزلكم كوهًا) أي أنكرهكم على قبولها فها وهذا هو جواب رأيهم: ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه أرايتم إن هداني الله وأضلكم أأجبركم على الهدى وأتم له كارهون (لا أسألكم عليه مالا) الضمير في عليه عائد على التبليغ (وما أنا بطارِدِ الذين آمنوا) يقتضى أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء (إنهم ملأوا ربهم) المعنى أنه مجازبهم على إيمانهم (من ينصرفي من الله إن طردتهم) أي من يدفع عن عقاب الله إن ظلمتهم بالطرد (ولا أقول لكم عني خزائن الله) الآية: أي لا أدعي ما ليس لي فتسكرون قولي (تزدري) أي تحقرن قولاك زريت الرجل إذا قصرت به، والمراد بالذين تزدري أعينهم ضعفاء المؤمنين (إني إذا لمن الظالمين) أي إن قلت للذين آمنوا لا يفترون، والخير هنا يحتمل أن يريد بهخير الدنيا والآخرة (جادلتنا) الجدال هو المخاصمة والمراجعة في الحجة (فأتانا بما تعدنا) أي بالمناب (ولا ينفعكم نصحي) الآية: جواب قوله إن أردت أن أنصح لكم، هو مادل عليه قوله نصحي وجواب قوله إن كان الله يريد أن يغويكم: هو مادل عليه قوله لا ينفعكم نصحي، فقد برها: إن أراد الله أن يغويكم لن ينفعكم نصحي إن فصحت لكم، ثم استأنف قوله هو ربكم، ولا يجوز أن يكون ربكم هو جواب للشرط (أم يقولون افتراه) الآية: الضمير في يقولون لكفار قريش، وفي افتراه لمحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، هذا قول جميع المفسرين، واختار

قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَعْطِلْ فِي الدِّينِ
ظُلُومًا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ • وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرْءً عَلَيْهِ لَمَّا مِنْ قَوْمِهِ يَخْرُؤُا مِنْهُ قَالَيْنِ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ
مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ • فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ • حَتَّى إِذَا دَخَلْنَا
وَقَارَ التَّنُورَ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ
إِلَّا قَلِيلٌ • وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرِّبُهَا وَرَسُولَهَا إِنَّا رَقِيقُ الْغُفُورِ رَحِيمٌ • وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ

ابن عطية أن تكون في شأن نوح عليه السلام ، فيكون الضمير في يقولون لقوم نوح ، وفي افتراءه
لنوح ثلاثه مراض ما بين قصة نوح بغيرها وهو بعد (اجرائي) أي ذنبي (فلا تبتئس) أي فلا تحزن (واصنع الفلك
بأعيننا) أي تحت نظرنا وحفظنا (ووحينا) أي وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك (ولا تعاطين في الدين ظلوما)
أي لا تفعل لي فيهم ، فإن قد قضيت عليهم بالفرق (كلما) يحتمل أن يكون جوابها تسخروا منه ، أو قال إن
تسخروا (فسوف تعلمون) تهديد ومن يأتيه منصوب يعلمون (عذاب يخزيه) هو الفرق والعذاب المقيم
عذاب النار (حتى إذا جاء أمرنا) غاية لقوله ويصنع الفلك (وقار التنور) أي قار بالماء وجعل الله تلك
العلامة لنوح ليترك حيثك في السفينة ، والمراد بالتنور الذي يوجد فيه عند ابن عباس وغيره ، وروى أنه
كان تنور آدم خلص إلى نوح ، وقيل التنور وجه الأرض (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) المراد
بالزوجين الذكر والأنثى من الحيوان ، وقرئ من كل ينير فتبين فعل احمل في اثنين ومن قرأ بالتنوين
حمل احمل في زوجين وجعل اثنين نعمت له على جهة التأكيد (وأهلك) أي قرايتك ، وهو معطوف على
ما حمل فيه احمل (إلا من سبق عليه القول) أي من قضى عليه بالعذاب فهو مستثنى من أهله ، والمراد بذلك
ابنه الكافر وإمرأته (ومن آمن) معطوف على أهلك ، أي احمل أهلك ومن آمن من غيرهم (وما آمن معه
إلا قليل) قيل كانوا ثمانين وقيل عشرة وقل ثمانية (وقال اركبوا فيها) الضمير في قال لنوح ، والخطاب
لمن كان معه ، والضمير فيها للسفينة ، وروى أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب ، واستقرت على الجردى
يوم عاشوراء (بسم الله جرها ومرساها) اشتقاق جرها من الجرى ، واشتقاق مرساها من الإرساء ، وهو
الثبوت . أو من وقوف السفينة ، ويمكن أن يكونا ظرفين للزمان أو المكان ، أو مصدرين ، ويحتمل الإعراب من
وجهين : أحدهما أن يكون اسم الله في موضع الحال من الضمير في اركبوا ، والتقدير اركبوا متبركين باسم الله أو قائلين
بسم الله ، فيكون جرها ومرساها على هذا ظرفين للزمان بمعنى وقت إجرائها وإرسائها أو ظرفين للسكان ، ويكون
العامل فيه ما في قوله بسم الله من معنى الفعل في موضع خبر ويكون قوله بسم الله متصلا مع ما قبله ، والجملة
كلام واحد ، والوجه الثاني : أن يكون كلامين فوقه على اركبوا فيها ويكون بسم الله في موضع خبر ، وجرها
ومرساها مبتدأ بمعنى المصدر أي إجرائها وإرساؤها ويكون بسم الله على هذا مستأنفا غير متصل بما قبله ولكنه
من كلام نوح حسبا روى أن نوحا كان إذا أراد أن يجري بالسفينة قال بسم الله تجري ، وإذا أراد وقوفها
قال بسم الله تخفف (وهي تجري بهم في موج كالجبال) روى أن الماء طبق ما بين السماء والأرض فصار الكل

كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يٰبُنَيَّ اَرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ • قَالَ سَتَأْتِيَ لِيْ جَبَلٌ يَخْسِفُنِيْ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الدَّنُورَيْنِ • وَقِيلَ يٰأَرْضُ اَبْلِيْ مَا لَكَ وَيَسْمَاةُ أَقْلِيْ وَغِيضَ الْمَاءِ وَغُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُدَاَ لِقَوْمٍ الظَّالِمِينَ • وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِيْ مِنْ أَهْلِيْ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ • قَالَ يٰنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ عَذَابَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ • قَالَ رَبِّ إِنَّيْ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِيْ بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِيْ وَرَحْمَتِيْ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ • قِيلَ يٰنُوحُ اصْلُبْ لِسَبْعٍ مِّنَّا وَبَرَكَتٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّنْ مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ

كالبحر قال ابن عطية وهذا ضعيف ، وابن كان الموج كالجبال على هذا ، وصوبه الزعزعي ، وقال كانت تجري في موج كالجبال قبل التطبيق ، وقيل أن يغمر الماء الجبال (ونادى نوح ابنه) كان اسمه كنعان ، وقيل يام وكان له ثلاث بنون سواههم سام وحام ويافت ، ومنهم تاسل الحلق (في معزل) أي في ناحية (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) يحتمل أربعة أوجه : أحدها أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم كذلك بمعنى الراحم فاللحق لا عاصم إلا الراحم وهو الله تعالى ، والثاني أن يكون عاصم بمعنى عصى أي معصوم ومن رحم : بمعنى مفعول أي من رحم الله . فاللحق لا معصوم إلا من رحمه الله ، والاستثناء على هذين الوجهين متصل ، والثالث أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم بمعنى المفعول ، والمعنى لا عاصم من أمر الله لكن من رحمه الله فهو المعصوم ، والرابع عكسه والاستثناء على هذين منقطع (ابلى ما لك) عبارة عن جفوف الأرض من الماء (أقلى) أي أمسك عن المطر وروى أنها أمطرت من كل موضع منها (وغيض الماء) أي نقص (وغض الأمر) أي تم وكل (واستوت على الجودي) أي استقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل (وقيل بدأ) أي هلاكا ، وانتصب على المصدر . ونادى نوح ربه) يحتمل أن يكون هذا النداء قبل الفرق فيكون العطف من غير ترتيب ، أو يكون بعده (قال رب إن ابني من أهلي) أي وقد وعدتني أن تنجي أهلي (قال يانوح إنه ليس من أهلك) أي ليس من أهلك الذين وعدتني بنجاتهم ، لأنه كافر ، وقال الزعزعي : لم يكن ابنه ولكنه خاتنه أمه ، وكان لغير رشده وهذا ضعيف ، لأن الإنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزن نساؤهم ولقوله ونادى نوح ابنه (إنه عمل غير صالح) فيه ثلاث تأويلات على قراءة الجمهور : أحدها أن يكون الضمير في إنه لسؤال نوح نجاة ابنه ، والثاني أن يكون الضمير لابن نوح وحذف المضاف من الكلام تقديره إنه ذو عمل غير صالح ، والثالث أن يكون الضمير لابن نوح ، وعمل : مصدر وصف به مبالغة كقولك رجل صوم ، وقرأ الكسائي وعمل ، بفعل ماضٍ وغير صالح ، بالنصب ، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال (فلا تسأل ما ليس لك به علم) أي لا تطلب مني أمرا لا تعلم أصوابه هو أم غير صواب ، حتى تقف على كنهه ، فإن قيل : لم سمى نذاه سؤالا ، ولا سؤالا فيه ؟ فالجواب أنه تضمن السؤال وإن لم يصرح به (إن عذبك أن تكون من الجاهلين) أن في موضع مفعول من أجله تقديره عذبك كرامة أن تكون من الجاهلين ، وليس في ذلك وصف له بالجهل ، بل فيه

أَلَمْ • تَكُنْ مِنْ أَنْبَاءِ النَّبِيِّ نُوحِيًّا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ
لَشَدِيدٌ • وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ • يَقَوْمِ
لَأَسْأَلَنَّ عَنْ أَمْرِي إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ • وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ
يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ • قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِرَبِّكِ الْهِنَاءِ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ • إِنْ قَوْلُ إِلَّا اعْتَرَيْكَ بَعْضُ الْمُتَنَبِّئِينَ بِسُوءِ مَا قَالُوا إِنِّي أَشْهَدُ
اللَّهُ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكَيْفَ يُؤْمِنُ بِجَمِيعِهِمْ لَمْ يَنْتَظِرُوا • إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي
وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • فَإِنْ تَوَلَّوْا قَدْ أَهْلَكْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ
بِهِ إِلَيْكُمْ رَسُولًا وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ • وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا

ملائكة وإكرام (أبط سلام منا) أي أبط من السفينة بسلامة (وعلى أم من مملك) أي من مملك في السفينة
واختار الزعرى أن يكون المعنى من ذرية من مملك ، ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة ، فمن حل هذا لا بداه
الغاية ، والتقدير على أم ناضية من مملك ، وعلى الأول تكون من ليلان المجلس (وأم سنتمهم) يعني نتمهم
متاع الدنيا وهم الكفار إلى يوم القيامة (تلك من أنباء النبي) إشارة إلى القصة ، وفي الآية دليل على أن
القرآن من عند الله لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يعلم ذلك قبل الوحي (إن أنتم إلا مفترون) يعني
في عبادتهم لغير الله (يرسل السماء عليكم مدراراً) السماء هنا المطر ومداراً بناءً تكثيراً من الذي يقال دما المطر
واللبن وغيره ، وفي الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار ، ودوى أن عاداً كان حبس
ضهم المطر ثلاث سنين ، فأمرهم بالتوبة والاستغفار ووعدهم على ذلك بالمطر ، والمراد بالتوبة هنا الرجوع
عن الكفر ، ثم عن الذنوب ، لأن التوبة من الذنوب لا تصح إلا بعد الإيمان (قالوا يهود ما جئنا ببينة) أي
بمجيئة ، وذلك كذب منهم وجسود أو يكون معناه بآية تضطرنا إلى الإيمان بك ، وإن كان قد أتاهم بآية
نظرية (عن قولك) أي بسبب قولك (إن قول إلا اعتراك بعض ألهتنا بسوء) معناه ما نقول إلا أن بعض
ألهتنا أصابك بمنون لما سبينا ونهيتنا عن عبادتها (فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) هذا أمر بمعنى التعجيز
أي لا تقدر أنتم ولا أهلكم على شيء ، ثم ذكر سبب قوته في نفسه وعدم مبالاة بهم ، فقال إني
توكلت على الله الآية (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أي هي في قبضته وتحت قهره ، والأخذ بالناصية
تمثيل لذلك ، وهذه الجملة لتقليل لقوة توكله على الله وعدم مبالاة بالخلق (إن ربني على صراط مستقيم) يريد
أن أفعال الله جميلة وقوله صدق ووعدته حتى ، فلا استقامة تامة (فإن تولوا قد أهلككم) أصل تولوا هنا
تولوا لأنه فعل مستقبل حذف منه تاء المضارعة ، فإن قيل : كيف وقع الإبلاغ جواباً للشرط ،
وقد كان الإبلاغ قبل التولي ؟ فالجواب : أن المعنى إن تولوا فلا عتب علي لأنني قد أهلككم رسالة
ربي (ولا تضرونه شيئاً) أي لا تضرونه شيئاً : أي إذا أهلككم واستخلف غيركم (ولما جاء أمرنا) إن قيل

هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مَنَا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ . وَتِلْكَ حَادِثَاتُ يُوسُفَ . وَهُوَ ارْسَلَهُ
وَأَتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنَّ حَادِثَاتُ كُفْرِهِمْ أَرَبَهُمُ إِلَّا بُعْدًا
لِّعَادِ قَوْمِ هُودَ . وَلَئِنْ تَمُودُ أَعْلَمُ صَلَاحًا قَالَ يَقُومُ أُعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ
وَأَسْتَعْمِرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ . قَالُوا يَصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا
أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَكُونُنَا إِلَيْهِ مُرِيبِينَ . قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
مِّنْ رَبِّي وَآتَانِي مَنَّهُ رَحْمَةً فَنَيْتُ صَرْفِي مِّنَ اللَّهِ إِنْ حَصْنَتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْصِيرٍ . وَيَقُومُ هَلْهَنَّا اللَّهُ
لَكُمْ آيَةً قَدْ هَوَّاهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ . فَفَعَرُوهُمَا فَقَالَ مَتَمِمُوا
فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْثُوبٍ . فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مَنَا وَمَنْ
خَافَى يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ . وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَصَبَّوْهُمَا فِي دِيَارِهِمْ جِثَمِينَ . كَانُوا يَنْفَوْنَهَا
إِلَّا إِن تَمُودُ كَفَرُوا رَبَّهُمْ الْأَبَدُ . تَمُودُ . وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِىَ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَالُوا لَبَّيْكَ

لم قال هنا وفي قصة شعيب ولما بالواو وقال في قصة صالح لوط ولما بالقاه ؟ فالجواب على ما قال الزمخشري أنه
وقع ذلك في قصة صالح ولوط بعد الوعيد لحيه بالقاه التي تتضمن التسيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد
بخلاف قصة هود وشعيب ، فإنه لم يتقدم ذلك فيما مضى بالواو (ونجينا من عذاب غليظ) بمحتمل أن
يريد به عذاب الآخرة ، ولذلك صلفه على التجاهة الأولى التي أراد بها التجاهة من الريح ، وبمحتمل أن يريد
بالثاني أيضا الريح ، وكرره إعلاما بأنه عذاب غليظ ، وتعديدا للنعمة في نجاتهم (وهصوارس) في جميع
الرسول هنا وجهان : أحدهما أن من حصى رسولا واحدا لزمه عصيان جميعهم فإنهم متفقون على الإيمان
بالله وعلى توحيده ، والثاني أن يراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسا واحدا (ألا
إن عادا كفروا ربهم) هذا تشنيع لكفرهم وتهويل بحرف التثنية وتكرار اسم عاد (ألا بعدا) أى هلاكا
وهذا دعاه عليهم واتصابه بفعل مضمر ، فإن قيل : كيف دعا عليهم بهلاكك بعد أن هلكوا ؟ فالجواب أن
المراد أنهم أهل لذلك (لعاد قوم هود) بيان لأن عادا اثنتان : إحداهما قوم هود ، والأخرى إرم (هو
أنشأكم من الأرض) لأن آدم خلق من تراب (واستعمركم فيها) أى جعلكم تعمرونها ، فهو من العمران
للأرض ، وقيل هو من العمر نحو استبقاكم من البقاء (قد كنت فينا مرجوا) أى كنا نرجو أن نتفزع بك
حتى قلت ما قلت ، وقيل المعنى كنا نرجو أن تدخل في ديننا (في داركم) أى بلدكم (ثلاثة أيام) قيل إنها الخيس
والجمعة والسبت ، لأنهم عقروا والثاق يوم الأربعاء ، وأخذم المذاب يوم الأحد (ومن خزي يومئذ) معطوف على
نجينا أى نجينا من خزي يومئذ (جاثنين) ذكر في الأعراف (كان لم ينشأ فيها) أى كان لم يقيموا فيها
الضمير للدار ، وكذلك في قصة شعيب (ولقد جاءت رسلنا) الرسل هنا الملائكة (إبراهيم بالبشرى)

جاء يعجل حنيد. فلما رأوا أيديهم لا تصل إليه نكروهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط
وامرأتهم قائمة فضحكت فبشرناها يا صديق ومن وراءه إصحق يعقوبه قالت يولى آل وآنا نحن وهذا
بعل شيئا إن هذا لشيء عجيب قالوا اتسعين من أمر الله رحمت الله وبركته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد
فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أوه منيب
يأبى إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم فيهم عذاب غير مردود ولما جاء أمرنا
لوط أمي بهم وضاق بهم ذمرا وقال هذا يوم عاصب وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون
السيئات قال ياقوم هتولاء بنائي من أظهر لكم فاقهوا الله ولا تخفون في ضيق أليس منكم رجل رشيد

بشروه بالولد (قالوا سلاما) نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضارع تقديره سلنا عليكم سلاما (قال سلام) تقديره
عليكم سلام وسلام عليكم ، وهذا على أن يكون بمعنى النحية ، وإنما رفع جوابه ليدل على إثبات السلام ، فيكون
قد حياهم بأحسن معاصيه ، ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة ، ونصب الأول لأنه بمعنى العلق ، ورفع
الثاني لأنه في معنى الخبر (فأبى أن جاء) أى مالت محبة بل عجل ومانفة وأن جاء قاع لىك (يعجل حنيد) أى
مشوى ، وقيل هنا بمعنى مفعول (نكروهم) أى أنكرهم ولم يعرفهم ، يقال نكروا ونكر بمعنى واحد (وأوجس منهم
خيفة) قيل إنه لم يعرفهم بخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه ، وقيل عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا
بما يخاف فأمروه بقولهم لا تخف (وامرأتهم قائمة) قيل قائمة خلف الستر ، وقيل قائمة في الصلاة ، وقيل قائمة تخدم
القوم ، واسمها سارة (فضحكت) قيل معناه ضاحكت وهو ضعيف ، وقال الجمهور هو الضحك المرفوع واختلقوا
من أى شيء ضحك ، فقيل سرور بالولد الذى بشرته به فى الكلام على هذا تقديم وتأخير وقيل سرورا بالامن
بعد الخوف ، وقيل سرورا بهلاك قوم لوط (فبشرناها يا صديق) أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى لأنها كانت
بأمره (ومن وراءه إصحق يعقوب) أى من بعده وهو ولده ، وقيل وراء ولد الولد ويعقوب بالرفع مبتدا ، وبالفصح
معطوف على إصحق (قالت يا ويلتا) أى لف فيه مبدلة من ياء المتكلم ، وكذلك فى يالهي وبأسنى وبانجبا ، ومعناه التعجب
من الولادة ، وروى أنها كانت حيث ذفنت سمع وتسعين سنة ، وإبراهيم ابن مائة سنة (رحمة الله وبركاته عليكم)
يحتمل الدعاء والخبر (أهل البيت) أى أهل بيت إبراهيم ، وهو منصوب بفعل مضارع على الاختصاص أو منادى
(حميد) أى محمود (مجيد) من المجد وهو العلو والشرف (أجنادنا) هو جواب لما على أن يكون المضارع موضع الماضى
أو على تقدير ظل أو أخذ يجادلنا ويكون يجادلنا مستأثرا والجواب محذوف ، ومعنى جداله كلامه مع الملائكة فى رفع
العذاب عن قوم لوط ، وقد ذكر فى اللغات (حليم) وفى برامة أوامه (بالإبراهيم أعرض عن هذا) أى قلنا بالإبراهيم
أعرض عن هذا يعنى عن المجادلة فيهم فقد نفذ القضاء بهذاهم (ولما جاء أمرنا لوط أمي بهم) الرسل هم الملائكة ومعنى
سمى بهم أصابا سوء وضجر لما ظن أنه من بني آدم وخاف عليهم من قومه (يوم عاصب) أى شديد (وجاء قومه يهرعون
إليه) أى يهرعون وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم بنزول الأضياف عنده ، فأسرعو يعملوا بهم عملهم الخبيث (من
قبل كانوا يعملون السيئات) أى كانت عادتهم إثبات القوا حش فى الرجال (قال ياقوم هؤلاء بنائي) المعنى قز وجوهن ،

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَنَاكِ لَنُتَمَّ مَا نُرِيدُ . قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ .
قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوَ إِلَيْكَ فَاسْأَلْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ الْبَلِّ وَلَا يُلْقِفْكَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُ
مُصِيبٌ مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعِدُكَ الصَّبْحُ أَلَيْسَ الصَّبْحُ قَرِيبٌ . فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ جَبَلٍ مَنصُودٍ . مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ يَمِيدٌ . وَإِلَى مَدْيَنَ أَعَاهَمُ شُعَيْبًا قَالَ
يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْكَالَ وَالْمِذَانَ إِنَّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ مُخِيطٍ . وَيَقَوْمُ أَوْفُوا الْهَيْكَالَ وَالْمِذَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ

وإنما قال ذلك لبقى أضيافه ببناته ، وقيل اسم بناته الواحدة ريتا ، والأخرى غوثا وأن اسم امرأته الهالكة
والهة ، واسم امرأة نوح والهة (قالوا لقد علمت مالن في بناتكم من حق) أى مالن فيهم أوب (ولك لتعلم
مانريد) يعنون نكاح الذكور (قال لو أنلى بكم قوة) جواب لو محذوف تقديره : لو كانتلى قدرة على دفعكم
لفعلت ، ويشتمل أن تكون لو لتنفى (أو آوى إلى ركن شديد) معنى آوى ألبأ ، والمراد بالركن الشديد
ما يلجأ إليه من عشيرة وأصهار يحمونه من قومه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يرحم الله
أخي لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد : يعنى إلى الله والملائكة (قالوا يالوط إننا رسل ربك) الضمير فى قالوا
لللائكة ، والضمير فى لن يصلوا لقوم لوط ، وذلك أن الله طمس على أميهم حيثن (فأسر بأهلك) أى
أخرج بهم بالليل ، فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدن ، وقرئ فأسر برسل الآلف وقطعها ، وهما لنتان
يقال سرى وأسرى (يقطع من الليل) أى قطعة منه (ولا يلقفك منكم أحد) نهوا عن الالتفات لتلا تفتطر
أكبادهم على قريبهم ، وقيل يلقف معناه يلتوى (إلا امرأتك) قرئ بالنصب والرفع ، فالتصب
استناده من قوله فأسر بأهلك ، فيقتضى هذا أنه لم يخرجها مع أهله ، والرفع بدل من ولا يلقفك منكم أحد ،
وروى على هذا أنه أخرجها معه ، وأنها التفتت وقالت يا قوماء فأصابها حجر فقتلها (إن موعدهم الصبح) أى
وقت عذابهم الصبح (أليس الصبح قريب) ذكر أنهم لما قالوا إن موعدهم الصبح قال لهم لوط هلا عذبوا
الآن ، فقالوا له أليس الصبح قريب (جعلنا عاليها سافلها) الضمير للدائن روى أن جبريل أدخل جناحه تحت
مدائن قوم لوط وأقلعها فرفعها حتى سمع أهل السما صراخ الديكة ونباح الكلاب ، ثم أرسلها مقبوبة (وأمطرتنا
عليها حجارة) أى على المدن ، والمراد أهلها روى أنه من كان منهم خارج المدن أصابته حجارة من السماء ،
وأما من كان فى المدن فهلك لما قبلت (من جبريل) قيل معناه من ماء وطين ، وإنما كان من الأجر المطبوخ
وقيل من سجله إذا أرسله ، وقيل هو لفظ أجهى (منصود) أى مضموم بعضه فوق بعض (مسومة متدربك)
معناه معلقة بعلامة ، روى أنه كان فيها ياض وحررة ، وقيل كان فى كل حجر اسم صاحبه (وماهى من الظالمين
يميد) الضمير للحجارة والمراد بالظالمين كفار قريش ، فهذا تهديد لهم أى ليس الرى بالحجارة يبعد منهم
لأجل كفرهم ، وقيل الضمير للدائن ، فالمنى ليست يعمدة منهم أفلا يتوبون بها كموله دولقد اتوا على القرية
التي أمطرت مطر السوء ، وقيل إن الظالمين على العموم (إنى أراكم تخفرون) يعنى رخص الأسعار وكثرة الأرزاق (عذاب

مُفْسِدِينَ • بَقِيَ اللَّهُ عَمِيرُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ • قَالُوا يُشْعِبُ أَصْلَوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا بَيْنَهُمْ وَأَبَاؤُنَا أَنْ تَقُلَ فِي أُمُورِنَا مَا نَهَلْنَا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ • قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ • وَيَقُومُ لِيُجِيرَ مِنْكُمْ شَقَايَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ • وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ • قَالُوا يُشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا هُوَ وَأَنَا تَوَكَّلْنَا فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَحْمَتُكَ لَرَجَعْنَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ • قَالَ يَقُومُ أَرَهَيْتُمْ أَفْعَلْتُكُمْ مِنْ اللَّهِ وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِي إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ • وَيَقُومُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنْ عَمِلْتُمْ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ ظَنَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِلَى مَعَكُمْ رَقِيبٌ • وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا

يوم عيظ (يوم القيامة أو يوم عذابهم في الدنيا) بقيت الله خير لكم أي ما أجهاد الله لكم من رزقه ونعمته (أصلاتك تأمرك) الصلاة المعروفة ونسب الأمر إليها مجاز كقوله (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والمعنى أصلاتك تأمرك أن تترك عبادة الأوثان ، وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء (أو أن فعل في أمورنا ما نفعل) يعنون ما كانوا عليه من بحس المكيال والميزان ، وأن فعل عطف على أن تترك (إنك لانت الحليم الرشيد) قيل إنهم قالوا ذلك على وجه التهم والاستهزاء ، وقيل معناه الحليم الرشيد عند نفسك (ورزقي منه رزقا حسنا) أي سالما من الفساد الذي أدخلتم أنفسكم في أموالكم ، وجواب أرايتم محذوف يدل عليه المعنى وتقديره : أرايتم إن كنت على بيعة من ربي يصلح لي ترك تبليغ رسالته (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنتم عليه) يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنتعمل عنه ، وخالفني عنه إذا ولي عنه وأنت قاصده (وما قوم لا يجير منكم شقاي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) أي لا يكسبنكم عداوتي أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة ، وشقاي فاعل ، وأن يصيبكم مفعول (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعني في الزمان لأنهم كانوا أقرب الأمم إلى الكين إليهم ، ويحتمل أن يراد ببعيد البلاد (ما نفقه) أي ما نفهم (وإننا نراك فينا ضعيفا) أي ضعيفا لا تنصار والقدرة ، وقيل نحل البدن ، وقيل أحمى (ولولا رحمتك لرجعنا) الرحمة القرابة والرحم بالحجارة أو بالسب (أرهط أعر عليكم من الله) هذا توخيخ لم فإن قيل إنا وقع كلامهم فيه وفي رحمتهم وأنهم هم الأعرزة دونه فكيف طابق جوابه كلامهم ؟ فالجواب أن تباركهم به وهو رسول الله تباركهم بالله فذلك قال أرهط أعر عليكم من الله (واتخذتموه وراكم ظهريا) الضمير في اتخذتموه الله تعالى أو لدينه وأمره ، والظهري ما يطرأ وراء الظهر ولا يباين به ، وهو منسوب إلى الظهر بتشديد الظ (اعملوا على مكاتبكم) تهديد ومعنى مكاتبكم تمكنكم في الدنيا وعزيتكم فيها (من يأتيه عذاب يخزيه) عذاب الدنيا والآخرة (وارقبوا) تهديد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أي

الصِّبْغَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِينِهِمْ جَسَمِينَ . كَانَ لَمْ يَتَوَّعُوا فِيهَا الْأَبْعَدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعَثَ نُوُودُ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ
بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ . يَبْدَأُ قَوْمَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَبْسُ الْوُورِدُ الْمَوْرُودُ . وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ .
ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ . وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ
الْمُتَّهَمَةُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ . وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا تَتَابَعَةً . وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ
إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ
يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ . وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ . يَوْمَ يَأْتُ لَاتَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَنُفِثَتْ
شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سُحِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ صَلَاةٌ غَيْرُ مَجْذُودٍ . فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مَّا يَبْعُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْشَرُونَ إِلَّا كَمَا يَبْعُدُ

بالمجموعات (وسلطان مبين) أي برهان بين (يقدم قومه) أي يتقدم قدامهم في النار كما كانوا في الدنيا يتبعونه
على الضلال والكفر (وأوردتهم النار) الورود هنا بمعنى الدخول ، وذكره بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه
(ويوم القيامة) صطف على في هذه فإن المراد به في الدنيا (يَبْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ) أي العطية المخطأة (قائم وحصيد)
باقى ودائر (فما أغنت عنهم آلتهم) حجة على التوحيد ونفى الشريك (تتابع) أي تتخسر (يوم مجموع له الناس)
أي يجمعون فيه للحساب والثواب والعقاب ، وإنما عبر باسم المفعول دون الفعل ليدل على ثبوت
الجمع لذلك اليوم ، لأن لفظ مجموع أبغى من لفظ يجمع (يوم مشهود) أي يحضره الأولون والآخرون (يوم يأت)
العامل في الظفر لا تكلم أو فعل مضمر ؛ وقاعل يأت ضمير يعود على يوم مشهود وقال الزمخشري يعود على الله
تعالى كقوله «أو يأتى ربك» ويضنه عود الضمير عليه في قوله يأتونه (فمنهم شقي وسعيد) الضمير يعود على أهل
الموقف الذين دل عليهم قوله لا تكلم نفس (زفير وشهيق) الزفير إخراج النفس ، والشهيق رده . وقيل الزفير
صوت المحزون ، والشهيق صوت الباكى ، وقيل الزفير من الخلق ، والشهيق من الصدر (خالدين فيها ما دامت
السماوات والأرض) فيه وجهان أحدهما أن يراد به سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة أبداً ، والآخر أن
يكون عبارة عن التأييد كقول العرب ملاح كوكب ومناح الحمام وشبه ذلك مما يقصده الدوام (إلا ما شاء
ربك) في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال : قيل له على طريق التأديب مع الله كقولك إن شاء الله ، وإن كان الأمر
واجبا ، وقيل المراد به زمان خروج المذنبين من النار ، ويكون الذين شقوا على هذا يوم الكفار والمذنبين ،
وقيل استثنى مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ ، وأما الاستثناء في أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث
دون الثاني (غير مجذوذ) أي غير مقطوع (فلا تَكُ في مَرِيَةٍ مَّا يَبْعُدُ هَؤُلَاءِ) المرة الشك والإشارة إلى عبدة

أَبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُقُهُمْ نَصِيحِينَ غَيْرَ مَقْرُوسٍ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِي بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ . وَإِنْ كَلَّمَا لُيُوفِيهِمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَلَا تَرْكَبُوا أَسْوَاقَ الْإِنَّمَانِ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَمَسْكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ . وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرُوا لِلَّذِي كَرِهَ . وَأَصْبِرْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكَ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُفْلِكَ الْقُرَىٰ الظَّالِمِينَ وَأَهْلُهَا مُصَلِّونَ . وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ خَلْقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا تَمْلَأَنَّ

الانسانم أى لاتملك فى فساد دين هؤلاء (ما يبدون إلا كما يبد آباؤهم) أى هم متبعون لأبائهم تقليدا من غير برهان (وإنما لموفوهم نصيهم) يعنى من العذاب (كلمة سبقت) يعنى القدر وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة فلا يفصل فى الدنيا (وإن كلا) قرئ بتشديد إن ويتخفيفها، وإعماها عمل الثقيلة، والتونين فى كل عوضا من المضاعف إليه يعنى كلهم، واللام فى لما موطئة القسم، ومازائدة، وليوفيههم خبران، وقرئ لما بالتشديد على أن تكون إن نافية، ولما يعنى إلا (ليوفيههم ربك أعماهم) أى جزاء أعمالهم ولا تركوا إلى الذين ظلموا) يعنى الكفار، وقيل إنهم الظلة من الولاة وغيرهم (ثم لاتصرون) مستأنف غير معطوف، وإنما قال ثم بعد النصرة (وأقم الصلاة) الآية : يراد بها الصلوات المفروضة، فالطرف الأول الصبح والطرف الثانى الظهر والعصر، والزلف من الليل المغرب والعشاء (إن الحسنات يذهبن السيئات) لفظه عام، وخصصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل، روى أن رجلا قبل امرأة ثم ندم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وصلى معه الصلاة؛ فزلت الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أين السائل، فقال هاتذا؛ فقال قد غفلت، فقال الرجل ألى غاصة أول المسلمين عامة، فقال بل للمسلمين عامة، والآية على هذا مدنية، وقيل إن الآية كانت قبل ذلك ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم للرجل مستدل بها، فالآية على هذا مكية كسائر السورة، وإنما تذهب الحسنات عند الجمهور الصغار إذا اجتنبت الكبائر (ذلك) إشارة إلى الصلوات، وأولى كل ما تقدم من وعظ ووعد ووعيد (فلولا) تمضيض يعنى هلا (أولوا بقية) أى أولو خير ودين بقى لهم دون غيرهم (إلا قليلا من أنجينا منهم) استثناء منقطع متناه ولكن قليلا عن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد فى الأرض، وقيل هو متصل فإن الكلام الذى قبله فى حكم التنى كأنه قال: ما كان فهم من ينهى عن الفساد فى الأرض إلا قليلا، على أن الوجه فى مثل هذا البدل ويجوز فيه النصب (الذين ظلموا) يعنى الذين لم ينهوا عن الفساد (بظلم) هذا المجرور فى موضع الحال من ربك والمعنى أنه لايهلك أهل القرى ظالمها، تعالى الله عن ذلك (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى مؤمنة لا خلاف

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ • وَكَلَّا قُصِّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلذَّيْنِ لَا يُؤْمِنُونَ أَصْلَحُوا عَلَىٰ مَا كُنتُمْ إِذَا عَمَلُونَ • وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ • وَفِي قَبْرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا عِنْدَهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ •

سورة يوسف

مكية إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فنية وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ • إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ • نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ • إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيِّهِ يَنَابِتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَايَهُمْ لِسَاجِدِينَ • قَالَ يَبْنَئِي لَأَقْصُصَ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ • وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ بَيْنَهُمْ فِي الْإِيمَانِ (ولا يزالون مختلفين) يعني في الآديان والممل والمذهب (ولذلك خلقهم) قبل الإشارة إلى الاختلاف ، وقيل إلى الرحمة وقيل إليها (وكلا نقص) انتصب كلا بنقص وما بدل من كلا (وجاءك في هذه الحق) الإشارة إلى السورة (اعملوا ، وانتظروا) تهديلم وإقامة حجة عليهم

سورة يوسف عليه السلام

(الكتاب المبين) يعني القرآن ، والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين ، فيكون غير ممتد ، أو يكون متعديا بمعنى أنه أبان الحق أى أظهره (لعلكم) يتعلق بأنزلناه أو بعربيا (أحسن القصص) ، يعني قصة يوسف ، أو قصص الأنبياء على الإطلاق ، والقصص يكون مصدرا أو اسم مفعول بمعنى المقصود ، فإن أريد به هنا المصدر فمفعول نقص محذوف ، لأن ذكر القرآن يدل عليه (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) الضمير في قبله للقصص أى من الغافلين عن معرفته ، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله لكونه جاء به من غير تعلم (إذ قال) العامل فيه اذكر الحضر ، أو القصص (يأيت) أى بالأنبياء والآلهة للبالغة ، وقيل للتأنيث وكسرت دلالة على ياء المتكلم والتاء عوض من ياء المتكلم (أتيتهم لى ساجدين) كرر الفعل لطول الكلام وأجرى الكواكب والشمس والقمر يعرجى المغلاء في ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل ، وهو السجود وتأويل الكواكب في المنام إخوته ، والشمس والقمر أبواه ؛ ومجودهم تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك (لأقصص رؤياك على إخوانك) إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتقاء منزلة تخاف عليه من الحسد (يجتبيك) يجتارك (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قيل هي عبارة الرؤيا ، واللفظ أعظم من ذلك (آل يعقوب)

لِرَاهِمٍ وَاتَّخَذَ إِنْ رِيبَكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • لَمَّا كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتَهُ آيَاتُ السَّاعَةِ • إِذْ قَالُوا يُوسُفُ
وَإِخْوَتُهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكُمْ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ طَرْحُوهُ أَرْضًا يَحِلُّ لَكُمْ
وَجْهُ أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَنِيهِ قَوْمًا صَالِحِينَ • قَالَ قَاتِلُوا مِنْهُمْ لَآتَمْتُمْ لَهُ يَوْسُفَ وَالْقُوَّةَ فِي عَيْبَتِ الْجَبِّ
يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ • قَالُوا يَبْنَائَنَا مَالَكُ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنُخْشَوْنَ • أَرْسَلَهُ
مَعَا خَدًّا يَرْتَعُ وَيَلْبَسُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ • قَالَ إِنْ لِي لِحِزَّتِي أَنْ تَذْبَحُوا بِهِ وَأَخْلَفُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ
عَنْهُ غَافِلُونَ • قَالُوا أَتَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَكَاثِرُونَ • فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْلِسُوهُ فِي
عَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِ هَذَا وَمِمَّا لَا يَشْعُرُونَ • وَجَاءُوا أَهْلَهُمْ عَسَاءً يَسْكُونُ • قَالُوا
يَبْنَائَنَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ •

يعني ذريته (آيات الساتين) أي لمن سأل عنها ، روى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف
أو أمر وأمر يشاء أن يسأله عنها ، فهم الساتون على هذا ، واللفظ أعم من ذلك (لوسف وأخوه) هو بنيامين ، وهو
أصغر من يوسف ، ويقال إنه شقيق يوسف ، وكان أصغر أولاد يعقوب (ونحن عصبة) أي جماعة
تقدر على النفع والضرب بخلاف الصغرين ، والعصبة : العشرة فساهموا إلى الأربعين (إن آبانا في ضلال مبين)
أي خطأ وخروج عن الصواب يافراط حبه ليوسف وأخيه (يحل لكم وجه أيكم) أي لا يشارككم غيره
في محبة لكم وإقباله عليكم (قوما صالحين) أي بالثوبة والاستقامة وقيل هو صلاح عالم مع أبيهم (قال قاتل
منهم) هو يهوذا ، وقيل روبيل (غيايت الجب) غوره وما غلب منه (السيارة) جمع سيار ، وهم القوم الذين
يسيرون في الأرض للتجارة ، وغيرها (إن كنتم فاعلين) أي هذا هو الرأى إن فعلتموه (مالك) لا تأمناعل
يوسف) أي لم تخاف عليه منا ، وقرأ السبع تأمناء ، بالإدغام والإشمام ، لأن أصله بضم التاء الأولى (يرتفع)
من قرأه بكسر العين فهو من الرعي أي من رعى الإبل ، أو من رعى بعضهم بعض ، وحراسته ، ومن قرأه
بالإسكان ، فهو من الرقع وهو الإقامة في الحصب والتمس ، والتاء على هذا أصلية ، ووزن الفعل يفعل ،
ووزنه على الأول ففعل ، ومن قرأ يرتع ويلبس بالياء فالضمير ليوسف ، ومن قرأ بالنون فالضمير للتكلمين
وهم إخوة ، وإنما قالوا تلبس ، لأنهم لم يمسكونوا حينئذ أنبياء ، وكان القعب من المباح للتمس كالمسابقة
بالخيل (واجمعوا) أي عزموا ، وجواب لما مخوف ، وقيل إنه أجمعوا ، أو وأوحينا على زيادة الواو
(وأوحينا) يحتمل أن يكون هذا الوحي بواسطة ملك ، أو بإلهام ، والضمير في إليه ليوسف ، وقيل يعقوب
والأول هو الصحيح ، (وم لا يشعرون) في موضع الحال من لتنبئهم أي لا يشعرون حين تنبئهم فيكون
خطابا ليوسف عليه السلام ، أو من أوحينا أي لا يشعرون حين أوحينا إليه فيكون خطابا للنبي صلى الله
عليه وسلم (نسبتي) أي نهري على أقدامنا ننظر أين يسبق (وما أنت بمؤمن لنا) أي بمصدق لقالتنا (ولو كنا
صادقين) أي لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق ، فكيف وأنت تهتنا ، وقيل معناه لا تصدقنا وإن

وَجَاءُوا عَلَىٰ قَيْصِهِ بِمِ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ .
وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرىٰ هَٰذَا عَظِيمٌ ۖ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ .
وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۖ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لَأَمْلَأَنَّ أَكْرَمِي
مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنِي أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۖ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَٰلِكَ يُخَوِّى
الْحُسَيْنَ ۖ وَرَاوَدَتْهُ الْفَوَافِىُّ بَنَاتًا عَنْ قَيْسِهِ ۖ وَخَلَّتِ الْأَبْوَابُ ۖ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۖ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ

كنا صادقين في هذه المقالة ، فذلك على وجه المغالطة منهم ، والاول اظهر (وجاءوا على قيسه بدم كذب
أى ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة ، وروى أنهم لطخوا قيسه بدم جدى ، وقالوا ليعقوب هذا دم
في قيسه فقال لم : مال الذئب أكله ولم يخرق قيسه ، فاستدل بذلك على كذبهم (سوّلت أى زينت (صبر
جميل) وعد من نفسه بالصبر ، وارتقاه على أنه مبتدأ تقديره صبر جميل أمثل ، أو خبر مبتدأ تقديره شأنى
صبر جميل (وجاءت سيارة) روى أن هؤلاء السيارة من مدین ، وقيل هم أعراب (واردم) الوارد هو الذى
يسقى الماء للجماعة ، ونقل السهيل أن اسم هذا الوارد مالك بن دعر من العرب العاربة ، ولم يكن له ولد
فسأل يوسف أن يدعوه بالولد فدعا له فرزقه الله اثني عشر ولدا ، أعقب كل واحد منهم قبيلة (قال
يا بشرى) أى نادى البشرى كقولك يا حشرة ، وأضافها إلى نفسه ، وقرئ يا بشرى يحذف باء المتكلم ، والمعنى
كذلك وقيل على هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى ، وهذا بعيد ، ولما أدلى الوارد الجبل في الجلب
تعلق به يوسف فحبتذ قال يا بشرى هذا غلام (وأسروه بضاعة) الضمير الفاعل السيارة والضمير المفعول
ليوسف أى أخفوه من الرقعة ، أو قالوا لم دفعه لنا قوم لنبيهم لم بمصر (وشروه) أى باعوه ، والضمير
أيضا للذين أخفوه ، وقيل الضمير لإخوة يوسف وأبىم رجعوا إليه فقالوا السيارة هذا عبدا (ثمن بخص)
أى ناقص عن قيمته ، وقيل البخس هنا الظلم (درهم معدودة) عبارة عن قلتها (وكانوا) الضمير للذين أدخلوه
أو لإخوته (وقال الذى اشتراه) يعنى الموزر ، وكان حاجب الملك وعازنه ، وقال السهيل اسمه ظفير (من
مصر) هو البلد المعروف ، ولذلك لم ينصرف ، وكان يوسف قد سبق إلى مصر فودى عليه في السوق
حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهباً ، وقيل فضة فاشتراه الموزر (تأويل الأحاديث) قد تقدم (والله غالب على أمره)
في عود الضمير وجهان : أحدهما أن يهود على الله فالمنى أنه يفعل ما يشاء لا راداً لأمره ، والثانى أنه يهود
على يوسف أى يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة (بلغ أشده) قيل الأشد البلوغ ، وقيل ثمان
عشرة سنة ؛ وقيل ثلاث وثلاثون ، وقيل أربعون (حكما) هى الحكمة والتبوة (ورادته التى هو فى بيتها عن
نفسه) أى طلبت منه ما يكون من الرجل إلى المرأة وهى زليخا امرأة الموزر (وخلفت الأبواب) روى أنها
كانت سبعة أبواب (هيت لك) اسم فصل معناه تعال وأقبل ، وقرئ بفتح الهاء وكسرهما وفتح التاء
وضمها ، والمعنى فى ذلك كله واحد ، وحركة التاء البناء ، وأما من قرأ بالهمز فهو فعل من تيات كقولك جئت

مَتَوَى أَنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ . وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَهْمَ بَرَهْمَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصَرَفَ عَنْهُ السُّوءُ
وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْخَاطِئِينَ . وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ
مَا جِئْتُمَنِي مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يَسْجَنَ أَوْ يَذَّابُ أَلَيْمٌ . قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ قَتْلِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ

(معاذ الله) منصوب على المصدرية ، والمعنى أخوذ باقه (إنه ربي) يحتمل أن يكون الضمير لله تعالى ، أولئك
اشترأه ، لأن السيد يقال له رب ، فالحق لا يفتني لي أن أخونه (إنه لا يفلح الظالمون) الضمير للأمر والسأن ،
ويحتمل ذلك في الأول أي الضمير (ولقد همت به وهم بها) أكثر الناس الكلام في هذه الآية حتى ألغوا فيها
التأليف ، فهم مفرط ومفترط ، وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف من حيث الفعل الذي أرادته
وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجلها وحله التكة وغير ذلك مما لا يفتني أن يقال به نصف قتله
ولزامة الأنبياء عن مثله ، ومنهم من جعل أنها همت به لتضربه على امتاعه وهم باليقتلها أو يضربها ليذفها وهو
بعيد برده قوله لولا أن رأى برهان ربه ، ومنهم من جعل مهابه من حيث مرادها وهم بها ليذفها ، وهذا
أيضا بعيد لاختلاف سياق الكلام ، والصواب إن شاء الله : أنها همت به من حيث مرادها وهم بها كذلك
لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ما ذكر من حل التكة وغيرها بل كان همه خطرة خطرت على
قلبه لم يعلمها ولم يتأبها ، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى عفا من قلبه لما رأى
برهان ربه ، ولا يقدح هذا في صفة الأنبياء لأن الم بالذنب ليس يذنب ولا نقص عليه في ذلك ، فإنه من
هم يذنب ثم تركه ككتبت له حسنة (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه مخوف تقديره لولا أن رأى برهان
ربه خالطها ، وإنما حذف لأن قوله هم بها يدل عليه ، وقد قيل إن هم بها هو الجواب ، وهذا ضعيف
لأن جواب لولا لا يتقدم عليها ، واختلف في البرهان الذي رآه ، قيل نذاه جبريل يابوسف أتكون
في ديوان الأنبياء وتقبل فضل السفهاء ، وقيل رأى يعقوب ينهيه ، وقيل تفكر فاستبصر ، وقيل
رأى زليخا ضلعت وجه صنم لها حياه منه ، فقال أنا أولى أن أستحي من الله (كذلك لنصرف) الكاف في
موضع نصب متعلقة بفعل ضمير ، التقدير ثبتناه مثل ذلك الثبوت ، أو في موضع رفع تقديره الأمر مثل
ذلك (السوء والفحشاء) خيانة سيده والوقوع في الزنا (المخضين) قرئ بفتح اللام حيث وقع أي الذين أخلصهم
الله لطاعته ، وبالكسر أي الذين أخلصوا دينهم (ه) واستبقا الباب) معناه سبق كل واحد منهما صاحبه
إلى الباب فقصده هو الخروج والمروب عنها ، وقصدت هي أن ترده ، فإن قيل كيف قال هنا الباب بالإفراد
وقد قال بالجمع وغلقت الأبواب ؟ الجواب أن المراد هنا الباب البراني الذي هو المخرج من الدار (وقدَّتْ
قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ) أي قلعت من وراءه ، وذلك أنها قبضت قَيْصَهُ مِنْ خَلْفِهِ لَرَدِّهِ فَمَزَقَ الْقَيْصَ ، والقَدْ القطع
بالطول ، والقطع بالمرض (وألفيا سيدها) أي وجدازوجها عند الباب (قالت ماجزاه من أراد بأهلك سُوءًا
إلا أن يسجن) لما رأت القضية عكست القضية ، وادعت أن يوسف راودها عن نفسها قد كرت جزاء
كل من فعل ذلك على العموم ، ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله في العموم ، وبناء على أن الذنب ثابت عليه
بدعواها وما جزاه يحتمل أن تكون مأثفة أو استفهامية (قال هي راودتني عن قتلِي) رأى نفسه مدعواها (وشهد

أَهْلَهَا إِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذَّابِينَ . وَإِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنْ إِنْ كَيْدُكَ عَظِيمٌ . يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَفْرَى لِدُنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ . وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَهْمَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَمِائَةً كُلِّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجِي عَنْ هُنَّ رَأْيَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَلَقَدْ حَسَّ اللَّهُ مَا هَذَا

شاهد) قيل هو ابن عمها وقيل كان طفلا في المهد فتكلم ، وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها وأوثق لبرائة يوسف ، وكونه لم يتكلم قط ، ثم تكلم بذلك كرامة ليوسف عليه السلام ، والتقدير شهد شاهد فقال ، أو ضمنت الشهادة معنى القول (إن كان قَيْصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ) لأنها كانت تدافعه فتدفع قَيْصُهُ مِنْ قَبْلِ (وإن كان قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ) لأنها جذبت به إلى نفسها حين فر منها فتدعت قَيْصُهُ مِنْ دُبُرٍ (فلما رأى قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ) فأعلم رأى زوجها أو الشاهد (إنه من كَيْدِكُنْ) الضمير الأمر أو لقولها ما جراه (يوسف أعرض عن هذا) أي اكتبه ولا تحدث به ، ويوسف منادى حذف منه حرف النداء لأنه قريب ، وفي حذف الحرف إشارة إلى تقريره وملاطفت (واستفري لدُنْبِكَ) خطاب لها ، وذلك من كلام زوجها أو من كلام الشاهد (من الخاطئين) جاء بلفظ التذكير ، ولم يقل من الخاطئات تفصيلا للذكور (وقال نسوة في المدينة) أي في مصر ، وروى أنهم خمس نسوة : امرأة الساقى ، وامرأة الخباز ، وامرأة صاحب الدواب ، وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب (فأما) أي عادها ، والفقير قال بمعنى الشاب ، وبمعنى الخادم (شغفها) بلغ شغاف قلبها وهو غلافه ، وقيل السويداء منه ، وقيل الشغاف داء يصل إلى القلب (سمعت بمكرهن) أي بقولهن وسماع مكرهن لأنه كاذب خفية ، وقيل كانت قد استكنتمن مرها فأففضته عليها (وأعدت لهن متكا) أي أعدت لهن ما يتكا عليه من الفرش ونحوها ، وقيل المتكا طعام ، وقرئ في الشاذ متكا بسكون التاء وتووين الكاف ، وهو الاترج ، وإصاؤها السكاكين لمن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج ، وقيل كان لها (وقالت أخرج عليهن) أمر ليوسف ، وإنما أطاعها لأنه كان مملوكا زوجها (أكبرته) أي عظم شأنه وجماله ، وقيل معنى أكبرن حصن ، والمهمل السكت ، وهذا بعيد جدا (وقطعن أيديهن) أي اشتغلن بالنظر إليه وهتبن من جماله حتى قطعن أيديهن وهن لا يشعرن كما يقطع الطعام (حاش لله) معناه براة وتذرية : أي تذرية لله وقد عجب من قدره على خلقه مثله ، وحاش في باب الاستثناء تخفف على أنها حرف ، وأجاز المبرد النصب بها على أن تكون فعلا ، وأما فقال أبو علي الفارسي إنها فعل ، والدليل على ذلك من وجهين : أحدهما أنها دخلت على لام الخبر وهو اللام في قوله ، ولا يدخل الحرف على حرف ، والآخر أنها حذف منها الألف على قراءة الجملة والحروف لا تحذف منها شيء وقرأها أبو عمرو بالألف على الأصل وإنما تحذف من الأفعال كقولك لم يك ولا أدري ، والفاعل بحاش ضمير يمد على يوسف تصديره بمد يوسف عن الفاعلة لحرف الله ، وقال الزحمرى إن حاش وضع موضع المصدر كأنه قال تنزيها ، ثم قال الله ليبن من يزه قال وإنما حذف منه

بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ • قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودَنِي عَنْ نَفْسِهِ فَاتَّصَمْتُ وَلَكِنْ لَمْ
 يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لِيَسْجَنَ وَلِيَكُونَ نَا مِنَ الصَّغِيرِينَ • قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَلَا أَتَصَرَّفُ
 عَنْ كَيْدُهُنَّ أَصَبُ إِلَيْنَ وَأَأْتِي مَنْ الْجَاهِلِينَ • فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ •
 ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لِيَسْجَنَ حَتَّى آخِرِينَ • وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ قَتِيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي
 أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ
 الْمُحْضَنِينَ • قَالَ لَا يَأْتِيكُمُ طَعَامٌ تُرْزَقَانَهُ إِلَّا نَبَأْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ذَلِكَ مَا عَلَيْنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ
 قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كُفِرُونَ • وَاتَّبَعَتْ مَلَّةٌ أَبَاهُمُ إِبْرَاهِيمَ وَاسْتَحَقَّ وَبَعُوثُ مَا كَانَ لَنَا
 أَنْ تَشْرَكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَر النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ • يَكْسِبِي
 السَّجْنَ مَارَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ • مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ
 وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ

التثنية مراعاة لأصله من الحرفية (ما هذا بشرا) أخرجه من البشر وجعلته من الملائكة مبالغة في وصف الحسن
 (إن هذا إلاملك كريم قالت فذلكن الذي لمتني فيه) توبيخ لمن على اللوم (فاستصم) أي طلب الصمت واستمع
 مما أرادت منه (أصب إلين) أي أميل وكلامه هذا تضرع إلى الله (ثم بدأ لهم) أي ظهر والفاعل محضوف
 تقديره رأى والصغير في لم لزوجها وأهلها أو من تفاور معه في ذلك (رأوا الآيات) أي الأدلة على برامته
 (ودخل معه السجن قتيان) أي شابان ، وقيل هنا محضوف لا بد منه وهو فسجنوه ، وكان يوسف قد قال لأهل
 السجن (إني أعبر الرؤيا ، وكذلك سأله القتيان عن منامهما ، وقيل لهما استعمالها ليجريها ، وقيل رأيا بذلك
 حقا) (أعصر خمرًا) قيل فيه معنى العنب خمرًا بما يؤول إليه وقيل هي لثة (إننا نراك من المحسنين) قيل معناه
 في تأويل الرؤيا ، وقيل إحسانه إلى أهل السجن (قال لا يأتيكم طعام ترزقانه) الآية : تقتضي أنه وصف
 لها نفسه بكثرة العلم ليعمل ذلك وصلة إلى دعائها لتوحيد الله ، وفيه وجهان : أحدهما أنه قال يخبرها
 بكل ما يأتيها في الدنيا من طعام قبل أن يأتيها ، وذلك من الإخبار بالغيب الذي هو معجزة الأنبياء ،
 والآخر أنه قال لا يأتيكم طعام في المنام إلا أخبركم بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا (ذلكما مما علي
 ربّي) روى أنها قالاه من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم ، فقال: ذلكما مما علي ربّي (إني
 تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلًا لما قبله من قوله علي ربّي أو يكون
 استئنافا (يا صاحبي السجن) نسبها إلى السجن إما لأنهما سكناه أو لأنهما صاحباه فيه ، كأنه قال يا صاحبي
 في السجن (مارباب متفرقون) الآية : دعاهما إلى ترحيد الله ، وأقام عليهما المحبة رغبة في عزائهما (ما تعبدون
 من دونه إلا أسماء) أوقع الأسماء هنا موقع المسميات والمعنى سميت مالا يستحق الألوهية آلهة ثم عبدتموها

أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • يَصْنَعِي السَّجْنَ أَمَا أَحَدُكَ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَصَيَّ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ • وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَإِنَّكَ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ • وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرَّيَا تَعْبُرُونَ • قَالُوا أَضَلُّتُمْ أَحْلَمَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ • وَقَالَ الَّذِي نَجَّى مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَةٍ أَنَا أَنْبَأُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ • يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ • قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دُونَ ذَلِكَ فَاصْنَعْ قَنَاجِرَ فِي سَنَةِ الْإِثْنَاءِ

(من سلطان) أى حجة وبرهان (فيسقى ربه خمرًا) يعنى الملك (وقال للذى ظن أنه ناج منهما) الظن هنا يحصل أن يكون بمعنى اليقين ، لأن قوله قضى الأمر يقتضى ذلك ، أو يكون على بابه ، لأن عبارة الرؤيا (اذكرنى عند ربك) يعنى الملك (فأنساه الشيطان ذكر ربه) قيل الضمير للذى نجا منهما وهو الساقى أى نسي في ذلك الوقت أن يذكر ربه ، ورجا غيره فمما عاينه على ذلك بأن لبث في السجن ، وقيل الضمير للذى نجا منهما وهو الساقى أى نسي ذكر يوسف عند ربه ، فأضاف الإذكار إلى ربه إذ هو عنده ، والرب على هذا التأويل الملك (بضع سنين) البضع من الثلاثة إلى العشرة ، وقيل إلى التسعة ، وروى أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين أو لأم سجن بعد قوله ذلك سبع سنين (وقال الملك) هو ملك مصر الذى كان الميزر خادما له واسمه ريان بن الوليد ، وقيل مصعب بن الريان ، وكان من القراصة ، وقيل إنه فرعون موسى عمر أربعمائة سنة حتى أدركه موسى وهذا بعيد (إنى أرى سبع بقرات سمان) يعنى في المنام (عجاف) أى ضعاف في غاية الهزال (يا أيها الملأ) خطاب لجلسائه وأهل دولته (لرؤيا تعبرون) أى تعرفون تأويلها ، قال عبرت الرؤيا بتخفيف الباء وأنكر بعضهم التشديد ، وهو مسموع من العرب ، وأدخلت اللام على المفعول به لما تقدم عن الفعل (قالوا أضغاث أحلام) أى تغالطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر ، وأصل الاضغاث ما جمع من أخلط النبات ، واحده ضغت ، فإن قيل : لم قال أضغاث أحلام بالجمع ، وإنما كانت الرؤيا واحدة ؟ فالجواب أن هذا كقولك فلان يركب الخيل وإن ركب فرسا واحدا (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة أو تأويل الأحلام على الإطلاق وهو الاظهر (وقال الذى نجا منهما) هو ساقى الملك (وادكر بعد أمة) أى بعد حين (يوسف أيها الصديق) يقدر قلبه محفوف لا بد منه وهو فأرسلوه فقال يا يوسف ، وسماه صديقا لأنه كان قد جرب صدقه في تعبير الرؤيا وغيرها ، والصديق مبالغة من الصدق (أفتا في سبع بقرات) أى فسر رأى سبع بقرات وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان ياكلن سبع عجاف فوجب كيف علقن وكيف وسعت في بطونهن ، ورأى سبع سنبلات خضر ، وقد التفت بها سبع يابسات حتى غطت خضرتها (تزرعون سبع سنين) هذا تعبیر للرؤيا ،

مَّا تَأْكُلُونَ • ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا عَصَيْنَ • ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَصُرُونَ • وَقَالَ الْبَلَكُ أَتُوتَنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النُّسُوءِ الَّتِي تَقْلَعْنَ أَبْنِيَّ إِن رَّبِّي يَكْفِيهِ عِلْمٌ • قَالَ مَا غَضِبَكَ إِذْ رَأَوْتَنِ يَوْمَئِذٍ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ • قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَمَنْ حَصَصَ أَخِي أَنَا وَرَأَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَهُوَ لَنَا صَدِيقٌ • ذَلِكَ يَكْفِيكَ أَلَمْ أَخُذْ بِالْقَيْبِ وَإِنَّ اللَّهَ لَإِيْتِنِي كَيْدَ الْخَاتَنِ • وَمَا أَرَىٰ نَفْسِي إِلَّا

وذلك أنه عبر البقرات السمان بسبع سنين غصبة وعبر البقرات العجاف بسبع سنين جعدة فكذا السبلات الخضر واليابسة (دأبا) بسكون الحمزة وفتحها مصدر دأب على العمل إذا دام عليه ، وهو مصروف موضع الحال (فأحدثتم قدره في سنيله) هذا رأى أرشد م يوسف إليه ، وذلك أن أرض مصر لا يبق فيها الطعام عامين ، فلهذه حيلة يبق بها من السنين الغصبة إلى السنين المجدة ، وهي أن يتركوه في سنيله خير مدروس ، فإن الحبة إذا بقيت في غصبتها انخفضت (الأقليل عما تأكلون) أي لا تبرسوا منه إلا ما يحتاج إلى الأكل خاصة (سبع شداد) يعني سبع سنين ذات شدة وجوع (يا أكلفا ما نقتنم لمن) أي تأكلون فيمن ما اخترتم من الطعام في سنيله ، وأستأكل إلى السنين مجازا (عائصون) أي تخزون وتخشون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) هذا زيادة على ما تقتضيه الرقيا ، وهو الإخبار بالعام الثامن (يفات الناس) بمحتمل أن يكون من التيشأى يمشطرون ، أو من الفوت : أي يفرج الله عنهم (وفيه يصرون) أي يصرون الزيتون والعنب والسمسم وغير ذلك مما يصبر (وقال الملك اثوثي به) قيل هنا محذوف ، وهو فرجع الرسول إلى الملك قصص عليه مقالة يوسف فرأى عليه وعقله ، قال اثوثي به (قال ارجع إلى ربك فأسأله) لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وأتياته إليه أراد يوسف أن يرى نفسه مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها ، وأن يعلم الملك وخبره أنه مجنون ظلما فذكر طرقا من قصته لينظر الملك فيها فيبتين له الأمر ، وكان هذا الفصل من يوسف صبرا وحلما ، إذ لم يجب إلى الخروج من السجن ساعة دعي إلى ذلك بعد طول المدة ، وسع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز رعا لتمام زوجها واستراها ، بل ذكر النسوة اللاتي قطعن أهدبن (قال ما خطبك) الآية جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن ، فسألن عن قصة يوسف ، وأستألمراودة إلى جميعهن ، لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هي التي راودته وحدها (قلن حاشرة) تبره ليوست لأتبره لأنفسهن من مراودته وتكون تبره ليوست بقولن : ما علمنا عليه من سوء (الآن حصص الحق) أي تبين وظهر ، ثم اعترفت على نفسها بالحق (ذلك ليلم أني لم أكنه بالغييب) قيل إنه من كلام امرأة العزيز متصلا بما قبله ، والضمير في يلم وأخته على هذا ليوست عليه السلام أي ليلم يوسف أني لم أكذب عليه في حال غيبته ، والإشارة بذلك إلى توبتها وإفراها ، وقيل إنه من كلام يوسف عليه السلام ، فالضمير للمعز أي لم أكنه في زوجته في غيبته ، بل تصفت عنها والإشارة بذلك إلى توقعه عن الخروج من السجن حتى تظهر براته (وما أبرئ نفسي) اختلف أيضا هل هو من كلام امرأة العزيز ، أو من كلام يوسف ، فإن كان من كلامها فهو اعتراف

النفس لامارة بالسوء إلا مارحم ربى إن ربى غفور رحيم . وقال الملك أئتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلفه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلنى على خزائن الأرض إني خفيط عليم . وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين . ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون . وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فرهبهم ولم ينسروا . ولما جهزهم

بعد الاعتراف ، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما هم به على وجه خطوره على قلبه ، لاعلى وجه العزم والقصد ، وقاله فى عموم الاحوال على وجه التواضع (إن النفس لامارة بالسوء) النفس هنا للجنس والنفوس ثلاثة أنواع : أمانة بالسوء ، ولؤامة وهى التى تلوم صاحبها ومطمنة (إلا مارحم ربى) استكناه من النفس إذ هى بمعنى النفوس أى الأرض المحرومة وهى المطمنة ، فاعلى هذا بمعنى الذى ، ويحتمل أن تكون ظرفية أى إلا حين رحمة الله (أستخلصه لنفسي) أى أجعله خاصى وخلاصى قال أولا أئتوني به فلما تبين له حاله قال أستخلصه لنفسي (لما كلفه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) أى فلما رأى حسن كلامه وعرف وفور عقله وعلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ، والمكين من التمكين ، والآمين من الأمانة (قال اجعلنى على خزائن الأرض) لما فهم يوسف من الملك أنه يريد قصره والاستمانة به قال له ذلك ، وإنما طلب من الولاية رغبة منه فى العدل وإقامة الحق والإحسان ، وكان هذا الملك كافرا ، ويستدل بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الاحوال ، وقيل إن الملك أسلم ، وأراد بقوله خزائن الأرض : أرض مصر إذ لم يكن للملك غيرها ، والخزائن كل ما يوزن من طعام ومال وغير ذلك (إنى خفيط عليم) صفتان تيمان وجوه المعرفة والضببط للخزائن وقيل خفيط الحسب عليم بالأسس ، واللفظ أعم من ذلك ، ويستدل بذلك أنه يجوز للرجل أن يعرف بنفسه ويمدح نفسه بالحق إذا جهل أمره وإذا كان فى ذلك قائما (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) الإشارة بذلك إلى ما تقدم من جميل صنع الله به ، وروى أن الملك ولاء فى موضع المزب وأستدل إليه جميع الأمور حتى تغلب على أمره وأن امرأة المزب شاخت وافترقت فتزوجها يوسف ودعا الله فرد عليها جمالها وشبابها وأنه باع من أهل مصر فى أعوام القحط الطعام بالتانير والدرام فى السنة الأولى حتى لم يبق لهم شيء منها ، ثم باحل ، ثم بالدواب ثم بالضياع والمغار ثم برقابهم حتى تملكهم جميعا ثم أعنتهم ورد عليهم أملاكهم (نصيب برحمتنا من نشاء) الرحمة هنا يراد بها الدنيا وكذلك الأجر فى قوله ولا نضيع أجر المحسنين بدليل قوله بذلك ولأجر الآخرة خير ، فأخبر تعالى أن رحمة فى الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاص ، وأن المحسن لا يبدله من أجره فى الدنيا ، فالأول فى المشيئة ، والثانى واقع لا محالة ، ثم أخبر أن أجر الآخرة خير من ذلك كله : للذين آمنوا ، وكانوا يتقون ، وفى الآية إشارة إلى أن يوسف عليه السلام جمع الله بين خيرى الدنيا والآخرة (وجاء إخوة يوسف) كان سبب مجيئهم أنهم أصابهم مجاعة فى بلادهم ، فخرجوا إلى مصر ليشتروا بها من الطعام الذى ادخره يوسف (فرهبهم وهم له منكرون) إنما أنكروه بعد الهدى وتغيير سنة أولاته كان مثما ، روى أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك وأنه سالم

بِهَازِمٍ قَالَ أَتَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْمِكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفَى الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُزْلِزِينَ • فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَهْرَبُونَ • قَالُوا سَرَّادُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ • وَقَالَ لَفَتَيْتُكَ أَجْمَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أَقْبَلُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ • فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَيْمِهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسَلْنَا أَخَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ • قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنَْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفَظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ • وَلَمَّا أَتَوْا بَضَاعَتَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَبِعِيرُ أَهْلِنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَزَادَادُ كَيْلٍ بَعِيرٌ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُتَوُّنَ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يَحْطَأَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ • وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُضْيِضْ عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ • وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَيْوَمَهُ مَا كَانَ يُفْنِي عَنْهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي قَاسٍ يَعْتُوبُ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْتُ لَوْلَا أَنْتَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ

عن أحوالهم ، وأخبروه أنهم تركوا أكلهم ، لحبقت قال لهم اتفوني بأخ لكم من أيمكم وهو بنيامين شقيق يوسف (ولما جهزم بهازم) الجهاز ما يحتاج إليه المسافر من زاد وغيره ، والراد به هنا الطعام الذي باع منهم (خير المزلزين) أي المضيقين (وإنما فاعلون) أي فعل ذلك لأعالة (وقال افتيناه) جمع قى وهو الخادم سواء كان حراً أو عبداً (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أمر أن يحملوا البضاعة التي اشتروا منها بها الطعام في أرواحهم (لعلهم يعرفونها) أي لعلهم يعرفون اليد والكرامة في رد البضاعة إليهم ، وليس الضمير للبضاعة (لعلهم يرجعون) أي لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع ونصد برد البضاعة إليهم مع الطعام استكلافهم بالإحسان إليهم (منع منا الكيل) إشارة إلى قولهم وإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي فهو خوف من أشرع في المستقبل (نكتل) وزه فنعزل من الكيل (مانبي) ما استفهامية ونبي بمعنى فطلب ، والمعنى أي شيء فطلبه بمد هذه الكرامة وهي رد البضاعة مع الطعام ، ويحتمل أن تكون مانابة وزني من البنى : أي لا تعدى على أخينا ولا نكنذب على الملك (وبعير أهنا) أي نسوق لهم الطعام (وزداد كيل بعير) يريدون بعير أخيهيم إذ كان يوسف لا يعطى إلا كيل بعير من الطعام لإنسان فأعطاهم عشرة أبعرة ومنعهم الحادى عشر لنية صاحبه حتى يأتي والبعر الجمل (ذلك كيل يسير) إن كانت الإشارة إلى الأحوال فالمعنى أنها قليلة لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير ، وإن كانت الإشارة إلى كيل بعير ، فالمعنى أنه يسير على يوسف أى قليل عنده أوسهل عليه ، فلا يمنعه من (حتى تتون موقها من الله) أراد أن يحفظوا له ولتأتني به جواب اليمين (إلا أن يحاط بكم) أى إلا أن تغلبوا فلا تطيقون الإتيان به (يبنى لا تدخلوا من باب واحد) عاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين إذ كانوا أهل جمال وهية (ما كان يفتي عنهم) جواب لما والمعنى أن ذلك

«أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَلَمَّا جَزَّاهُمْ بِمَهَازِمِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرَانُكُمُ لَسَرِقُونَ . قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ . قَالُوا فَقَدْ صَوَّاعُ الْمَلِكِ وَلَمْ يَجَأْ بِهِ حِمْلُ بَعِيرِوَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ . قَالُوا نَأْتِيهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنُفْسِ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ . قَالُوا فَاجْزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ . قَالُوا اجْزَاؤُهُ مِنْ وَجْدِ فِرْعَوْنَ فَهُوَ جَزَاؤُهُ . كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ رِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ رِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدَّنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لْيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا

لا يدفع ما قضاه الله (إلا حاجة) استثناء منقطع ، والحاجة هنا هي شفقتهم عليهم ووصيته لهم (أوى إليه أخاه) أي ضمه (قال إنى أنا أخوك) أخبره بأنه أخوه واستكنمه ذلك (فلا تبئس) أى لا تحزن فهو من اليأس (بما كانوا يعملون) الضمير لإخوة يوسف ، ومعنى ما فعلوا يوسف وأخيه ، ويحتمل أن يكون لفتيانه : أى لا تبلى بما تراه من تحبيل فى أخذك (جعل السقاية فى رحل أخيه) السقاية هى الصواع ، وهى إناء يشرب فيه الملك ويأكل فيه الطعام ، وكان من فطنة وقيل من ذهابه ، وقصد جعله فى رحل أخيه أن يحتال على إمساكه معه إذ كان شرع يعقوب أن من سرق استعبده المروق له (ثم أذن مؤذن) أى نادى نادى (أيها العير) أى أيها الرقعة (إنكم لاسارقون) خطاب لإخوة يوسف ، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة لما فى ذلك من المصلحة من إمساك أخيه ، وقيل إن حافظ السقاية نادى : إنكم لاسارقون ، ضمير أمر يوسف وهذا بعيد لتفتيش الأوعية (ولم يجأ به حمل بعير) أى لم يجره ورده حمل بعير من طعام على وجه الحمل (وأنا به زعيم) أى ضامن لحمل البعير لمن رده الصواع ، وهذا من كلام المنادى (قالوا نأتىه لقد علمت ما جئنا لنفسد فى الأرض) أى استشهدوا بعلينهم لما ظهر لهم من دياتهم فى دخولهم أرضهم حتى كانوا يعملون الأكمة فى أفواه إبلهم ثلاثا حال زرع الناس (قالوا فاجزأوه إن كنتم كاذبين) أى قال قيسان يوسف ما جزأه آخذ الصواع إن كنتم كاذبين فى قولكم وما كنا سارقين ، فالضمير فى قوله جزأوه يعود على الأخذ المفهوم من الكلام (قالوا جزأوه من وجد فى رحله فهو جزأوه) المعنى أن إخوة يوسف أقفوا فباستلوا عنه فقالوا جزأوه السارق أن يستعبد ، ويؤخذ فى السرعة ، وأما الإلهاب فيحتمل وجهين : الأول : أن يكون جزأوه الأول لمبتدأ ومن مبتدأ ثان وهو شرطية أو موصولة ، وخبرها فهو جزأوه ، والخلة خبر جزأوه الأول ، والوجه الثانى : أن يكون من خبر المبتدأ الأول على حذف مضاف ، وتقديره جزأوه أخذ من وجد فى رحله وتم الكلام . ثم قال فهو جزأوه أى هذا الحكم جزأوه (وكذلك تجزى الظالمين) من كلام إخوة يوسف أى هذا حكمتنا فى السراق ، وقد كان هذا الحكم فى أول الإسلام ، ثم نسخ بقطع الأيدي (فبدأ بأوعيتهم) هنا تمكن العيلة ورفع للهمة (ثم استخرجها من رعاء أخيه) ليصح له بذلك إمساكه معه ، وإنما أنت الصواع فى هذا الموضع لأنه سقاية ، ولأن الصواع يذكر ويؤتى (كذلك كدنا ليوסף) أى صنعنا له هذا الصنع (ما كان لياخذ أخاه فى دين الملك) أى فى شرعه أو عادته ، لأنه إنما كان جزأوه السارق عنده أن يضرب ويضاعف عليه النرم ، ولكن حكم فى هذه القضية آل يعقوب (نرفع درجات من نشاء) يعنى الرفعة بالملم بدليل ما بعده (وفرق كل شئ علم علم) أى

أَنِ يَسْأَلِ اللَّهُ نَفْعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّسَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ قَالُوا إِن يَسْرِقْ قَدْ سَرَقَ أَخٌ لِّهِ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَمُوا يُونُسَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهُمْ قَالِ أَلَمْ تَكُن مِّنْ أَهْلِ مَكَاوَلَهُ أَطْلَمَ بِمَا تُصَفُونَ قَالُوا يَا أَبَا نَبِيٍّ أَلَمْ يَكُن لَّكَ يَا شَيْخَا كَبِيرًا فَخَذَّ أَحَدُنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مَنَّهُ خَصُوا نَجْمًا قَالِ كَيْرُمُ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْعًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِيَ آيٍ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ قُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَيْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ وَنَسِلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا

فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر ، أو الله عز وجل (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)
الضمير في قالوا لإخوة يوسف ، وأشاروا الى يوسف ، ومعنى كلامهم إن يسرق بيامين ، فقد سرق
أخوه يوسف من قبل ، فهذا الأمر إما صدر من ابني راحيل لأمنا ، وقصدوا بذلك رفع المعزة عن أنفسهم ،
ورموا بها يوسف وشقيقه ، واختلف في السرقة التي رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال : الأول أن عمته
رَبَّتَهُ ، فأراد والده أن يأخذه منها ، وكانت تحبه ولا تصبر عنه ، فجلعت عليه منطقة لها ، ثم قالت إنه أخذها
فاستبدته بذلك وبقي عندها إلى أن ماتت ، والثاني أنه أخذ صنابلته والد أمه فسكره ، والثالث أنه كان يأخذ
الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين (فأسرهما يوسف في نفسه) قال الزمخشري الضمير الجملة التي بمذالك
وهي قوله أتم شر مكانا ، والمعنى قال في قوله أتم شر مكانا وقال ابن عطية : الضمير للحرارة التي وجد في
نفسه من قولهم فقد سرق أخ له من قبل وأسر كراهية مقاتلتهم ثم جاهرهم بقوله أتم شر مكانا أي لسوء
أفعالكم (والله أعلم بما تصفون) إشارة إلى كذبهم فيها وصفوه به من السرقة (إن له أباشيخا كبيرا) استعظافا
وكانوا قد أعلوه بشدة محبة أبيه فيه (فخذ أحدهما مكانه) على وجه الضمان والاسترمان ، والاعتقاد ، وهذا
هو الظاهر لقوله معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده (من المحسنين) أي أحسن إلينا فيما فعلت
معنا من قبل أو على الإطلاق (واستيسوا) أي يسوا (اخلصوا نجما) أي انفردوا عن غيرهم يناجي بعضهم بعضا ،
والنجي يكون بمعنى المناجى أو مصدرا (قال كيرم) قيل كيرم في السن وهو رويل ، وقيل كيرم في الرأي
وهو شمعون ، وقيل يهوذا (ومن قبل ما تفرطتم في يوسف) فحتمل ما ، وجوها : الأول أن تكون زائدة ،
والثاني أن تكون مصدرية وعملها الرفع بالابتداء تقديره وقع من قبل فتربطكم في يوسف ، والثالث
أن تكون موصولة وعملها أيضا الرفع كذلك ، والأول أظهر (فلن أبرح الأرض) يريد الموضع الذي
وقعت فيه القصة (ارجعوا إلى آبائكم) من قول كيرم ، وقيل من قول يوسف وهو بعيد (إن ابنك سرق)
قرأ الجمهور بفتح الراء والدين ، وروى عن الكسائي سرق بضم السين وكسرو قد قد الراء أي نسبت له السرقة
(وما شهدنا إلا بما علينا) أي قولنا لك إن ابنك : [بما هو شهادة بما علينا من ظاهر ما جرى (وما كنا للغيب
حافظين) أي لا نعلم الغيب من ذلك حق في نفس الأمر ، أم لا ، إذ يمكن أن يدرس الصواع في رحله من غير علمه وقال
الزمخشري الذي شهدنا إلا بما علينا من سرقة وتيقناه ، لأن الصواع استخرج من وعائه ، وما كنا للغيب حافظين

فِيهَا وَالْمِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَرَأَيْنَا لَصْدِقُونَ . قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْسَنُوا عَلَى يُوسُفَ وَأَبِيعْتُمْ عِيَاهُ مِنَ الْحَزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ . قَالُوا يَا تَأَنَّهُ تَقْتَرِ أَنْذَرُكَ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ . قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثْنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . يَلْسَنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَسَّسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ . فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْمُرِيدُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعةٍ مُزَجَّةٍ فَلَوْفَ لَنَا الْكَيْلُ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُصْذِقِينَ . قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا قُلْتُمْ

أى ما علمنا أنه سيمسرق حين أعطيناك الميثاق ، وقرامة سرق بفتح تعضد قول الزمخشري ، والقرامة بالضم تعضد القول الأول (واسأل القرية) تقديره واسأل أهل القرية ، وكذلك أهل العير : ينون الرقة ، وهاهو قول الجمهور وقيل المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ولا يبعد أن يخبره الجملادات لأنه نبي والاول أظهر وأشهر على أنه مجاز ، والقرية هنا مصر (قال بل سوات لكم) قبله محذوف تقديره : فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام فقال بل سوات الآية (بهم جميعاً) يعنى يوسف وأخاه بنيامين ، وأخاهم الكبير الذى قال لن أروح الأرض (وتولى عنهم) لما لم يصدقهم ، أعرض عنهم ورجع إلى التأسف (وقال يأسنى على يوسف) تأسف على يوسف دون أخيه الثانى والثالث . الذاهبين ، لأن حزنه عليه كان أشد لإرطاح حبه ولأن مصيبتهم كانت السابعة (وابيعت عيانه من الحزن) أى من البكاء الذى هو ثمرة الحزن ، فقيل إنه عنى ، وقيل إنه كان يدرك إدراك ضيقاً ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يعقوب حزن حزن سبعين نكلى وأعطى أجر مائة شهيد ، وماساه ظنه بالله قط (فهر كظيم) قيل إنه فعيل بمعنى فاعل أى كاظم لحزنه لا يظهره لأحد ، ولا يشكو إلا لله وقيل بمعنى مفعول كقولهم : إذ نادى وهو مكظوم ، أى علوه القلب بالحزن ، أو بالفظ على أولاده ، وقيل الكظيم : الشديد الحزن (تأنه تفتى) أى لا تفتى . والمعنى لا تزال ، وحذف حرف التثنية لأنه لا يلتبس بالإثبات : لأنه لو كان إثباتاً لكان مؤكداً باللام والتون (حرضاً) أى مشرفاً على الهلاك (قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) رذ عليهم في تقديرهم : أى إنما أشكو إلى الله لا إليكم ولا إلى غيركم ، والبث : أشد الحزن (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى أعلم من علمه ورايته ورحمته ما يوجب حسن ظنى به وقوة رجائى فيه (يأينى أذهبوا) يعنى إلى الأرض التى تركتموها أخويكم (فتحسسوا من يوسف وأخيه) أى تعرفوا خبرهما ، والتحسس طلب الشيء بالخوارس السمع والبصر . وإنا لم يذكر الولد الثالث ، لأنه بقى هناك اختياراً منه ، ولأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه (ولا تيسسوا من روح الله) أى من رحمة الله (لأنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون) إنما جعل اليأس من صفة الكافر ، لأن سيئه تكذيب الربوبية أو جهلاً بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته (فلما دخلوا عليه) أى على يوسف وقيل هذا محذوف تقديره فرجعوا إلى مصر (الضر) يريدون به المجاعة أو ألمهم على إخوتهم (بضاعة مزججة) ينون الدرهم التى جاؤوا بها لشراء الطعام ، والمزججة القليلة ، وقيل الرديئة ، وقيل الناقصة ، وقيل إن بضاعتهم كانت عروضاً

الْقُلُوبِ الرَّحِيمِ • فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ • وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَسَّابْتُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهُ رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدُونِ بِأَنْ تَرَجَّ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ • رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَتَوَقَّى مُسْلِمًا وَآخِيفًا بِالصَّالِحِينَ • ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا لَقِيتُ نُوْحًا إِلَيْكَ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ • وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ • وَمَا تَسْلُمُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْرٍ إِنَّهُ هُوَ لَا ذِكْرَ لِلْعَالَمِينَ • وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ • وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ • أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِيَهُمْ

الدعاء يستجاب فيه ، وقيل إلى ليلة الجمعة (فلما دخلوا على يوسف) هنا عذوبات يدل عليها الكلام ، وهي فرحل يعقوب بأمله حتى بلغوا يوسف (آوى إليه أبوه) أى ضمهما ، وأراد بالآوين أباه وأمه ، وقيل أباه وخاتله لأن أمه كانت قد ماتت ، وسعى الخالة على هذا أنها (إن شاء الله) راجع إلى الأمن الذى فى قوله آمنين (رفع أبوه على العرش) أى على سرير الملك (وخرروا له سجدا) كان السجود عندهم تحية وكرامة لآعبادة (وقال يابست هذا تأويل رؤياي من قبل) بنى حين رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له ، وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عاما ، وقيل أربعون (أحسن بى) يقال أحسن إليهم (أخرجني من السجن) إنما لم يقل أخرجنى من الحب لوجبهين : أحدهما أن في ذكر الحب خفى لإخوته وتقرى بهم بما فعلوه ترك ذكره توفير لهم والآخر أنه خرج من الحب إلى الرق ، ومن السجن إلى الملك ، فالنعمة به أكثر (وجاءكم من البدو) أى من البادية وكانوا أصحاب إبل وغنم فعدتم النعم بحجهم للحاضرة (ترج الشيطان) أى أفسدوا غوى (لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير لما يشاء من الأمور (من الملك) من التبعيض ، لأنه لم يعطه إلا بعض ملك الدنيا بل بعض ملك مصر (توقى مسلما) لما عدد النعم التى أنعم الله بها عليه اشتاق إلى لقائه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم ، فدعا بالموت وقيل ليس ذلك دعاء بالموت ، وإنما دعا أن الله يتم عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله (ذلك من أنباء النيب) احتجاج على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإخباره بالنبوء (وما كنت لديهم) الخطاب للى صلى الله عليه وآله وسلم تأكيذا لحجته والضمير لإخوة يوسف (إذ أجمعوا) أى عزموا (وهم يَمْكُرُونَ) يعنى فسلم يوسف (وما أكثر الناس) عموم لأن الكفار أكثر من المؤمنين وقيل أراد أهل مكة (ولو حرصت بمؤمنين) اعتراض أى لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم (وما تسلمهم عليه من أجر) أى لست تسلمهم أجرا على الإيمان فينقل عليهم بسبب ذلك وهكذا معناه حيث وقع (وكأى من آية) يعنى المخلوقات والحوادث الدالة على الله سبحانه (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) نزلت فى كفار العرب الذين يقرؤن بالله ويعبدون معه غيره ، وقيل فى أهل الكتاب لقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله (غاشية) هى ما يغشى ويعم (قل هذه

السَّاعَةِ بَشَرَةً وَمَا لَا يُشْعُرُونَ . قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبِّحْهُنَّ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى . أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ . حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُصِرُوا مِنْ غَشَاةٍ . وَلَا يَرُدُّ بَرَأُنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُرْجَمِينَ . لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

سورة الرعد

مدنية وآياتها ٤٣ نزلت بعد سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ . اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

(سبيل) إشارة إلى شريعة الإسلام (أدعو إلى الله على بصيرة) أي أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بصيرة من أمرى ووجه واضحة (أنا ومن اتبعني) أنا تأكيد للضمير في أدعو ، ومن اتبعني معطوف عليه وعلى بصيرة في موضع الحال وقيل أنا مبتدا وعلى بصيرة خبره فعل هذا يوقف على قوله أدعو إلى الله ، وهذا ضعيف (وسبحان الله) تقديره وأقول سبحان الله (وما أرسَلنا من قبلك إلا رجالا) رد على من أنكروا أن يكون النبي من البشر ، وقيل فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولا من النساء (من أهل القرى) أي من أهل المدن لأن أهل البوادي ، فإن الله لم يبعث رسولا من أهل البادية لجفائهم (حتى إذا استأَس الرسل) متصل بالمعنى بقوله وما أرسَلنا من قبلك إلا رجالا إلى قوله عاقبة الذين من قبلك ، وبأسهم: يحتمل أن يكون من إيمان قومهم أو من النصر، والأول أحسن (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرئ بتشديد الدال وتخفيفها ، فأما التشديد فالضمير في ظنوا وكذبوا للرسل ، والظن يحتمل أن يكون على باه ، أو بمعنى اليقين : أي علم الرسل أن قومهم قد كذبوا فيسوا من إيمانهم ، وأما التخفيف ، فالضمير ان فيه للقوم المرسل إليهم أي ظنوا أن الرسل قد كذبوا فيما ادعوه من الرسالة ، أو من النصرة عليهم (في قصصهم) الضمير للرسل على الإطلاق أو ليوسف وإخوته (ما كان حديثا يفترى) يعني القرآن (ولكن تصديق الذي بين يديه) تقدم معناه في البقرة

سورة الرعد

(تلك آيات الكتاب) أي آيات هذه السورة ويحتمل أن يريد آيات الكتب على الإطلاق ويحتمل أن يريد القرآن على الإطلاق وهذا بعيد لشكر القرآن بذلك (والذي أنزل إليك) يعني القرآن وإعراجه مبتدا وخبره الحق (ينير عند) أي ينير شيء . تقف عليه لإقْدرة الله (ترونها) قيل الضمير للسماوات وترونها على هذا في موضع الحال أو استثناء

كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَكُمْ بَلَاءَ رَبِّكُمْ تَوْقُونَ • وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُنْشِئُ اللَّيْلَ الْهَارِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَتَّ
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ • وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجِئَتْ مِنْ اعْتِبَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ
يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَتَّ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ • وَإِنْ
تَعْجَبُ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَهَذَا كُنَّا تُرَابًا أَهَذَا لَنِي خَلَقْتُ جَعِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ

وقيل الضمير للعمد أى ليس لها عمد مرئية فيقتضى المفهوم من أن لها عمدا لا ترى وقيل إن عمدها جبل
قال المحيط بالدنيا ، وقال الجمهور لا عمد لها البتة فالمراد نفي العمدة ونفي رؤيتها (ثم استوى على العرش) ثم
هنا لثرب الأخبار لا لثرب وقوع الأمر ، فإن العرش كان قبل خلق السموات ، وتقدم الكلام على الاستواء
في الأعراف (يدبر الأمر) يعنى أمر الملكوت (يفصل الآيات) يعنى آيات كتبه (مد الأرض) يقتضى أنها
بسيطة لا مسكورة ، وهو ظاهر الشريعة ، وقد يترتب لفظ البسط والتمد مع التكوير لأن كل قطعة من الأرض
عمدة على حدتها ، وإنما التكوير لجملة الأرض (دواسي) يعنى الجبال الثابتة (زوجين اثنين) يعنى صنفين
من الثمر : كالأسود والأبيض ، والحلو والحامض ، فإن قيل : تقتضى الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة
صنفين ، وقد خلق من كثير من الثمرات أصناف كثيرة ، والجواب : أن ذلك زيادة في الاعتبار وأعظم في الدلالة
على القدرة ، فذكر الاثنين ، لأن دلالة غيرهما من باب أولي ، وقيل إن الكلام تم في قوله من كل الثمرات
ثم ابتدأ بقوله جعل فيها زوجين يعنى الذكور والأنثى والأول أحسن (ينشئ الليل الهار) أى يلبسه لياه فيصير
له كالغشاء ، وذلك تشبيه (قطع متجاورات) يعنى قطع متلاصقة ومع تلاصقها ، فإن أرضها تتنوع إلى طيب
ورديء وصلب ورخو ، وغير ذلك ، وكل ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر (صنوان وغير صنوان)
الصنوان هى النخلات الكثيرة التى يكون أصلها واحد وغير الصنوان المقترب فردا فردا ، وواحد الصنوان صنو
(يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل) حجة وبرهان على أنه تعالى قدير ومريد لأن
اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء الذى تسقى به : دليل على القدرة والإرادة ، وفي ذلك الرد
على القائلين بالطبيعة (وإن تعجب فاعجب قولهم) أى إن تعجب يا محمد فإن إنكارهم لبعث حقيق أن تعجب
منه ، فإن الذى قدر على إنشاء ما ذكرنا من السموات والأرض والثمار قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم
(أهَذَا كُنَّا تُرَابًا أَهَذَا لَنِي خَلَقْتُ جَعِيدٌ) هذا هو قول الكفار المنكرين لبعث ، واختلف القراء في هذا الموضع
وفي سائر المواضع التى فيها استفهامان ، وهى أحد عشر موضعا ، أولها هذا ، وفي الإسراء موضعان ، وفي
المؤمنين موضع ، وفي النمل موضع ، وفي العنكبوت موضع ، وفي ألم السجدة موضع ، وفي الصافات موضعان
وفي الواقعة موضع ، وفي النازعات موضع ، ففهم من قرأ بالاستفهام في الأول والثاني ومنهم من قرأ
بالاستفهام في الأول فقط وهو نافع ومنهم من قرأ بالاستفهام في الثاني فقط ، وأصل الاستفهام في المعنى ،
وإنما هو عز الثاني في مثل هذا الموضع ، فإن حمزة الاستفهام معناها الإنكار ، وإنما أنكروا أن يكونوا
خلقاً جديداً ولم ينكروا أن يكونوا تراباً ، فزعموا بالاستفهام في الثاني فقط فهو على الأصل ومن قرأ بالاستفهام في

فِي أَعْتَابِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَيَسْتَعْمِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ . اللَّهُ يَسْمَعُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَحْمِلُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ . عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ . سَوَاءٌ لَكُمْ مِنْ أَصْرِ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ

الأول ، فالقصد بالاستفهام الثاني ، ومن قرأ بالاستفهام فيها فذلك لتأكيد (وأولئك الأغلال في أعناقهم) يحتمل أن يريد الأغلال في الآخرة فيكون حقيقة أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان كقولك إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ، فيكون مجازاً يجرى مجرى الطبع والحم على القلوب (ويستعملونك بالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) أى بالنقمة قبل العافية ، والمعنى أنهم طلبوا العذاب على وجه الاستخفاف (وقد خلت من قبلهم المثلثات) جمع مثلة على وزن تمرة وهى المقوبة العظيمة التى تجعل الإنسان مثلاً ، والمعنى كيف يطلبون العذاب وقد أصابت المقربات الأمم الذين كانوا قبلهم أغلا يخافون مثل ذلك (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ) يريد ستره وإمهاله فى الدنيا للكفار والمصاة ، وقيل يريد مغفرته لمن تاب ، والأول أظهر هنا (ويقول الذين كفروا) الآية : اقرحوا نزول آية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نزول ملك معه أو شبه ذلك ، ولم يعتبروا بالقرآن ولا بغيره من الآيات العظام التى جاء بها ، وذلك منهم معاندة (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) أى إِنَّمَا عَلَيْكَ الْإِذَارُ ، وليس عليك أن تأتهم بآية إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ (ولكل قوم هاد) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن يراد بالهادى الله تعالى ، فالمنى إِنَّمَا عَلَيْكَ الْإِذَارُ والله هو الهادى لمن يشاء إذا شاء ، والوجه الثانى أن يريد بالهادى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فالمنى إِنَّمَا أَنْتَ نَبِيٌّ مُنْذِرٌ ، ولكل قوم هاد من الأنبياء ينذرهم فليس أمرك يدع ولا مستكثر . الثالث روى أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا المنذر وأنت يا على الهادى (الله يعلم ما تحمّل كل أمّ) كقوله يعلم ما فى الأرحام ، وهى من الحسن التى لا يعلمها إلا الله ، ويعنى يعلم هل هو ذكر أو أنثى أو تام أو خداج أو حسن أو قبيح ، أو غير ذلك (وما تفيض الأرحام وما تزداد) معنى تفيض تنقص ، ومعنى تزداد من الزيادة ، وقيل إن الإشارة بدم الحيض فإنه يقل ويكثر وقيل للولد فالفيض السقط ، أو الولادة لأقل من تسعة أشهر ، والزيادة إيقاؤه أكثر من تسعة أشهر ، ويحتمل أن تكون ما فى قوله ما تحمّل وما تفيض وما تزداد : موصولة أو مصدرية (سواء منكم من أسرار القول ومن جهر) المعنى إن الله يسمع كل شيء ، فالجهر والإسرار عنده سواء وفى هذا وما بعده تقسيم ، وهو من أدوات البيان ، فإنه ذكر أربعة أقسام ، وفيه أيضاً مطابقة (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) المعنى سواء عند الله المستخفى بالليل وهو فى غاية الاختفاء مع السارب بالنهار وهو فى غاية الظهور ومعنى السارب المتصرف فى سره بالفتح أى فى طريقه ووجهه ، والسارب والمستخفى اثنان قصد التوسية بينهما فى اطلاع الله عليهما مع تباين حالهما ، وقيل إن المستخفى بالليل والسارب بالنهار : صفتان لموصوف

أَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْثِي السَّحَابَ ثِقَالًا وَيَسْبِغُ الرِّيحَ بِعَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبْسُطُ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَلْبُغُهُ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ هُوَ الَّذِي يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَمَهُمُ الْفُتُورُ وَالْأَصَالُ

واحد يستغنى بالليل ويظهر بالنهار ، ويعضد هذا كونه قال وسارب ، فسطفه عطف الصفات ولم يقل ومن هو سارب بتركرار من كما قال ، من أسر القول ومن جهر به ، إلا أن جعلهما اثنين أرجح ليقابل من أسر القول ومن جهر به ، فيكمل التقسيم إلى أربعة على هذا ، ويكون قوله وسارب عطف على الجملة وهو قوله ومن هو مستغنى لاعل مستغنى وحده (له معقبات) المعقبات هنا جماعة الملائكة ، وبمعيت معقبات لأن بعضهم يقبض بعضاً ، والضمير في له يعود على من المتقدمة ، كأنه قال لمن أسر ومن جهر ، ولمن استغنى ومن ظهر له معقبات ، وقيل يعود على الله وهو قول ضعيف لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد بافتقار (يحفظونه) صفة للمعقبات ، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به حفظ أعماله أو حفظه وحراسته من الآفات (من أسر الله) صفة للمعقبات أى معقبات من أجل أسر الله أى أسرهم بحفظه ، وقرئ بأمر الله ، وهذه القراءة تعدد ذلك ، ولا يتعلق من أسر الله على هذا ليحفظونه ، وقيل يتعلق به على أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والتم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) بالمعاصي فيقتضى ذلك أن الله لا يسلب النعم ولا يترك النعم إلا بالذنوب (يريككم البرق خوفاً وطمعا) الخوف يكون مع البرق من الصواعق والأمور المائلة ، والطمع في المطر الذي يكون معه (السحاب الثقال) وصفها بالثقل ، لأنها تحمل الماء (ويسبح الرعد بحمده) الرعد اسم ملك وصوته المسموع تسبيح ، وقد جاء في الآثار أن صوته زجر للسحاب ، فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك (ويرسل الصواعق) قيل إنه إشارة إلى الساعة التي نزلت على أريد الكافر وقتلته حين هم يقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأخوه عامر بن الطفيل والنظ أعم من ذلك (وهم يجادلون في الله) يعنى الكفار ، والواو للاستئناف أو للحال (شديد الحال) أى شديد القوة ، والحال مشتق من الحيلة ، فالجيم زائدة ، ووزنه مفعول ، وقيل معناه شديد المكر من قولك : عمل بالرجل إذا مكر به ، فالجيم على هذا أصلية ووزنه فعال وتأويل المكر على هذا القول كتابه في المواضع التي وردت في القرآن (له دعوة الحق) قيل هي لا إله إلا الله ، والمعنى أن دعوة البعاد بالحق لله ودعوتهم بالباطل لتسويه (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) يعنى بالذين : ما عبدوا من دون الله من الأصنام وغيرها ، والضمير في يدعون للكفار ، والمعنى أن المعبودين لا يستجيبون لمن عديم (إلا كباسط كفه إلى الماء ليلبغ فاه وما هو بباله) شبه إجابة الأصنام لمن عديم بإجابة الماء لمن بسط إليه كفه وأشار إليه بالإقبال إلى فيه ولا يبلغ فاه على هذا أبداً لأن الماء حجاد لا يعقل المراد ، فكذلك

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَتَأْخُذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لَهُمْ شَيْءٌ وَلَا ضَرًّا
قُلْ مَنْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمُتُ وَالنُّورُ أَمْ جَلَّوَاللَّهُ شَرَكًا خَلَقُوا خَلْقَهُ فَتَشْبِهُ الْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ
زَبْدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا
الزَّيْدُ فَيَنْهَبُ جُحَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا

الاصنام ، والضمير في قوله وما هو للماء ، وفي يالنه لقم (وقه يسجد من في السموات والارض طوعا
وكرها) من لا تقع إلا على من يعقل فهي هنا يراد بها الملائكة والإنس والجن فإذا جعلنا السجود بمعنى
الانقياد لأمر الله وقضائه فهو عام في الجميع : من شاء منهم ومن أبى ، ويكون طوعا لمن أسلم وكرها لمن
كره وسخط ، وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد ، فيكون لسجود الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن
طوعا ، وأما الكره فهو سجود المنافق وسجود ظل الكافر (وظلالهم) مطوف على من والمنفى أن الظلال
تسجد غيرة ونعشة وسجودها انقيادها لتصرف بمشيئة الله سبحانه وتعالى (قل لله) جواب عن السؤال
المقدم ، وهو من رب السموات والارض ، وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة ، لأننا سألنا واضع
لا يمكن جرده ولا المخالفة فيه ، ولذلك أقام به الحجة على المشركين بقوله : أَتَأْخُذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ (قل هل يستوى
الاعمى والبصير) الاعمى تمثيل للكافر والبصير تمثيل للمؤمن (الظلمات) الكفر (والنور) الإيمان ، وذلك كله
على وجه التشبيه والتثيل (أم جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) أم هنا بمعنى بل والمهمزة ،
وخلقوا صفة لشركاء ، والمعنى أن الله وقهم هل خلق شركاءهم خلقا كخلق الله لخلقهم ذلك واشتباها بما خلق
الله على أن جعلوا لما غير الله ، ثم أبطل ذلك بقوله وقل الله عاتق كل شيء ، فحصل الرد عليهم (أنزل من السماء ماء
فسالت أودية بقدرها) الآية : هذا مثل ضرب به الله للحق وأهله والباطل وحزبه ، فمثل الحق وأهله بالماء الذي
ينزل من السماء تشبيل به الأودية ، ويتنوع به أهل الأرض ، وبالذهب والفضة والحديد والصفر وغيرها
من المعادن التي ينفذ بها الناس ، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بالزبد الذي يرى به السيل
ويريد تلك المعادن التي يطفو فوقها إذا أذيت ، وليس في الزبد متعة ، وليس له دوام (بقدرها) يحتمل
أن يريد ما قدر لها من الماء ، ويحتمل أن يريد بقدر ما احتمل على قدر صفرها وكبرها (زبد رابيا)
الزبد ما يحمله السيل من غمام ونحوه والرابي المنتفع الذي ربي ومنه الروية (ومما يوقدون) المجرور في موضع
خبر المقدم ، والمبتدأ زبد مثله : أى ينشأ من الأشياء التي يوقد عليها زبد مثل زبد السيل (ابتغاء حلية أو متاع)
الذي يوقد عليه ابتغاء الحلي : هو الذهب والفضة ، والذي يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والرصاص والنحاس
والصفر وشبه ذلك ، والمتاع ما يستمتع الناس به في مراقبتهم وحواسنهم (يضرب الله الحق والباطل) أى
يضرب أمثال الحق والباطل (جفاه) يجفاه السيل أى يرى به (وأما ما ينفع الناس فيكمك في الأرض) يريد
الحاصل من الماء ومن تلك الأحجار (الذين استجابوا لربهم الحسنى) الذين استجابوا هم المؤمنون ، وهذا

[illegible]

استئناف كلام ، والحسن الجنة ، وإعراجها مبتدأ وخبرها للذين استجابوا ، وللذين استجابوا مبتدأ وخبره
لأن لهم مافي الأرض الآية فوق على الأمثال ، وعلى الحسن ، وقيل للذين استجابوا يتعلق يضرب ،
والحسن مصدر من معنى استجابوا : أى استجابوا الاستجابة الحسن ، والذين لم يستجيبوا معطوف على الذين
استجابوا ، والمعنى : يضرب الله الأمثال للطاقتين ، وعلى هذا إنما يوقف على والذين لم يستجيبوا له (سوء
الحساب) أى المتناقضة والاستقصاء (أفنى يعلم) تقرير . والمعنى أسوأ من آمن ومن لم يؤمن ، والأصح هنا من
لم يؤمن بأننى صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وأبى جهل لعنه
الله (يصلون ما أمر الله به أن يوصل) الترقيات وغيرها (ويدعون بالحسنة السيئة) قبل يدفعون الشرك بقول
لا إله إلا الله ، وقيل يدفعون من أساء لهم بالى هى أحسن ، والأظهر يفعلون الحسنات فيدعون بها السيئات
كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات ، وقيل إن هذه الآية نزلت في الأنصار ، ثم هى عامة في كل مؤمن أنصف
بجده الصفات (عقبى الدار) يعنى الجنة ، ويحتمل أن يريد بالدار : الآخرة وأضف العقبي إليها لأنها فيها ، ويحتمل أن
يريد بالدار الدنيا ، وأضاف العقبي إليها لأنها طيبة (جنات عدن) بدل من عقبى الدار أو خبراً ابتداء معضم تفسير العقبي
الدار (ومن صلح) أى من كان صالحاً (سلام عليكم) أى يقولون لهم سلام عليكم (بما صبرتم) يتعلق بمحذوف تقديره
هذا بما صبرتم ويجوز أن يتعلق بسلام أى ليسم عليكم بما صبرتم (والذين ينقضون عهداه) إلى آخر الآية أوصاف
مضادة كاتقدم وقيل إنها في الخوارج ، والأظهر أنها في الكفار (سوء الدار) يحتمل أن يراد بها الدنيا والآخرة
(الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء يضيق على من يشاء وهذا تفسيره حيث وقع (وفرخوا
بالحياة الدنيا) [إنبار في ضمنه ذم وتفسيره لمن فرح بالدنيا لذلك حقرها بقوله وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع ،
أى قليل بالنظر إلى الآخرة (قل إن الله يضل من يشاء) خرج به مخرج التمجيد منهم لمساخطوا آية أى قد جاءكم محمد

مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لُتَبْلُغُوا
عَلَيْهِمُ النَّذِيرَ أَوْ حِينًا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُورَبِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ . وَلَوْ
أَنَّ قُرْآنًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْعُوقَى بَلِّغْهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِ الَّذِينَ
آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا
مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ . وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ . أَفَنْ هُوَ قَاتِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ

صلى الله عليه وسلم بالقرآن وآيات كثيرة فسميت بها ، وطلبتم خيرها وتماديتهم على الكفر لأن الله يضل من
يشاء مع ظهور الآيات وقد هدى من يشاء دون ذلك (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بدل من
من أناب ، أو خبر ابتداء مضمر والذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل ثان ، أو مبتداً (طوبى) مصدر من طاب
كثيرى ومعناها أصابت خيراً وطيباً ، وقيل هى شجرة فى الجنة ، وإعرابها مبتداً (كذلك أرسلناك)
الكاف تعلق بالمعنى الذى فى قوله يضل من يشاء ويهدى من يشاء (وهم يكفرون بالرحمن) قيل إنها نزلت
فى أبى جهل وقيل نزلت فى قريش حين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، فكتب الكاتب بسم الله
الرحمن الرحيم ، فقال قائلهم نحن لانعرف الرحمن ، وهذا ضعيف ، لأن الآية نزلت قبل ذلك ولأن تلك القصة
إنما أنكروا فيها التسمية فقط ، ومعنى الآية أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم (متاب) مفعل
من التوبة وهو اسم مصدر (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال) الآية : جواب لو مخوف تقديره لو أن قرأنا
على هذه الصفة من تسير الجبال ، وتطبيع الأرض وتكليم الموتى لم يؤمنوا به ، فالنكى كقوله لا يؤمنوا
ولو جانتهم كل آية ، وقيل تقديره : ولو أن قرأنا على هذه الصفة لكان هذا القرآن الذى هو غاية فى التذكير
ونهاية فى الإنذار كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت حاشا متصدعا ، وقيل هو متعلق بما قبله
والنكى ، وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرأنا سيرت به الجبال (أفلم يأس) معناه أفلم يعلم وهى لغة هوازن
(ولا يزال الذين كفروا) يعنى كفار قريش (قارعة) يعنى مصيبة فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم ،
أو غزوات المسلمين إليهم (أو تحل) الفاعل ضمير القارعة . والمعنى إما أن تصيبهم ، وإما أن تقرب منهم ،
وقيل التاء للخطاب ، والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم ، والاول أظهر (حتى يأتى وعداؤه)
موقع مكة ، وقيل قيام الساعة (ولقد استهزئ) الآية مقصدها تأنيس وتولية النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا حيث
وقع (فأملت) أى أهملتهم (أفن هو قاتم على كل نفس بما كسبت) هو الله تعالى أى فيض رقيب على عمل كل
أحد ، والخبر محذوف تقديره : أفن هو قاتم على كل نفس بما كسبت أى أن يعبد أم غيره ، ويدل على ذلك قوله
أم جعلوا لله شركاء (قل سمعوا) أى اذكروا أسماءهم (أم تقبضونه بما لا يعلم فى الأرض) المعنى أن الله لا يعلم

تَذْبُوهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَطَّهِّرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ هَلُمَّ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ه
مِثْلَ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ه وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَسَبَ بِفَرْحُونٍ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ه وَكَذَلِكَ أُنْزِلُهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَقَدْ أَتَيْتُ أَهْوَاهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ه وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ه يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ السُّعُودِ

لنفسه شركاء وإذا لم يعلمهم هو غلبوا بشيء ، فكيف تقفرون الكذب في عبادتهم ، وتعبدون الباطل ، وذلك كقولك : قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف فهو كالعدم (أم يظهر من القول) المعنى أنسموهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله إن هي إلا أسماء سميتموها أتم وآبؤكم (لهم عذاب في الحياة الدنيا) يعنى بالقتل والامر والخوف وغير ذلك (مثل الجنة) هنا وفي القتال صفتها وليس يضرب مثل لها والخبر عند سيويو محذوف مقدم تقديره فيما يتلى عليكم صفات الجنة ، وقال الفراء الخبر مؤخر وهو تجرى من تحتها الأنهار (أكلها دائم) يعنى ما يؤكل فيها من الثمرات وغيرها والأكل يضم الممزة لما كُول ، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها ، والأكل بفتح الممزة المصدر (والذين آتيناكم الكتاب بفرحون بما أُنْزِلَ إِلَيْكَ) يعنى من أسلم من اليهود والنصارى كمبداه بسلام والتجاشى وأصحابه وقيل يعنى المؤمنين والكتاب على هذا القرآن (ومن الأحزاب) قيل هم بنو أمية ، وبنو المغيرة من قریش والأظهر أنها في سائر كفار العرب ، وقيل هم اليهود والنصارى لأنهم لا ينكروا القصاص والأشياء التي في كتبهم ، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو حرقوه (قل إنما أمرت أن أعبد الله) وجه اتصاله بما قبله أنه جواب المستكرين ، ورد عليهم كأنه قال إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده ، فكيف تنكرون هذا (مأب) مفعول من الأوب وهو الرجوع ، أى مرجعى في الآخرة أو مرجعى بالتوبة (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر أو يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من النساء والذرية ، فالعنى لست ببدع في ذلك ، بل أنت كمن تقدم من الرسل (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) رد على الذين اقترحوا الآيات (لكل أجل كتاب) قال الفراء لكل كتاب أجل بالمعنى وهذا لا يلزم بل المعنى صحيح من غير عكس أى لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ (يمحوا الله ما يشاء ويثبت) قيل يعنى ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام ، ويثبت منها ما يشاء ، وقيل هي في آجال بنى آدم ، وذلك أن الله تعالى قدر في ليلة القدر وقيل في ليلة النصف من شعبان يكتب أجل من يموت في ذلك العام فيمحوه من ديوان الأحياء ويثبت من لا يموت في ذلك العام ، وقيل إن المحو والإثبات على العموم في جميع الأشياء ، وهذا تركه القاعدة المقررة أن القضاء لا يبدل ، وأن علم الله لا يتغير ، فقال بعضهم المحو والإثبات

الكتاب • وإن ما ريتك بعض الذي تقدم أو توفيقك فأما عليك البلغ وعلينا الحساب • أولم يروا
أننا أتينا الأرض نقصها من أطرافها وآلة يحكم لامعق لحكمه وهو سريع الحساب • وقد مكر الذين من
قبلهم فله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقب الدار • ويقول الذين كفروا
لست مرسلًا قل كفى بالله شيئا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب •

سورة إبراهيم عليه السلام

مكية إلا آتى ٢٨ و ٢٩ فدينان وآياتها ٥٢ نزلت بعد سورة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم • أَلَمْ كُنْ أَنْزِلْهُ إِلَيْكَ لَتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ • اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَبِئْسَ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ •
الَّذِينَ يَسْتَحْيُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصْلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ •
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ • وَهُوَ الْعَزِيزُ

في كل شيء إلا في السعادة والعقوبة الأخروية ، والأجال (وعنده أم الكتاب) أصل كل كتاب ، وهو اللوح
المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها (وإن ما ريتك) إن شرط دخلت عليها ما مؤكدة وجواها ،
فأما ، (أولم يروا أننا أتينا الأرض نقصها من أطرافها) الاتيان هنا بالقدرة والأمر ، والأرض أرض الكفار
وقصها هو بما يفتح الله على المسلمين منها المعنى أو لم يروا ذلك فيخافوا أن نمسكك منهم ، وقيل الأرض
جنس ، وقصها يموت الناس ، وهلاك الثمرات وخراب البلاد وشبه ذلك (لامعق لحكمه) المعقبة الذي يكر
على الشيء فيطهه (فله المكر جميعا) تسمية العقوبة باسم الذنب (وسيعلم الكافر) تهديد ، والمراد بالكافر الجنس
بدليل قراءة الكفار بالجمع ، وعقب الدار الدنيا والآخرة (قل كفى بالله شيئا بيني وبينكم) أمره أن يستشهد
الله على صحة نبوته وشهادة الله له هي عليه بذلك وإظهاره الآيات الدالة على ذلك (ومن عنده علم الكتاب)
معطوف على اسم الله على وجه الاستشهاد به ، وقيل المراد عبد الله بن سلام ومن أسلم من اليهود والنصارى
الذين يعلمون صفته صلى الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل ، وقيل المراد المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن
ودلالته على النبوة ، وقيل المراد الله تعالى فهو الذي عنده علم الكتاب ، ويصنف هنا ، لأنه عطف صفة على
موصوف ، وهو به قراءة ومن عنده بمن الجارة وخفض عنده

سورة إبراهيم عليه السلام

(لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والظلمات الكفر والجهل ، والنور الإيمان
والعلم (بإذن ربهم) أي بأمره وهو إرسله (إلى صراط العزيز الحميد) بدل من إلى النور (الله) قرئ بالرفع وهو مبتدأ
أو خبر مبتدأ مضموع ، وبالخفض بدل (يستحيون) أي يؤثرون (ويعينونها) قد ذكر (بلسان قومه) أي بلغتهم وكلامهم (أن

الْحَكِيمُ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ • وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ • وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لِلشَّادِدِ • وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَفِي حَيْدٍ • أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَامِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا نَكْفُرُ بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ • قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُبْفِرَنَّكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُوْخِرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

أخرج) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير أن (وذكرهم بأيام الله) أي عقوباته للأمم المتقدمة، وقيل لإعلامه على بني إسرائيل، والفظ بـعـم التعميم والنعم، وعبر عنها بالأيام لأنها كانت في أيام، وفي ذلك تعظيم لما كقولهم يوم كذا ويوم كذا (ويذبحون أبناءكم) ذكر هنا بالواو، ليدل على أن سوء العذاب غير الذبح أو عام من ذلك ثم جـر الذبح كقوله وملائكته وجبريل وميكال ذكر في البقرة بغير أو تفسير للعذاب (وإذ تأذن ربكم) من كلام موسى، وتأذن بمعنى أذن أي أعلم كقولك تودع وأوعد وإعلام الله مقتن بإفاد ما علمه (لئن شكرتم لأزيدنكم) هذا معمول تأذن لأنه يتضمن معنى قال، ويحتمل أن تكون الزيادة من خير الدنيا أو من الثواب في الآخرة أو منهما (ولئن كفرتم) يحتمل أن يريد كفر التعم أو الكفر بالإيمان والأول أرجح لمقابلته بالسكر (لا يعلمهم إلا الله) عبارة عن كثرتهم كقوله، وقرونا بين ذلك كثيرا (فردوا أيديهم في أقوامهم) فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن الضمائر لقوم الرسل، والمعنى أنهم ردوا أيديهم في أقوام أنفسهم غيظا من الرسل كقوله، عصوا عليكم الأنامل من النيط، أو استهزاء وخسفاً، كن غلبه الضحك فوضع يده على فمه، والثاني أن الضمائر لهم، والمعنى أنهم ردوا أيديهم في أقوام أنفسهم إشارة على الانبياء بالسكوت، والثالث أنهم ردوا أيديهم في أقوام الانبياء تسكيناً لهم، وردا لقولهم (أف الله شك) المعنى أف وجود الله شك أو أف إلهيته شك، وقيل في وحدانيته، والهمزة للترديد والتوبيخ لأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة، ولذلك وصفه بعد بقوله: فاطر السموات والأرض (من ذنوبكم) قيل إن من زائدة، ومنع ميبويه زيادتها في الواجب وهي عنده للتعويض، ومعناه أن يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدم من ذنبه قبل الإسلام، ويقي ما يذنب بعده في المشيئة فوقت المغفرة في البعض ولم يأت في القرآن غفران بعض الذنوب إلا للكافر كهذا الموضع، والذي في الأحقاف وسورة نوح وجاء للؤمنين بغير من كالذي في الصف (ويؤخركم إلى أجل مسمى) قال الزعزعي وأهل مذهبه من المعتزلة: معناه يؤخركم إن آمنتم إلى آجالكم، وإن لم تؤمنوا عاجلكم المهلاك قبل ذلك الوقت، وهذا بناء على قولهم بالأجلين، وأهل السنة يابون هذا، فإن الأجل عندهم واحد محتموم،

فَاتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ • قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ • وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ
هَدَيْتَنَا سَبِيلًا وَلِنُصَبِّرَ عَلَىٰ مَا آذَيْنَا وَمَا أَذَيْنَا عَلَىٰ الْغُلَامِينَ • وَلَنُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْأَرْضِ
لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لِنَعْمُدَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَهَاكِي الْعَالَمِينَ • وَلَنُصَبِّرَنَّكَ مِنَ الْأَرْضِ
مِنْ بَعْدِهِ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ • وَاسْتَغْفِرُوا وَخَافَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ • مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيَسْقَى
مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ • يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ • وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ
غَلِيظٌ • مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ

(قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَنَا) يستعمل أن يكون قولهم استبعادا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة أو يكون
إحالة لنبوة البشر ، والأول أظهر لطليم البرهان في قولهم فَاتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ولقول الرسل ، ولكن الله
يؤمن على من يشاء من عباده أي بالتفضيل بالنبوة (وما لنا أَلَّا نتوكل على الله) والمعنى أى شيء يمننا من
التوكل على الله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) إن قيل لم كرر الأمر ؟ فالجواب عندي أن قوله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون راجع إلى ما تقدم من طلب الكفار بسُلْطَانٍ مُبِينٍ أى حجة ظاهرة ، فوكل الرسل في ورودها
على الله ، وأما قوله فليتوكل المتوكلون : فهو راجع إلى قولهم ولنصبرن على ما آذينا أى نتوكل على الله
في دفع أذاكم وقال الزمخشري إن هذا الثاني في معنى الثبوت ، على التوكل (أو لنمؤدن في ملتنا)
أو هنا بمعنى إلا أن ، أو على أصلها ، لوقوع أحد الشيئين ، والعمود هنا بمعنى الصيرورة ، وهو كثير في
كلام العرب ولا يقتضى أن الرسل ، كانوا في ملّة الكفار قبل ذلك (خاف مقامى) فيه ثلاثة
أوجه هنا وفي لمن خاف مقام ربه في الرحمن فالأول أن معناه مقام الحساب في القيامة والثاني : أن معناه
قيام الله على عباده بأعمالهم والثالث أن معناه خافى وخاف ربه ، على إقحام المقام أو على التعبير به عن الذات
(واستغفروا) الضمير للرسل أى استغفروا بالله وأصله طلب الفتح وهو الحكم (جبار) أى قاهر أو متكبر
(عنيد) عظام للانقياد (من ورائه) في الموضعين والوراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان ، وقيل معناه
هنا أمامه وهو بعيد (ويسقى) معطوف على مخوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى ، وإنما ذكر هذا السقي
تجريدا بعد ذكر جهنم ، لأنه من أشدّ عذابها (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) أى يتكلف جرعه وتصب عليه
إساخته ونحو كاد يقتضى وقوع الإساعة بعد جهد ، ومعنى يسيغه يبلّغه (ويأتيه الموت من كل مكان) أى يجد
الماء مثل ألم الموت وكرهته من جميع الجهات (وما هو بميت) أى لا يرايح بالموت (مثل الذين كفروا) مذهب
سيبويه والقرءاء فيه كقولهما في مثل الجملة التي في الرد والقتال والخبر عند سيبويه مخوف تقديره فيما يلقى عليكم
والخبر عند القرءاء الجملة التي بعده ، والمثل هنا بمعنى الشيء (أعمالهم كرماد) تشبيها بالرماد في ذهابها وتلاشيها
(في يوم عاصف) أى شديد الريح والعصف في الحقيقة من صفة الريح (لا يقدرّون مما كسبوا على شيء)

شَيْءٌ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ بَشَا يُدْخِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ • وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ • وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا قَهْلَ أَمْ فُتِنُوكُمْ عَنْ مَذَاقِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أُمْرُؤًا أَمْ بِهِرُنَا مَالَنَا مِنْ بَحِيصٍ • وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَ أَفْنَى الْأَمْرَ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ بِالْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كُنَّا لَكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوَّأْتُمْ أَنفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلِ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا يَأْذَنُ بِهِمُ رَبُّهُمْ يُحِبُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ • أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلَّةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تَوَقَّى أَكْثُلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ • وَمِثْلُ كَلَّةٍ خَيْبَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْبَةٍ اجْتَنَفْتُ مِنَ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ • يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ • أَلَمْ

أى لا يرون له منفعة (وبرزوا له) أى ظهوروا ومعنى الظهور هنا خروجهم من القبور ، وقيل معناه صاروا بالبراز ، وهى الأرض المسماة (تبا) جمع تاييم أو مصدر وصف بمبالغة ، أو على حذف مضاف (من عذاب الله من شيء) من الأولى للبيان ، والثانية للتبويض ، ويجوز أن يكونا للتبويض معاقبه العنصرية ، والظاهر أن الأولى للبيان ، والثانية زائدة والمعنى هل أتم دافعون أو متحملون عنا شيئا من عذاب الله (بحيص) أى مهرب حيث وقع ، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسم مكان (وقال الشيطان) يعنى إبليس الأقدم ، روى أنه يقوم خطيبا بهذا الكلام يوم القيامة أو فى النار بقوله لأهلها (لما قضى الأمر) إن كان كلام إبليس فى القيامة بمعنى قضى الأمر تعين قوم النار وقوم الجنة وإن كان فى النار فعنى قضى الأمر حصل أهل النار فى النار وأهل الجنة فى الجنة (إلا أن دعوتكم) استفاءه منقطع (ما أنا بمصْرِخِكُمْ وما أنت بمصْرِخِي) أى ما أنا بمغيثِكُمْ وما أنت فغِيثِي لِي (بما أشركتُمون) ما مصدرية : أى بإشراككم لى مع الله فى الطاعة (من قبل) يتعلق بأشركتُمون ويحتمل أن يتعلق بكفرتم ، والأول أظهر وأرجح (إن الظالمين) استئناف من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون حكاية عن إبليس (يأذن ربهم) يتعلق بأدخل أو بخالدين ، والأول أحسن (كلية طيبة) ابن عباس وغيره هى لاله إلا الله وقيل كل حسنة (كشجرة طيبة) هى النخلة فى قول الجمهور ، واختار ابن عطية أنها شجرة غير معينة إلا أنها كل ما تصف تلك الصفات (وفرعها فى السماء) أى فى الهواء ، وذلك عبارة عن طولها (توقى أكلها كل حين) الحين فى اللغة وقت غير محدود وقد تقتصر به قرينة تعدد ، وقيل فى كل حين كل سنة لأن النخلة تظم فى كل سنة . وقيل غير ذلك (ومثل كلية خيبة) هى كلمة الكفر ، وقيل كل كلمة فيجة (كشجرة خيبة) هى الخنطة عند الجمهور . واختار ابن عطية أنها غير معينة (اجتفت) أى اقلعت وحقيقة

تَرَىٰ إِلَىٰ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ • جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا وَيُنْسُونَ الْقَرَارَ • وَجَعَلُوا اللَّهَ
أُنْدَادًا لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ مَتَّعْتُوْا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ • قُلْ لِمَا بَدَأَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَمِيعُ فِيهِ وَلَا خِطْلٌ • اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ
لَكُمْ الْأَنْهَارَ • وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ • وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ
تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ • وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي
وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ • رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مَنْ يَتَّبِعُنِي فَاتَّبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنَ الْغَافِقِينَ • رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيِّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ
النَّاسِ تَتَوَيَّ إِلَى اللَّهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ • رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى

الاجتثاث أخذ الجنة ، وهذا في مقابلة قوله أصلها ثابت (بالقول الثابت) هو لإله إلا الله ، والإقرار بالنبوة
(في الحياة الدنيا) أى إذا فتوا لم يزلوا (وفي الآخرة) هو عند السؤال في القبر عند الجمهور (بدلوا النعمة الله
كفرا) نعمة الله هنا هو محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ودينه : أنتم الله به على قریش فكفروا النعمة
ولم يقبلوها ، والتقدير بدلوا شكر نعمة الله كفرا (وأحلوا قومهم) أى من أطاعهم واتبعهم (دار البوار)
فسرها بقوله جهنم (يقيموا الصلاة وينفقوا) هى جواب شرط فقد يتضمنه قوله قل تقدره إن تقل لهم
أقيموا يقيموا ، ومعمول القول على هذا عنوف ، وقيل جزم بإضمار لام الأمر تقديره ليقيموا (ولا خطل)
من الخلة وهى المودة (إن الإنسان) يريد الجنس (البلد آمنا) ذكر في البقرة (واجنبني) أى اجنبني ، والمناضى
منه جنب ، يقال جنب وجنب بالشديد ، واجنب بمعنى واحد (وبني) يعنى بنى من صلبى وفيهم أجيبت دعوة ،
وأما أعقاب بنيه فبدلوا الأصنام (ومن عصاني) يعنى من عصاه بغير الكفر وبالكفر ثم تاب منه ،
فهو الذى يصح أن يذبح له بالمغفرة ولكنته ذكر اللفظ بالعموم لما كان عليه السلام من الرحمة للخلق وحسن
الخلق (أسكنت من ذريتي) يعنى ابنه إسماعيل عليه السلام لما ولدته أمه هاجر فارت منها سارة زوجة إبراهيم
لحمه مع أمه من الشام إلى مكة (بواد) يعنى مكة ، والوادي ما بين جبلين وإن لم يكن فيه ماء (عند بيتك المحرم)
يعنى الكعبة فإما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم على ما جاء في بعض الروايات ، وإما أن يكون إبراهيم قد علم
أنه سيبني هناك يتنا (ليقيموا الصلاة) اللام يحتمل أن تكون لام الأمر بمعنى الدعاء أو لام كي وتعلق بأسكنت
وجمع الضمير يدل على أنه قد كان علم أن ابنه يعقوب هناك نسلا (تتوي إليهم) أى تشير بجد وإسراع ولهذا
الدعوة حجب الله حج البيت إلى الناس على أنه قال من الناس بالتبويض ، قال بعضهم : لو قال أقنعة الناس
لحجته فارس والروم (وارزقهم من الثمرات) أى ارزقهم في ذلك الوادي مع أنه غير ذي زرع وأجاب الله دعوته

اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ • اتَّخَذَ اللَّهُ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ • رَبَّنَا اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ • رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ • وَلَا تَحْسَبِ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ يَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ • مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدَّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَقْنَضَهُمْ هَوَاهُ • وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَى آجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَفِيعِ الرَّسُلِ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ • وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيْنَا لَكُمْ كَيْفَ قُلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ • وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ • فَلَا تَحْسَبِ أَنَّ اللَّهَ غَفْلٌ وَعْدِهِ رَسُولُهُ

لجمل ، كما يجي إليها ثمرات كل شيء (وما يخفى على الله) الآية : يحتمل أن تكون من كلام الله تعالى ، أو حكاية عن إبراهيم (وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق) روى أنه ولد له إسماعيل وهو ابن مائة وسبع عشرة عاما ، وروى أقل من هذا ، وإسماعيل أسن من إسحق (ربنا وتقبل دعاء) إن أراد بالدعاء الطلب والرغبة فمضى القبول : الاستجابة ، وإن أراد بالدعاء العبادة ، فالقول على حقيقته (ربنا اغفر لي ولوالدي) قيل إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما ، والصحيح أنه دعا لهما قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله حسبا ورد في برائة (ولا تحسب الله غافلا) هذا وعيد الظالمين وهم الكفار على الأظهر ، فإن قيل لمن هذا الخطاب هنا وفي قوله ولا تحسب الله غافل وعده رسله ، فالجواب أنه يحتمل أن يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولئك ، فإن كان لنبيه فلا إشكال وإن كان له فهو مشكل لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحسب أن الله غافل ، وتأويل ذلك بوجهين : أحدهما أن المراد الثبوت على علمه بأن الله غير غافل وغير غافل وعده ، والآخر أن المراد إعلامه بعقوبة الظالمين فقصد الكلام الوعيد لهم (تشخص فيه الأبصار) أي تعد النظر من الخوف (مهطعين) قيل الإطعاع الإسراع ، وقيل شدة النظر من غير أن يطرف (مقني رؤوسهم) قيل الإقناع هو رفع الرأس ، وقيل خفضه من الذلة (لا يرتد إليهم طرفهم) أي لا يطفرون بغيرهم من الخلد والجوع (وأقنضتهم هواه) أي منحرة لا تسمى شيئا من شدة الجوع فشبها بالهواء في تعريفه من الأشياء ، ويحتمل أن يريد مضطربة في صدورهم (يوم يأتيهم العذاب) يعني يوم القيامة ، وانتصاب يوم على أنه مفعول ثان لأنذر ، ولا يجوز أن يكون ظرفا (أولم تكونوا) تقديره يقال لهم أولم تكونوا الآية (ما لكم من زوال) هو المقسم عليه ، ومعنى من زوال أي من الأرض بعد الموت أي حلقت أنكم لا تبعثون (وعند الله مكرم) أي جواه مكرم (وإن كان مكرم لتزول منه الجبال) إن هنا نافية ، واللام لام الجحود ، والجبال يراد بها الشرائع والثبوت شهت بالجبال في ثبوتها ، والمعنى تحقير مكرم لأنه لا تزول منه تلك الجبال الثابتة الراسخة ؛ وقرأ الكسائي لتزول يفتح اللام ورفع تزول ، وإن على هذه القراءة مخففة من الثقل ، واللام للتأكيد ، والمعنى تعظيم مكرم أي أن مكرم من شدته تزول منه الجبال ، ولكن

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ • يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَرَبُّوهُ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ • وَتَرَى
الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ • سَرَابِلُهُمْ مِّنْ ظُرَانٍ وَيَنْفُسُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ • لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ
مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ • هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرَ
أُولُو الْأَلْبَابِ •

سورة الحجر

مكية إلا آية ٨٧ فنية وآياتها ٩٩ نزلت بعد سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • أَلَمْ تَكُنْ أَهْلَ الْكِتَابِ وَقُرَّانٍ مِّبِينٍ • رَبَّمَا يُودِى الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا
مُسْلِمِينَ • ذَرْنُمْ يَا كُفْرًا وَيَتَمَتَّعُوا بِطِلْهِمُ الْأَمَلِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ • وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَمَّْا كُنْ

الله عصم ووقى منه (فلا تحسب الله عطف وعده رسله) يعني وعدنا نصر على الكفار ، فإن قيل ملا قال عطف
رسله وعده ، ولم قدم المفعول الثاني على الأول ؟ فالجواب أنه قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا على
الإطلاق ، ثم قال رسله ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس ، فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه
قد قدم الوعد أولا بقصد الإطلاق ، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص (يوم تبدل الأرض غير الأرض)
العام في الظرف ذوا انتقام أو محذوف ، وتبدل الأرض بأن تكون يوم القيامة بيضاء صفراء كقرصة النقي
هكذا ورد في الحديث الصحيح (والسموات) تبدلها بانشقاقها وانتشار كواكبها ، وخسوف شمسها وقرها
وقيل تبدل أرضا من فضة ، وسما من ذهب وهذا ضعيف (وترى المجرمين) يعني الكفار (مقرنين في الأصفاة)
أى مربوطين في الأغلال (سرايلهم) أى قصصهم والسر بال القصص (من ظران) متعلق بمحذوف أى جمل
الله فيه ذلك وهو الذى تهبأه الإبل والنار فيه اشتعال شديد ، فذلك جعل الله قص أهل النار منه (ليجزى)
يتعلق بمحذوف أى فعل الله ذلك ليجزى (هذا بلاغ) إشارة إلى القرآن أو إلى ما تضمنته هذه السورة
(ولينذروا) معطوف على محذوف تقديره لينصحو به ولينذروا (ولينذروا) أى هذا الذ كر لاولى
المعقول وهم أهل العلم رضى الله عنهم

سورة الحجر

(تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) يحتمل أن يريد بالكتاب الكتب المتقدمة ، وعطف القرآن عليها ،
والظاهر أنه القرآن وعطفه عطف الصفات (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لفتان ، وما حرف كافة
لرب ، ومعنى رب التقليل ، وقد تكون للتكثير ، وقيل إن هذه منه ، وقيل إنما عبر عن التكثير بأداة
التقليل على وجه التهم كقوله : قد زنى قلب وجهك في السماء ، وقد يعلم ما أتهم عليه ، وقيل إن معنى التقليل
في هذه أنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب أن يسارعوا إليه ، فكيف وهم يودونه مرارا
كثيرة ولا تدخل إلا على الماضى (يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قيل إن ذلك عند الموت . وقيل

مَعْلُومٌ • مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ • وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ • لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ • إِنَّا نَحْنُ نُزِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْخِ الْأَوَّلِينَ • وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ • كَذَلِكَ نَسْلُكُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ • لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ • وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ • لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ مُسْحُورُونَ •

في القيامة ، وقيل إذا خرج عصاة المسلمين من النار ، وهذا هو الأرجح لحديث روى في ذلك (ترم) ومابنده تهديد (كتاب معلوم) أي وقت محدود (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) الضمير في قالوا لكفار قريش ، وقولهم نزل عليه الذكر بمنون على وجه الاستغفاف ، أي بزعمك ودعواك (لو ما تأتينا بالملك) لو ما عرض وتحضض ، والمعنى أهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالملائكة معه (ما نزل الملائكة إلا بالحق) رد عليهم فيما اقترحوا ، والمعنى أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحي والمصالح ، التي يريدها الله ، لا باقتراح مقترح واختيار كافر ، وقيل الحق هنا العذاب (وما كانوا إذا منظرين) إذا حرف جواب وجزاء ، والمعنى لو أنزل الملائكة لم يؤخر عذاب هؤلاء الكفار ، الذين اقترحوا نزولهم ، لأن من عادة الله أن من اقترح آية فرأى ما ولم يؤمن أنه يحسن له العذاب ، وقد علم الله ، أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم ، ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك (إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون) الذكر هنا هو القرآن وفي قوله إننا نحن نزلنا الذكر ردًا لإنتكارهم واستغفابهم في قولهم : يا أيها الذي نزل عليه الذكر ولذلك أكد كده بنحو واضح عليه بحفظه ، ومعنى حفظه حراسته عن التبديل والتغيير كما جرى في غيره من الكتب ، قول الله حفظ القرآن فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا نقصان منه ولا تبدل به بخلاف غيره من الكتب ، فإن حفظها موكل إلى أهلها لقوله بما استحفظوا من كتاب الله (في شيخ الأولين) الشيع جمع شيعه وهي الطائفة التي تشيع لمذهب آر رجل (كذلك نسلك في قلوب المجرمين) معنى نسلك دخله ، والضمير في نسلك يحصل أن يكون للاستهزاء الذي دل عليه قوله به يستهزئون أو يكون للقرآن أي نسلك في قلوبهم فيستهزؤا به ، ويكون قوله كذلك تشبیه للاستهزاء المتقدم ، ولا يؤمنون به تضيقا لوجه إدخاله في قلوبهم ، والضمير في به للقرآن (وقد خلت سنة الأولين) أي قدمت طريقهم على هذه الحلة من الكفر والاستهزاء حتى هلكوا بذلك ، ففي الكلام تهديد لقريش (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يمرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا) الضمائر لكفار قريش المداين المحنوم عليهم بالكفر وقيل الضمير في ظلوا وفي يمرجون للملائكة وفي قالوا للكفار ، ومعنى يمرجون يصعدون ، والمعنى أن هؤلاء الكفار لوراء أعظم آية لقالوا إنما تخيل أو سحر ، وقرئ سكرت بالتشديد والتخفيف ، ويحتمل أن يكون مشتقا من السكر ، فيكون معناه أجبرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته أو من السكر وهو السد فيكون معناه منعت أبصارنا

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ، وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مِينٌ . وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ . وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا كُنُوزَهُ وَمَا أَتَمُّ لَهُ بَحْرَيْنِ . وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَبَيْنَ أَوْرَثُونٍ . وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَعْرَجِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِمَحْشَرِهِمْ لَأَنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . وَالْجَبَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السُّمُومِ . وَلَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ

من النظر (بروجا) يعني المنازل الاتي عشر (إلا من اسرق السمع) استثناء من حفظ السموات فهو في موضع نصب (من كل شيء موزون) أي مقدر بقدر ، فالوزن على هذا استعارة وقيل المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والأطعمة ، والأول أعم وأحسن (ومن لستم له برازقين) يعني البهائم والحیوانات ومن معطوف على معاش وقيل على الضمير في لكم ، وهذا ضميف في النحو لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض وهو قري في المعنى أي جعلا في الأرض معاش لكم وللحيوانات (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) قيل يعني المطر ، واللفظ أعم من ذلك ، والخزائن المواضع الخازنة ، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت ، وقيل ذلك تمثيل ، والمعنى وإن من شيء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه (بقدر معلوم) أي بمقدار محدود (وأرسلنا الرياح لواح) يقال لفتح التائه والشجرة إذا حمت فهي لافحة وألحمت الريح الشجر فهي ملقحة ولواحق جمع لافحة ، لأنها تحمل الماء أجمع ملحقة على حلف الميم الزائدة (ولقد علمنا المستقدمين) الآية : يعني الأولين والآخرين من الناس ، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذي ذكر بعد ذلك في قوله وإن ربك هو يحشرهم لأنه إذا أحاط بهم علما لم تصب عليه إعادتهم وحشرهم ، وقيل يعني من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر ، وقيل من تقدم إلى الإسلام ومن تأخر عنه (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال) الإنسان هنا هو آدم عليه السلام ، والصلصال الطين اليابس الذي يحصل أي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو غلار (من حمأ مسنون) الحمأ الطين الأسود ، والمسنون المتغير المتن ، وقيل إنه من أسن الماء إذا تغير ، والتصريف بهذا القول ، وموضع من حمأ صفة لصلصال : أي صلصال كائن من حمأ (والجبان خلقناه) يراد به جنس الشياطين ، وقيل لإبليس الأول ، وهذا أرجح لقوله من قبل وتنازلت الجن من إبليس وهو للجن كآدم فاناس (السوموم) شدة الحر (خالق بشر) يعني آدم عليه السلام (ونفخت فيه من روحي) يعني الروح التي في الجسد ، وأضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافة ملك إلى مالك أي من الروح

أَلَا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَتَّبِعْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمِئٍ مَسْنُونٍ . قَالَ فَخَرِّجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنِّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ . قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ . قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ . قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ . إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ آتَيْتَكَ مِنَ الْقَارُونَ . وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ . لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . آدِخُولُهَا بِسَلَامٍ . وَأَنْزَعْنَاهُمْ مِنْهُم مِّنْ غُلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّقْبِلِينَ . لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَسَبٌ وَمِمَّا يُرِيدُونَ مِنْهَا مُبْتَرَجِينَ . نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ . وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ . قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ . قَالَ أَبَشِّرْهُنِّي عَلَى أَنَّ مَسْنَى الْكَبِيرِ فِيمَ بُشِّرُونَ . قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَاطِنِينَ . قَالَ وَمَنْ

الذي هو لي وخلق من خلقي ، وتقدم الكلام على سجود الملائكة في البقرة (فخرج منها) أي من الجنة أو من السماء (قال رب) يقتضى إقراره بالربوبية وأن كفره كان بوجه غير الجحود ، وهو اعتراضه على الله في أمره بالسجود لآدم (إلى يوم الوقت المعلوم) اليوم الذي طلب إبليس أن ينظر إليه هو يوم القيامة ، وقيل الوقت المعلوم الذي أنظر إليه هو يوم النفخ في الصور النفخة الأولى حين يموت من في السموات ومن في الأرض وكان سؤال إبليس الانتظار إلى يوم القيامة جهلا منه ومغالطة إذ سأل مالا سيل إليه لأنه لو أعطى مالا لم يمت أبداً لأنه لا يموت أحد بعد البحث فلما سأل مالا سيل إليه : أعرض الله عنه ، وأعطاه الانتظار إلى النفخة الأولى (فبما أغويته) البلاء السبية أي لا غويزهم بسبب إغوائه لي ، وقيل للنفس كأنه قال بقدرتك على إغوائى لا غويزهم ، والضمير لذرية آدم (قال هذا صراط على مستقيم) القائل لهذا هو الله تعالى ، والإشارة بهذا إلى نجاة المخلصين من إبليس وأنه لا يقدر عليهم أو إلى تقسيم الناس إلى غوي ومخلص (إلا عبادك) يحتمل أن يريد بالعباد جميع الناس ، فيكون قوله إلا من آتيتك استثناء متصل أو يريد بالعباد المخلصين فيكون الاستثناء منقطعاً (وإن جهنم لم وعدهم) الضمير للقارون (لها سبعة أبواب) روى أنها سبعة أطباق في كل طبقة باب ، فأعلاها للذين من المسلمين والثاني لليهود ، والثالث للنصارى ، والرابع للصابئين والخامس للمجوس ، والسادس للمشركين ، والسابع للمنافقين (ادخلوها) تقديره يقال لهم ادخلوها والسلام يحتمل أن يكون التحية أو السلامة (إخواناً) بنى أخوة المودة والإيمان (متقابلين) أي يقابل بعضهم بعضاً على الأسرة (نصب) أي تعب (نبي عبادي) الآية : أعلمهم والآية آية ترجية وتخوف (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) ضيف هنا واقع على جماعة وهم الملائكة الذين جاؤا إلى إبراهيم بالبشرى (وجلون) أي خائفون ، والوجل الخوف (لا توجل) أي لا تخف (إنا نبشرك بغلام عليم) هو إسحاق (قال أبشروني على أن مسنى الكبر) المعنى أبشروني بالولد مع أتى قد كبر سن ،

يَقْطَعُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ . قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ . قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ .
إِلَّا آلَ لُوطَ إِنَّا لَنَجُوهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا أَمْرًا هَدَرْنَا لَهَا مِنَ الْغَيْبِ . فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطَ الْمُرْسَلُونَ . قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُّونَ . قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَاءٍ مُّكَرَّرٍ . وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . فَأَسْرِ
بِمَلَكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ . وَهَئِنَّا إِلَىٰ ذَلِكَ
الْأَمْرِ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ . وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ . قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضُنُيٌّ فَلَا
تُقَضُّونَ . وَأَتَوْا اللَّهَ وَلَا تُغْنُونَ . قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ . قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ قُلْعِينَ .
لَعَمْرُكَ إِنَّهُنَّ لِي سَكْرَتِهِنَّ يُعْمَهُونَ . فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ . فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَامْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حَبَارَةً

وكان حينئذ ابن مائة سنة ، وقيل أكثر (فهم تبشرون) قال ذلك على وجه التعجب من ولادته في كبره أو على وجه الاستبعاد ، ولذلك قرئ تبشرون ، يفقدها النون وكسرها على إدغام نون الجمع في نون الوقاية وبالكسر والتخفيف على حذف إحدى التوئين وبالفتح وهي نون الجمع (قالوا بشرناك بالحق) أي باليقين الثابت فلا تسبقه ولا تترك فيه (ومن يقطع من رحمة ربه إلا الضالون) دليل على تحريم القنوط ، وقرئ يقطع بفتح النون وكسرها وهما لغتان (قالوا خطبكم) أي ما شأنكم ، وبأي شيء جئتم (إلى قوم مجرمين) ينون قوم لوط (إلا آل لوط) يحتمل أن يكون استثناء من قوم لوط فيكون منقطعاً أو وصف القوم بالأجرام ، ولم يكن آل لوط مجرمين ويحتمل أن يكون استثناء من الضمير في المجرمين ، فيكون متصلاً كأنه قال إلى قوم قد أجزأوا كلهم إلا آل لوط فلم يجرموا (إلا أمرته) استثناء من آل لوط ، فهو استثناء من استثناء وقال الزمخشري إنما هو استثناء من الضمير المجرور في قوله لنجوههم ، وذلك هو الذي يقتضيه المعنى (قدرنا إنما لمن الغابرين) الغابر يقال بمعنى الباقي ، وبمعنى الذهاب وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ، وهو قه وحده لما علم من القرب والاختصاص بالله ، لاسيما في هذه القضية ، كما تقول عاصمة الملك للملك دبرنا كذا ويحتمل أن يكون حكاية عن الله (قوم منكرون) أي لا نعرفهم (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي جئناك بالعذاب لقومك ومعنى يمترون يشكون فيه (واتبع أدبارهم) أي كن خلفهم أي في ساقهم حتى لا يبق منهم أحد وليكونوا قد أمه ، فلا يشغل قلبه بهم لو كانوا رماه خوفاً عليهم (ولا يلتفت منكم أحد) تقدم في هود (وامضوا حيث تؤمرون) قيل هي مصر وقيل حيث هنا للزمان إذ لم يذكر مكان (وهئينا إلى ذلك الأمر) هو من القضاء والقدر ، وإنما تعدى إلى لأنه ضمن معنى أوحينا وقيل معناه أعلنه بذلك الأمر (أن دابر هؤلاء مقطوع) هذا تفسير لذلك الأمر ، ودابر القوم أصلهم ، والإشارة إلى قوم لوط (مصبحين) في الموضعين أي إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح (وجاء أهل المدينة يستبشرون) المدينة هي سدوم واستبشار أهلها بالضياف طمعا أن يتالوا منهم الفاحشة (قالوا أولم تنهك عن العالمين) كانوا قد نهوه أن يضيف أحداً (قال هؤلاء بناتي) دعاء إلى تزويج بناته لبق بذلك أضيافه (لعمرك) قسم والعمر الحياه ، ففي ذلك كرامة لئني صلى الله عليه وسلم ، لأن الله أقسم بحياته ، وأقيل هو من قول الملائكة لوط وار تفاع بالابتداء وخبره محذوف تقديره لعمرك قسمي واللام التوطئة (إنهم لي

مَنْ جَبَلٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ . وَلَئِنَّا لَنَسِيلٌ مُّقِيمٌ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ . وَإِنْ كَانَ
أَصْحَابُ الْآيَةِ لَنَالِيْن . فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَلَئِنَّا لِيْلِمَامٌ مُّبِينٌ . وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ . وَآتَيْنَهُمْ
ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ . وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ . فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُضْجِينَ . فَكَانَ
أَغْوَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ
فَاصْطَفِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ . وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ التَّنْزِيلِ وَالْقُرْآنَ الْكَبِيرَ .
لَا مَدَدَ عَيْنِكَ لِي مَا مَتَعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِّلْمُؤْمِنِينَ . وَقُلْ إِنِّي أَنَا

سكرتهم يمهون) الضمير اقوم لوط . وسكرتهم ضلالهم وبهلهه ، ويمهون أى يتعبدون (فاخذتهم
الصيحة) أى صيحة جبريل وهى أخذهم لهم (مشرقين) أى داخلين فى الشرق وهو . وقت بزوغ الشمس ،
وقد تقدم تفسير ما بعد هذا من قصتهم فى هود (المتوسمين) أى للمتفرسين . ومنه فراسة المؤمن ، وقيل
للمتبرين ، وحقيقة التوسم النظر الى السيمة (وإلى السيليا) مقيم) أى بطريق ثابت يراه الناس والضمير المدينة
المهلكة (وإن كان أصحاب الآيكة لظالمين) أصحاب الآيكة قوم شعيب والآيكة الذهب من الشجر لما كفروا
أحرمها الله عليهم نارا (ولئنا ليإمام مبين) الضمير فى إلهما قيل إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب ، فالإمام
على هذا الطريق : أى إلهما بطريق واضح يراه الناس . وقيل الضمير لوط وشعيب أى إلهما على طريق
من الشرع واضح والأول أظهر (أصحاب الحجر) هم عمود قوم صالح ، والحجر واديهما وهو بين المدينة
والشام (المرسلين) ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحدا منهم وفى ذلك تأويلان أحدهما أن من كذب
واحدا من الأنبياء لومه تكذيب الجميع لأنهم جاءوا بأمر متفق من التوحيد ، والثانى أنه أراد المجلس
كقولك فلانا يركب الخيل ، وإن لم يركب إلا فرسا واحدا (وآتيناهم آياتنا) يعنى الناقة ، وما كان فيها من
العجائب (وكانوا ينحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا) انحت النقر بالمعاويل وشبهها فى الحجر والعود وشبه ذلك
وكانوا ينقرون بيوتهم فى الجبال (آئينين) يعنى آئين من تهدم بيوتهم لوقاتها ، وقيل آئينين من
عذاب الله (إلا بالحق) يعنى أنها لم تخلق عبثا (فاصفح الصفع الجليل) قيل إن الصفع الجليل هو الذى
ليس معه عقاب ولا عتاب ، وفى الآية مهادة للكفار منسوحة بالسيف (ولقد آتيناك سبعا من التانى)
يعنى أم القرآن لأنها سبع آيات ، وقيل يعنى السور السبع الطوال ، وهى البقرة وآل عمران ، والنساء ،
والسجدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال مع براءة ، ولأول أدرج لوروده فى الحديث ،
والتانى مشتق من التثنية وهى التكرير ، لأن الفاتحة تكرر قراءتها فى الصلاة ، ولأن غيرها من السور
تكرر فيها القصص وغيرها ، وقيل هى شقة من التثناء . لأن فيها ثناء على الله ، ومن المحتمل أن تكون
لتبجيس أو لبيان الجنس ، وحطفت القرآن على السبع المتأق لانه يعنى مأساوها من القرآن فهو عموم
بعد الخصوص (لا تَحْزَنْ عَيْنُكَ) أى لا تنظر إلى ما متعناهم به فى الدنيا ، كأنه يقول قد آتيناك السبع المتأق
والقرآن العظيم ، فلا تنظر إلى الدنيا ، فإن الذى أعظم منك أعظم منها (أرجا منهم) يعنى أصنافا من الكفار

النَّذِيرُ الْمُبِينُ . كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ هَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ هَ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْعَمَهُمْ أَجْمِينَ هَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ هَ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ هَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَزِينَ هَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ هَ وَلَقَدْ فَعَلْنَا أَنْتَ بِصِيقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ هَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ هَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ هَ

سورة النحل

مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة قدنية وآياتها ١٢٨ نزلت بعد الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَقَمَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ هَ يُنَزِّلُ الْمَنَّانَةَ

(ولا تحزن عليهم) أى لا تأسف لكفرهم (واخفض جناحك) أى تواضع ولن (المؤمنين) والجناح هنا استمارة (كما أنزلنا على المقتسمين) الكاف من كما متعلقة بقوله أنا النذير أى أنذر قريشا عذابا مثل العذاب الذى أنزل على المقتسمين ، وقيل متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك كتابا كما أنزلنا على المقتسمين ، واختلف فى المقتسمين فقيل هم أهل الكتتاب الذين آتوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه ، فالتسموا إلى قسمين ، وقيل هم قريش اقتصوا أبواب مكة فى الموسم ، فوقف كل واحد منهم على باب ، يقول أحدهم هو ساجر ، ويقول الآخر هو ساجر ، وغير ذلك (الذين جعلوا القرآن عضين) أى أجزاء ، وقالوا فيه أقوالا مختلفة وواحد عضين عضة وقيل هو من العضة وهو السحر ، والعاضه الساجر ، والمعنى على هذا أنه سحر ، والكلمة محذوفة اللام ولاها على القول الأول واو على الثانى هاء (فوركك لستأنهم أجمعين) إن قيل : كيف يجمع بين هذا وبين قوله فيؤخذ لا يستل عن ذنبه إنا ولا جان ؟ فالجواب أن السؤال المتيقن هو على وجه الحساب والتوبيخ ، وأن السؤال المتقن هو على وجه الاستفهام المحض لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها (فاصدع بما تؤمر) أى صرح به وأخذ (إننا كفيناك المستزين) يعنى قوما من أهل مكة أهلهم الله بأنواع الهلاك من غير سمي النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا خمسة : الوليد بن المغيرة والعاصم بن وائل ، والأسود بن عبدالمطلب ، والأسود بن عبدغوث وعدى بن قيس ، وقصة هلاكهم مذكورة فى السير ، وقيل الذين قتلوا يندر كأبى جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعتبة بن معيط أبى وغيرهم ، والأول أرجح ، لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة (ولقد فعلنا أنك يضيق صدرك بما يقولون) تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتأنييس (حتى يأتيتك اليقين) أى الموت .

سورة النحل

(أتى أمر الله) قيل يعنى القيامة ، وقيل النعر على الكفار ، وقيل عذاب الكفار فى الدنيا ، ووضع الماضى موضع المستقبل لتحقق وقوع الأمر وتوحيده ، وروى أنها لما نزلت وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فلما قال

بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ مَعْلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ • خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْفُلْقِ تَعْلَى سَمَاءٍ بِشَرِّ كُونَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُفْثَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ • وَالْأَنْثَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفْعٌ
وَمَنْعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ • وَلَكُمْ فِيهَا جَلَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ • وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا
بَلَّغِيهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُفُوفٌ رَحِيمٌ • وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ • وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَاذِبٌ وَلَوْ شَاءَ لَمَدَدْنَكُمْ أَنْهَمِينَ • هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ نَخَّرُ فِيهِ تَسْمِيُونَ • يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
الشَّجَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ • وَحَفَرَكُمْ لِكُلِّ لَيْلٍ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ
بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُعْقِلُونَ • وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلَفًا إِلَّا أَنَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

فلا تستعملوه سكن (ينزل الملائكة بالروح) أى بالنبوة وقيل بالروح (خلق الإنسان من نفثة) أى من نفثة
الحق، والمراد جنس الإنسان (فإذا هو خصيم مبين) فيه وجهان أحدهما أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه
والثاني يخاصم في ربه ودينه، وهذا في الكفار والاول أم (لكم فيها دفء) أى ما يتدفأ به، يعنى
ما يتخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب، ويحتمل أن يكون قوله لكم متعلقاً بما قبله أو بما بعده
ويختلف الوقوف باختلاف ذلك (ومنافع) يعنى شرب ألبانها والحارث بها وغير ذلك (ومنها تأكلون) يحتمل
أن يريد بالمتنفع ما عدا الأكل فيكون الأكل أمراً زائداً عليها أو يريد بالمتنفع الأكل وغيره ثم جرد ذكر
الأكل لأنه أعظم المنافع (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) لجمال حسن المظهر وحين تريحون يعنى حين
تردونها بالمشى إلى المنازل، وحين تسرحون حين تردونها بالقيادة إلى الرعى، وإنما قدم تريحون على
تسرحون لأن جمال الأنعام بالمشى أكثر لأنها ترجع ويطونها ملائ وضروها حاملة (وتحمل أثقالكم
يعنى الامتعة وغيرها وقيل أجساد بنى آدم (إلى بلد) أى إلى أى بلد توجهتم، وقيل يعنى مكة (بشق الأنفس)
أى بمشقة (لتركبوها وزينة) استبدل بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير، لكونه
علل خلفتها بالركوب والزينة دون الأكل ونصب زينة على أنه مفعول من أجله، وهو مطوف على موضع لتركبوها
(ويخلق ما لا تعلمون) عبارة على العموم أى أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها، وكل ما ذكر في هذه الآية شيئاً
مخصوصاً فهو على وجه المثال (وعلى الله قصد السبيل) أى على الله توفيق طريق الهدى بنصب الأدلة وبمع
الرسول والمراد بالسبيل هنا الجنس، ومعنى القصد القاصد الموصل، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة
إلى الموصوف (ومنها جائر) الضمير في منها يعود على السبيل إذ المراد به الجنس ومعنى الجائر: الخارج عن
الصواب: أى ومن الطريق جائر كل طريق اليهود والنصارى وغيرهم (ماء لكم) يحتمل أن يتعلق لكم بأزول
أو يكون في موضع خبر لشراب، أو صفة لسماء (ومنه شجر) يعنى ما ينبت بالمطر من الشجر (فيه تسميون)
أى ترحون أنماكم (وما ذرأ لكم في الأرض) يعنى الحيوان والأشجار والنهار وغير ذلك (مختلفاً لوانه) أى

يَذْكُرُونَ • وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلًّا مِّنْهُ لَمْحًا طَرِيًّا وَنَسَخَرْنَا مِنْهُ حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَنَرَى الْفَلَكَ
مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ • وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ • وَعَلَّمَتِ وَالنَّجْمَ هُمْ يَهْتَدُونَ • أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ • وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ
اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ • وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ • وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ • أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءَ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ • إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مَُّنكِرَةٌ وَهُمْ فَسْتَكِبُونَ • لَّا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُغِيبُ

أصنافه وأشكاله (لحما طريا) يعنى الحوت (حلية تلبسونها) يعنى الجواهر والمرجان (مواخر فيها) جمع ماخرة
يقال غرت السفينة ، والغرق الماء ، وقيل صوت جرى الفلك بالرياح (لتبتغوا من فضله) يعنى فى التجارة وهو
معلوف على لنا كلوا (والذى فى الأرض رواسي أن تميد بكم) الرواسى الجبال ، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت ، وأن
تميد فى موضع مفعول من أجله ، والمعنى أنه ألقي الجبال فى الأرض لتلا تميد الأرض وروى أنه لما خلق الله
الأرض جعلت تميد فقال الملائكة لا يستقر على ظهر هذه أحدا فأصبحت وقدر أسيبت بالجبال (وأنهارا) قال ابن
عطية أنهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل أو خلق أنهارا قال وإجماعهم على إظهار هذا الفعل دليل
على أن ألقي أحص من جعل وخلق : ولو كانت ألقي بمعنى خلق : لم يصح إلى هذا الإظهار (وسبلا) يعنى الطرق
(وعلامات) يعنى ما يستدل به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك ، وهو معلوف على أنهارا وسبلا قال ابن عطية
هو نصب على المصدر أى لعلكم تعتبرون ، وعلامات أى عبرة وأعلاما (وبالنجم هُمْ يَهْتَدُونَ) يعنى الاهتداء
بالليل فى الطرق ، والنجم هنا جنس ، وقيل المراد الثريا والفرقدان ، فإن قيل : قوله وبالنجم هُمْ يَهْتَدُونَ يخرج
عن سنن الخطأ وقدم فيه النجم كأنه يقول وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون ؛ فمن المراد بهم ؟ فالجواب
أنه أراد قريشا لأنهم كان لهم فى الاهتداء بالنجم فى سيرهم علم لمن يكن لتفريدهم ، وكان الاعتبار ألزم لهم فخصموا ،
قال ذلك الرعشى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) تقرير يقتضى الرد على من عبد غير الله ، وإنما عبر عنهم بمن لأن فهم
من يعقل ومن لا يعقل ، أو مشاكلة لقوله أفمن يخلق (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ذكر من أول السورة إلى
هنا أنواعا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته ، ولذلك أعقبا بقوله (أفمن يخلق كمن
لا يخلق) وفيها أيضاً ترداد لنعمة على خلقه ولذلك أعقبا بقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ثم أعقب ذلك
بقوله إن الله لغفور رحيم : أى يغفر لكم التقصير فى شكر نعمه (والذين تدعون من دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا
يُخْلَقُونَ) نفي عن الأصنام صفات الربوبية ، وأثبت لهم أضرارها ، وهى أنهم مخلوقون غير خالقين ، وغير أحياء وغير
طالين بوقت البعث ، فلما قام البرهان ، على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده ، فقال : إلهكم إله واحد (أَمْوَاتٌ
غَيْرُ أَحْيَاءٍ) أى لم تكن لهم حياة قط ولا تكون ، وذلك أغرق فى معوتها بمن تقدمت له حياة ثم مات ، ثم يعقب
موتة حياة (وما يشعرون أيان يبعثون) الضمير فى يشعرون للأصنام وفى يبعثون للكفار الذين عبدوهم ،
وقيل إن الضميرين للكفار (قلوبهم منكرا) أى تنكر وحدانية الله عز وجل (لا جرم) أى لا بد ولا شك ،

الْمُسْتَكْبِرِينَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبِّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَهَا غَيْرُهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ . قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بَنِيَهُمْ مِنْ
الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِ السَّقْفُ مِنْ فَوَقِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ . ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْرِجُهُمْ وَيَقُولُ
أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَقْسِمُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ . الَّذِينَ
تَتَوَقَّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي الْأَعْمَى فَأَقْبَهُمُ الْمَلَأُ الْأُولَى مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .
فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَتَايَ الْمُسْتَكْبِرِينَ . وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا

وقيل إن لافني لما تقدم ، وجرم معناه وجب ، أو حق ، وأن قاعة بجرم (أساطير الأولين) أي ماسطرة
الأولون ، وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتاب تواريخ ، وكان يقول إنما يحدث محمد بأساطير الأولين ،
وحديثي أجمل من حديثه ، وماذا يجوز أن يكون اسما واحدا مركبا من ما وذا ، ويكون منصوبا بأنزل أو
أن تكون ما استفهامية في وضع رفع بالابتداء ، وذا بمعنى الذي ، وفي أنزل ضمير محذوف (ليحملوا أوزارهم)
اللام لام العاقبة والصيرورة : أي قالوا أساطير الأولين ، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم ،
ويحتمل أن تكون الأمر (بغير علم) حال من المفعول في يحملونهم ، وأمن الفاعل (فأق الله بنيانهم من القواعد)
الآية : قيل المراد بالذين من قبلهم عمروذ ، فإنه بنى صرحا ليصعد فيه إلى السماء برحمه ، فلما علا فيه فرسخين هدمه
الله وخره فقه عليه ، وقيل أراد بالذين من قبلهم كل من كفر من الأمم المتقدمة ، ونزلت به عقوبة الله فالبنيان
والسقف والقواعد على هذا تمثيل (ويقول أين شركائي) توبيخ للشركين وأضاف الشركاء إلى نفسه أي على
زعمهم ودعواكم ، وفيه نهج بهم (الذين كنتم تقسمون فيهم) أي تمادون من أجلهم فنقرأ بكسر النون فالمفعول
ضمير المشكك وهو الله عز وجل ، ومن قرأ بفتحها فالمفعول محذوف تقديره تمادون المؤمنين من أجلهم (قال
الذين أوتوا العلم) هم الأنبياء والمعلماء من كل أمة ، وقيل يعني الملائكة ، واللفظ أعظم من ذلك (ظالمى أنفسهم) حال
من الضمير المفعول في توفاهم (قالوا السلم) أي استسلموا للبوت (ما كنا نعمل من سوء) أي قالوا ذلك ، ويحتمل
قولهم لذلك أن يكونوا قصدوا الكذب اعتصامه بكقولهم واقتربنا كتمان شركائنا أو يكونوا أخبروا على حسب
اعتقادهم في أنفسهم فلم يقصدوا الكذب ، ولكنه كذب في نفس الأمر (بلى) من قول الملائكة للكفار : أي
قد كنتم تعلمون سوء (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير
الأولين : قابل ذلك بمقالة المؤمنين ، فإن قيل : لم نصب جواب المؤمنين وهو قولهم خيرا ، ورفع جواب الكافرين
وهو أساطير الأولين ؟ فالجواب : أن قولهم خيرا منصوب بفعل مضمر تقديره أنزل خيرا ، ففي ذلك اعتراف بأن
الله أنزله ، وأما أساطير الأولين فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هو أساطير الأولين فلم يترفوا بأن الله أنزله فلاوجه
لنصبه ، ولو كان منصوبا لكان الكلام متناقضا لأن قولهم أساطير الأولين يقتضى التكذيب بأن الله أنزله ،
والنصب بفعل مضمر يقتضى التصديق بأن الله أنزله . لأن تقديره أنزل ، فإن قيل : يلزم مثل هذا في الرفع ، لأن
تقديره هو أساطير الأولين فإنه غير مطابق للسؤال الذي هو ماذا أنزل ربكم ، فالجواب : أنهم عدلوا بالجواب

لَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنًا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ه جَنَّتْ عَنْهُمْ يَدْخُلُونَهَا يَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ
فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فَاصْبِرْ إِنَّ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَخَاقٍ بِهِم
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ • وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ عَنَّا وَلَا آبَاءُؤُنَا وَلَا
حَرَمَاتُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَلَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ • وَلَقَدْ بَشَّرْنَا فِي كُلِّ
أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَعَبَّرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ • إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ
مَنْ يَهْدِيهِمْ • وَاقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِي وَلَعَلَّ عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ • لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ • إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا

عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين ، ولم يزل الله (الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) ارتفع حسنة بالابتداء
والذين خبره ، والجملة بدل من خيرا ، وتفسير التغيير الذي قالوا ، وقيل هي استئناف كلام الله تعالى ، لا من كلام
الذين قالوا خيرا (جنات عدن) يحتمل أن يكون هو اسم المدوح بهم ، فيكون مبتدأ وخبره فيما قبله أو خبر
ابتداء مضمرة ، ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره يَدْخُلُونَهَا أو مضمرة تقديره لم جنات عدن (هل ينظرون) أي
ينظرون ، والتضمير للكفار وإلا أن تأتيم الملائكة يعني لقبض أرواحهم (أو يأتي أمر ربك) يعني قيام
الساعة أو العذاب في الدنيا (فاصباحهم سيئات ما عملوا) أي أصابهم جزاء سيئات ما عملوا (وفاق بهم ما كانوا به
يستهزئون) أي أحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون ، وهذا تفسيره حيث وقع (وقال الذين أشركوا
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) قالوا ذلك على وجه المجازة والمخاصمة والاحتجاج على محبة فعلهم أي
أن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب ، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه ، والرّد عليهم بأن الله نهى عن الشرك
ولكنه قضى على من يشاء من عباده ، ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك في الآخرة على وجه التمني فإن لم يرد تكون لفتنى
والمعنى على هذا أنهم لما رأوا العذاب تنموا أن يكونوا لم يعبدا غيره ولم يحرموا ما أحل الله من البحيرة وغيرها
(فإن الله لا يهدي من يضل) قرئ بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول أي لا يهدي غير الله من يضل
الله وقرئ يهدي بفتح الياء وكسر الدال ، والمعنى على هذا لا يهدي الله من قضى بإحلاله (وما لهم من ناصرين)
التضمير حائد على من يضل ، لأنه في معنى الجمع (بلى) رد على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت أي
أنه يبعث (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) اللام تعلق بما دل عليه بلى أي يبينهم ليبين لهم ، وهذا برهان أيضا على

أَرَدْنَاهُ أَنْ تَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَالَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُجْزِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ جَزَاءَ لَآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ ذَٰلِكُمْ يَقُولُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَعْيُنَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَآتِلْمُونَ. بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا زَلَّ لَهُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخِفَّ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ. أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقْلِيمٍ فَهَامٍ مُّعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَىٰ تَخْوَفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ. أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّبِعُونَا ظُلْمَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ.

البعث ، فان الناس مختلفون في أدينتهم ومذاهبهم فيهم الله لين لهم الحق فيما اختلفوا فيه (إنما قرأنا شيء الآية : رهاً أيضاً على البعث لانه داخل تحت قدرة الله تعالى (والذين هاجروا في الله) يعنى الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة ، لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعدها ، وميل نزلت في أبي جندل بن سبيل وغيره مذكور في السير في قصة الحديبية ، وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل ذلك (لسوءهم في الدنيا حسنة) وعد أن ينزلهم بقعة حسنة وهى المدينة التى استقروا بها ، وقد إن حسنة صفة المصدر : أى نيويتهم تيويت حسنة وقرئ لتوئبتهم بالثاء من الثواب (الذين هاجروا) وصف للذين هاجروا ، ويحتمل إعرابه أن يكون نعتاً أو على تقدير هم الذين أو مدح الذين (إلا رجلاً) رذيل مر استبعد أن يكون الرسول من البشر (فاسألوا أهل الذكر) يعنى أحرار اليهود والنصارى أى لأن جميعهم يشهدون أن الرسول من البشر (بالبينات والبر) يمتلئ بأرسلنا الذى فى أول الآية على التقديم والتأخير فى الكلام ، أو بأرسلنا مضمراً ويوحى أو يتعلمون (وأرسلنا إليك الذكر) يعنى الله آن (لتبين للناس ما نزلناهم) يحتمل أن يريد لتبين القرآن بسردك قصصه وتعليمه للناس ، أو لتبين معانيه بفهم مستحله ، فيدخل فى هذا ما بينته السنة من الشريعة (فأمن الذين مكروا السيئات) يعنى كفار قريش عند مجيئهم والمفسرين ، والسيئات تحتل وجهين : أحدهما أن يريد به الأعمال السيئات : أى المعاصى فيكون مكروا بمعنى تضمن معنى عملوا ، والآخر أن يريد بالمكرات السيئات مكروم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فكون المكر على بابه (أو يأخذهم فى تقلبهم) يعنى فى أسفارهم (فاهم بمحزون) أى بمفئذين حيث وقع (أو يأخذهم على خوف) فيه وجهان أحدهما أن معناه على تنقص أى ينقص أموالهم وأقربهم شيئاً بعد شيء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة ، ولها أشار بقوله ، فإنهم لم يروؤف رحيم ، لأن الأخذ هكذا أخف من غيره . وقد كان عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التخوف فى الآية حتى قال له رجل من هذيل التخوف التنقص فى لغتنا ، والوجه الثانى أنه من الحروف أى يهلك تماماً قبلهم ، فيتخوفهم ذلك ، يأخذهم بعد أن توقفوا العذاب وخافوه ذلك خلاف قوله ، هم لا يذنبون (أو لم يروا إلى ما رأت الله من شيء ، بقضاء ظلاله) معنى الآية اعتبار بانتقال الظل من يد المذنب إلى يد الله ، أى لا يذنبون ، أى لا يروؤف رحيم ، ثم ظلال من الجبال والشجر والحيوان

وَلَهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْكَتُونَ بِهِ يُخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ
فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ . وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَفُوا إِيَّاهُ إِنَّهُ هُوَ إِلَهُكُمْ وَاحِدٌ فَلْيَأْتُوا قَارِعُونَ . وَلَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَأَصَابُهُ غَفِيرٌ اللَّهُ تَعَالَى . وَمَا بَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ
فَالْيَهُ تَعَجَّرُونَ . ثُمَّ إِذَا كُفِّرْتُمْ كَفَرْتُمْ إِذَا فَرَّقَ مِنْكُمْ رَبُّهُم بِشَرِّ كُفْرٍ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا

وغير ذلك ، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلها إلى جهة ، ومن الزوال إلى
الليل إلى جهة أخرى ، ثم يمتد الظل ويميل بالليل إلى طلوع الشمس ، وقوله يتغيرون من التي وهو الظل الذي يرجع
بمكس ما كان غدوة ، وقال ربيعة بن السراج يقال بعد الزوال ظل وفه ، ولا يقال قبله إلا ظل ، ففي لفظة
يتغيرون هنا مجوز ما لوقوع الخصوص في موضع الموعود لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره ،
فوضع يتغيرون وضع يتنقل أو يميل والضمير في ظلاله يعود على ما أو على شيء . (عن العيين والشياطين) يعني عن
الجانبيين أي يرجع الظل من جانب إلى جانب ، والعين بمعنى الإيمان واستمرارها الإيمان والشياطين للأجرام ، فإن العين
والشياطين إنما هما في الحقيقة للإنسان (سجد الله) حال من الظلال ، وقال الزمخشري حال من الضمير في ظلاله إذ هو بمعنى
الجمع لأنه يعود على قولهم من شيء ، فلي الأول يكون السجود من صفة الظلال ، وعلى الثاني يكون من صفة الأجرام
واختلف في معنى هذا السجود ، قيل عبر به عن الخضوع والافتقار وقيل هو مجرد حقيقة (وهو داخرون) أي صاغرون
وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء (وله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة) يحتمل أن يكون
من دابة بيان لما في السموات وما في الأرض معاً لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب ، ويحتمل أن
يكون بياناً لما في الأرض خاصة وإنما قال ما في السموات وما في الأرض ليم العقلاء وغيرهم ، ولو قال من في
السموات لم يدخل في ذلك غير العقلاء قاله الزمخشري (والملائكة) إن كان قوله من دابة بياناً لما في السموات
والأرض ، فقد دخل الملائكة في ذلك ، وكرر ذكرهم تخصيصاً لم يذكروا وتثريفاً وإن كان من دابة لما
في الأرض خاصة فلم تدخل الملائكة في ذلك فطغفهم على ما قبلهم (يخافون ربهم من فوقهم) هذا إخبار
عن الملائكة (وهو بيان نفي الاستكبار ، ويحتمل أن يريد فوقة القدرة والعظمة أو يكون من المشكلات
التي يمسك عن تأويلها ، وقيل معناه يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم (لا تتخفوا إلهين اثنين)
وصف الإلهين باثنين تأكيداً وبياناً للمعنى وقيل إن اثنين مفعول أول وإلهين مفعول ثان ، فلا يكون
في الكلام تأكيد (فلْيَأْتُوا قَارِعُونَ) خرج من النية إلى التكلم ، لأن الغائب هو المتكلم ،
ولْيَأْتُوا مفعول بفعل مضمر ، ولا يعمل فيه قارِعُونَ لأنه قد أخذ معموله (وله الدين وأصابه) أي واجبا
وثابتاً ، وقيل دائماً ، واتصاه على الحال من الدين (وما بكم من نعمة فمن الله) يحتمل أن تكون الواو
للاستئناف أو للحال فيكون الكلام متصلاً بما قبله : أي كيف تتقون غير الله ، وما بكم من نعمة فنه وحده
(فَالْيَهُ تَعَجَّرُونَ) أي ترفعون أصواتكم بالاستغاة والتضرع (ليكفروا بما آتيناهم) اللام لام الأمر على وجه
التبديد لقوله بعده : فتَمَتَّعُوا فسوف تعلون ، فلي هذا يتبدى بها ، وقيل هي لام العاقبة ، فلي هذا توصل بما
قبلها لأنها في الأصل لام كي ، وذلك بعيد في المعنى ، والكفر هنا يحتمل أن يريد به كفر النعم لقوله بما

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ • وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَمْلِكُونَ نَصِيحًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقَالُونَ لَتُسْأَلُنَّ عَنْهَا كَمَا كُنْتُمْ تُقْتَلُونَ • وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتُ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ • وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ • يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ • وَلِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السَّوْءِ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِالْعَمَلِ الْعَمِيمِ • وَلَوْ يَخَذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلُمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ • وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَصَفَ السَّيِّئَةِ الْكَذِبَ أَنْ لَهُمُ الْحَسَنَىٰ لِأَجْرٍ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ • تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرِيقٌ لَّهُمُ الشُّيْطَانُ عَمَلُهُمْ هَوَاهُمْ فَبُولَاهُمْ يَوْمَهُمُ الْيَوْمِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ

الْكِتَابَ إِلَّا لِنَبِيِّنَ لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ مِمَّا هُوَ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . وَآلَهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَآفَا
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ . وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّقَسِّمُكُم بِمَا فِي بُطُونِهِ
مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ . وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ
وَمَا يَرْتَوْنَ . ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذَلِكَ يُخْرِجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ
فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَآلَهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرْدُّ إِلَى أَرْدَلِ

موضع لبين ، واتصبا على أنها مفعول من أجله : أى لأجل البيان والهدى والرحمة (تسقيكم) بفتح النون
وجنهما لفتان ، يقال سقى وأسقى (عما في بطونه) الضمير للأنعام ، وإنما ذكر لانه مفرد بمعنى الجمع كقولهم
ثوب أخلاق لأنه اسم جنس ، وإذا أنت فهو جمع نعم (من بين قرت ودم) الثمر هي مافي الكرش من
الغدد ، والمعنى أن الله يخلق اللبن متوسطا بين الثمر والدم يكتفاه ، ومع ذلك فلا يغيرانه لونا ولا علما
ولا رائحة ، ومن في قوله مما في بطونه للبعوض قوله من بين قرت لا ابتداء الناية (سائغا للشاربين) يعني سهلا
للشرب حتى قيل لم ينص أحد قط باللبن (ومن ثمرات النخيل والأعناب) المجرور يتعلق بفعل محذوف
تقديره تسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أى من عصيرها ، ويدل عليه نسقيكم الأول أو يكون من ثمرات
مطوف على مما في بطونها أو يتعلق من ثمرات بتتخذون ، وكرر منه توكيدا أو يكون تتخذون صفة محذوف
تقديره شيئا تتخذون (سكرا) يعني الخمر ، ونزل ذلك قبل تحريمها فهي منسوخة بالتحريم ، وقيل إن هذا
على وجه المنة بالمتعة التي في الخمر ، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم ، فلا نسخ ، وقيل السكر المانع من
هاقين الشجرتين كالخل والرب والزرق الحسن : العنب والترو والزبيب (وأوحى ربك إلى النحل) الوحي هنا
بمعنى الإلهام ، فإن الوحي على ثلاثة أنواع : وحى كلام بهو وحى منام ، ووحى إلهام (أن اتخذي من الجبال بيوتا
ومن الشجر وما يترشون) أن مفسرة للوحى الذى أوحى إلى النحل ، وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة
الأنواع إما في الجبال وكواها ، وإما في متجوف الأشجار وإما في آدم من الأجاج والحيطان ونحوها
ومن في المواضع الثلاثة للبعوض لأن النحل إنما تتخذ بيوتا في بعض الجبال ، وبعض الشجر ، وبعض الأماكن
وعرش مناهيا أوبى ، وأكثر ما يستعمل فيها يكون من الأضغان والخشب (ثم كلي من كل الثمرات) عطف
كلى على اتخذي ، ومن للبعوض ، وذلك أنها إنما تأكل التوار من الأشجار ، وقيل المعنى من كل الثمرات التي
تقتنيها (فاسلكي سبيل ربك) يعني الطرق في الطيران ، وأضافها إلى الرب لأنها ملكه وخلقها (ذلا) أى مطيعة
متفاعة . ويحتمل أن يكون حالا من السبل ، قال مجاهد لم تعرض قط على النحل طريق أو حالا من النحل أى
متفاعة لما أمرها الله به (يخرج من بطونها شراب) يعني العسل (مختلفا ألوانه) أى منه أبيض وأصفر وأحمر
(فيه شفاط الناس) الضمير للعسل ، لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل كالعاجين والأشربة النافعة من الأمراض
وكان ابن عمر يتداوى به من كل شيء ، نكأه أخذه على العموم وعلى ذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه

الْعَمَلِ لَكُنْ لَا يَلْمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ • وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ قَمَا الَّذِينَ قُضُوا
بِرَأْيِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَصْحَدُونَ • وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحْشَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ ثُمَّ
يَكْفُرُونَ • وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ •
فَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ • ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمِنْ
رِزْقِهِ مَنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • وَضَرَبَ اللَّهُ

وسلم أن رجلا جاء إليه ، فقال إن أخى يشتكى بطنه ، فقال ائذ ، عسلا ، فذهب ثم رجع فقال قد
سقيت فاقطع ، قال فاذبح فاقطع ، سلا فهد صدق الله وكذب بطن أخيك ، فسقاء فسقاء الله عز وجل
(إلى أرذل العمر) أى إلى أخيه وأحقه ، وهو المحرم وقيل حقه خمسة وسبعين عاما ، وقيل ثمانون ،
والصحيح أنه لا يحصى إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس (لكىلا يعلم بعد علم شئنا) اللام لام الصيغة
أى يصير إذا هرم لا يعلم شئنا بعد أن كان يعلم قبل الهرم ، وليس المراد نفى العلم بالكلية ، بل ذلك عبارة عن
فلة العلم أغلبة النسيان ، وقيل المعنى تلى يعلم زيادة على علمه شئنا (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق)
الآية فى معناها قولان : أحدهما أنها احتجاج على الوحدانية كآه يقول أنهم لا تدعون بين أنفسهم وبين
ممالككم فى الرزق ، ولا يعملونهم شركاء لكم ، فكيف تعملون عبدي شركاء لى ، والآخر أنها عتاب وذم
لمن لا يحسن إلى ملوكه حتى يرد ما رزقه الله عليه كما جاء فى الحديث : أطعموه بما تأكلون واكسوم بما
تلبسون ، والاول أرجح (أنعمت الله يمحذون) الحمد هنا على المعنى الاول إشارة إلى الإشراف بالله ،
وعبادة غيره ، وعلى المعنى الثانى إشارة إلى جنس الممالك فيما يجب لهم من الإنفاق (والله جعل لكم من أنفسكم
أزواجا) أى الزوجات ، ومن أنفسكم يحتمل أن يريد من نوعكم وعلى خلقكم ، أو يريد أن حواء خلقت
من ضلع آدم ، وأستد ذلك إلى نبي آدم لأنهم من ذرية (وحشة) جمع حافد قال ابن عباس : هم أولاد
البنين ، وقيل الأصهار وقيل الخدم ، وقيل البنات إلا أن لفظ المذكور لا يدل عليهم ، والحشة فى اللغة الخدمة
(ويعبدون من دون الله) الآية : توبيخ للكفار ، ورد عليهم فى عبادتهم الأصنام ، وهى لا تملك لهم رزقا ،
واتصّب رزقا لأنه مفعول يملك ، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسما لما يرزق ، فإن كان مصدرا فأعراب
شئنا مفعول به ، لأن المصدر نصيب المفعول ، وإن كان اسما فأعراب شئنا بدل منه (ولا يستطيعون)
" ضمير عائد على ما لأن المراد به الإلهية ، ونفى الاستطاعة بعد نفي الملك ، لأن نفيها أبلغ فى الذم (ضرب الله
مثلا عبدا ملوكا) الآية : مثل لله تعالى والأصنام ، فالأصنام كالعباد الملوك الذى لا يقدر على شئ ، والله
تعالى له الملك ، ويده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء ، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام ، وإنما قال لا يقدر
على شئ لأن بعض العبيد يقدر على بعض الأمور كالملك والمأمور له (ومن رزقناه) من هنا نكرة
موصوفة ، والمراد به من هو حر قادر كآه قال وحزأ رزقناه ليطاق عبدا ، ويحتمل أن تكون موصولة (هل

مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَأَبَاتٍ يُضَيِّرُ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ
وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • وَلَهُ قُيِّبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَفْحِ
الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ
لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ • أَلَمْ يَرْوِا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ
إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ • وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ
بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظُلْمِكُمْ وَبُيُوتًا ثَمَامًا وَمِنْ أَصْوَانِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْقَالِ حَبِّينَ • وَاللَّهُ
جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ

يستون) أى هل يستوى العبيد والأحرار الذين ضرب لهم المثل (الحمد لله) شكر الله على بيان هذا المثال
ووضوح الحق (بل أكثرهم لا يعلمون) يعنى الكفار (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) الآية : مثل الله
تعالى وللأصنام كالذى قبله ، والمقصود منها إبطال مذاهب المشركين ، وإثبات الوجدانية لله تعالى ، وقيل
إن الرجل الأبكم أبو جهل ، والذى يأمر بالعدل عمار بن ياسر ، والأظهر عدم التعيين (وهو كل على مولاه)
الكل الثقيل يعنى أنه عيال على وليه أو سيده ، وهو مثل للأصنام والذى يأمر بالعدل هو الله تعالى (وما أمر
الساعة إلا كلفح البصر أو هو أقرب) بيان لقدرة الله على إقامتها ، وأن ذلك يسير عليه كتوله : ما خلقكم ولا
بشئكم إلا كنفس واحدة ، وقيل المراد سرعة إتيانها (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) الأمهات جمع أم زيدت
فيه الهاء فرقا بين من يعقل ومن لا يعقل ، وقرئ بضم الهزة وبكسرهما إتباعا للكسرة قبلها (في جوف السماء) أى
في الهواء البعيد من الأرض (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) السكن مصدر يوصف به ، وقيل هو فعل بمعنى
مفعول ومنه ما يسكن فيه كالبيوت أو يسكن إليه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) يعنى الأدم من
القباب وغيرها (تستخفونها) أى تجمدون خفيفة (يوم ظنكم يوم إقامتكم) يعنى في السفر والحضر ، واليوم
هنا بمعنى الوقت ويقال ظن الرجل إذا رحل ، وقرئ ظنكم بفتح العين ، وإسكانها تخفينا (ومن
أصوائها وأوبارها وأشعارها) الأصواف للغنم ، والأوبار للإبل ، والأشعار للتمر والبر (أثنا) الأثنا
متاع البيت من البسط وغيرها ، واتصافه على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره جعل (ومتنا إلى حين) أى
إلى وقت غير معين ، ويحتمل أن يريد إلى أن تبلى وتفتى أو إلى أن تموت (والله جعل لكم مما خلق ظلالا)
أى نعمة عدها الله عليهم بالظل ، لأن الظل مطلوب في بلادهم محبوب لشدة حرها ، ويعنى بما خلق من الشجر
وغ غيرها (وجعل لكم من الجبال أكنانا) الأكنان جمع كن ، وهو ما بقى من المطر والريح وغير ذلك ، ويعنى
بذلك الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال (وجعل لكم سراويل تقيكم الحر) السراويل هى الثياب من
القطن وغيرها ، وذكر وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد ، لأن وقاية الحر أهم لعدم حرارة بلادهم ،
وقيل لأن ذكر أحدهما يقتضى ذكر الآخر (وسراويل تقيكم بأسكم) يعنى دروع الحديد (يعرفون نعمت الله)

بِاسْمِكَ كَذَلِكَ يَنْتِمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ • فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ • يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ • وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُذْنِبُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ • وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ • وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ • وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَحَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْتَدُونَ • الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ • وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ • إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ • وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضَحُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ • وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَضَتْ غَرْلَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ تَنْخَبِثُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ

إشارة إلى ما ذكر من النعم من أول السورة إلى هنا والضمير في يعرفون للكفار، وإنكارهم لنعم الله وإشراكهم به وعبادة غيره، وقيل نعمة الله هنا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ويوم نبعث من كل أمة شهيداً) أى يشهد عليهم بإيمانهم وكفرهم (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أى لا يؤذن لهم في الاعتذار (ولاهم يستعجبون) أى لا يسترضون، وهو من المعنى معنى الرضى (ولاهم ينظرون) (يحتمل أن يكون بمعنى التأخير أى بمعنى النظر: أى لا ينظر الله إليهم) (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون) الضمير في القول للمعبودين والمعنى أنهم كذوبهم في قولهم أنهم كانوا يعبدونهم، كقولهم ما كنتم إلهائنا تعبدون، فإن قيل: كيف كذبهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟ فالجواب أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم، فكان عبادتهم لم تكن عبادة، ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركاء لله، لا في العبادة (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أى استسلموا له وافقادوا (زدناهم عذاباً فوق العذاب) روى أن الزيادة في العذاب هي حيات وعقارب كالغالب تلصصهم (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) يعنى بالعدل: فعل الواجبات، وبالإحسان: المتنويات، وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين، قال ابن مسعود: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى (وإيتاء ذى القربى) الإيتاء مصدر آتى بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك في العدل والإحسان، ولكنه جرده بالذكر اهتماماً به (وينهى عن الفحشاء) قيل يعنى الزنا، واللفظ أعم من ذلك (والمنكر) هو أعم من الفحشاء، لأنه يعم جميع المعاصي (والبغى) يعنى الظلم (ولا تفضحوا الأيمان) هذا في الأيمان التى في الوفاء بهاخير، وأما ما كان تركه أولى، فليكفر عن يمينه وليقبل الذى هو خير منه، كما جاء في الحديث، أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان في حق غيره، أو معاهدة لغيره (وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) أى رقيباً ومتكفلاً فواتكم بالهدى، وقيل إن هذه الآية نزلت

مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا إِنَّمَا يَبُذُّكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ • وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ • وَلَتَسْلُتُنَّ عِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا
بَيْنَكُمْ قَتْلَ قَدَمٍ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُقُوا السُّوءَ • بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ • وَلَا تَشْتَرُوا
بِمَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • مَا عَدَدْتُمْ نَفْسَ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَتَجْزِيَنَّ
الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثَرٍ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً
طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ •
إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ • إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ
مُشْرِكُونَ • وَإِذَا بَدُلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَظْهَرُ بِمَا يُزَلُّ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • قُلْ

في يمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل فيما كان بين العرب من حلف في الجاهلية (ولا تكونوا كالتى قصت
غزلها) شبه الله من يحلف ولم يف بيمينه بالمرأة التى تغزل غزلا قويا ثم تنفضه ، وروى أنه كان بمكة امرأة
حقاء تسمى رحلة بنت سعد ، كانت تفعل ذلك وبها وقع انفضيها ، وقيل إنما شبه بمرأة غير معينة (أنكأ) ^١
جمع نكح وهو ما ينكح أى يقض ، واتصابه على الحمال (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) الدخلى الدغل ،
وهو قصد الخديعة (أن تكون أمة هي أرى من أمة) أن في موضع المفعول من أجله : أى بسبب أن تكون
أمة ، ومعنى أرى : أكثر عدداً أو أقوى ، ونزلت الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى ،
فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية ، وقيل الإشارة بالأرض هنا إلى كفار قريش إذ
كانوا حينئذ أكثر من المسلمين (إنما يلوكم الله) الضمير للأمر بالوفاء ، أو لكون أمة هي أرى من أمة ، فإن
بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أولا (قتل قدم بعد ثبوتها) استعارة في الرجوع عن الخير إلى الشر ،
وإنما أفرد القدم ونكرها : لاستعظام الزلل في قدم واحدة فكيف في أقدام كثيرة (وتذوقوا السوء)
يعنى في الدنيا (بما صدتكم عن سبيل الله) يدل على أن الآية فيمن بايع النبي صلى الله عليه تعالى عليه وعلى
آله وسلم (ولكم عذاب عظيم) يعنى في الآخرة (ولا تشتروا بمهد الله ثمنا قليلا) الثمن القليل عرض
الدنيا ، وهذا نهى لمن بايع النبي صلى الله عليه تعالى عليه وعلى آله وسلم أن ينكح لأجل ضعف الإسلام حينئذ
وقوة الكفار ورجاء الانتفاع في الدنيا إن رجع عن البيعة (ما ععدكم بنفس) أى بغنى (فلنحيينه حياة
طيبة) يعنى في الدنيا ، قال ابن عباس هي الرزق الحلال ، وقيل هي القناعة ، وقيل هي حياة الآخرة (فإذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله) ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة ، لأن الغناء تقتضى الترتيب ، وقد شد قوم
فأخذوا بذلك ، وجهور الأمة على أن الاستعاذة قبل القراءة ، وتأويل الآية : إذا أردت قراءة القرآن
فاستعذ بالله (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا) أى ليس له عليهم سبيل ولا يقدر على إضلالهم (إنما
سلطانه على الذين يتولونه) أى يتخذونه ولياً (والذين هم به مشركون) الضمير لإبليس ، وبالله سببية (وإذا

[illegible]

بذلنا آية مكان آية) التبديل هنا النسخ، كان الكفار إذا نسخت آية يقولون هذا اقترله ولو كان من عند الله لم يبدل (والله أعلم بما ينزل) جملة اعتراض بين الشرط وجوابه وفيها رد على الكفار أي الله أعلم بما يصلح للعباد في وقت ثم ما يصلح لهم بعد ذلك (قل زلزل روح القدس) يعني جبريل (بالحق) أي مع الحق في أوامره ونواياه وأخباره، ويحتمل أن يكون قوله بالحق بمعنى حقاً، أو بمعنى أنه واجب التزول (أنهم يقولون إنما يعلبه بشر) كان بكه غلام أعجمي اسمه يعيش، وقيل كانا غلامين اسم أحدهما جبر والآخر يسار، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام، فقالت قريش هذان يعلنان عمداً (لسان الذي يلبدون إليه أعجمي) (اللسان هنا بمعنى اللغة والكلام، ويلبدون من الخد إذا مال، وقرئ يفتح الياء من الخد، وهما بمعنى واحد، وهذا رد عليهم فإن الشخص الذي أشاروا إليه أنه يعلبه أعجمي اللسان؛ وهذا القرآن عري في غاية النفاحة، فلا يمكن أن يأتي به أعجمي) (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) هذا في حق من علم الله أنه لا يؤمن بكفوله: إن الذين هتت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون، فاللفظ عام يراد به الخصوص، كقوله: إن الذين كفروا سواء عليهم ما أُنذرتهم الآية، وقال ابن عطية: المعنى إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله ولكنه قدم في هذا الترتيب وأخرتها بتبيين أنما لم (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) رد على قولهم إنما أنت مفتر يعني إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يخاف الله وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه (وأولئك هم الكاذبون) الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله: أي هم الذين حادتهم الكذب لأنهم لا يبالون بالوقوع في المعاصي، ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم إنما أنت مفتر (من كفر بالله) الآية: من شرطية في موضع دفع بالابتداء، وكذلك من قوله من شرح، لأنه تخصيص من الأول، وقوله فليعلم غضب: جواب عن الأولى والثانية، لأنها بمعنى واحد. وأو يكون جواباً لثانية بجواب الأولى بحذف يدل عليه جواب الثانية، وقيل من كفر يدل من الذين لا يؤمنون أو من المبتدأ في قوله أولئك هم الكاذبون، أو من الخبر (إلا من أكره) استثنى من قوله من كفر، وذلك أن قوما ارتدوا عن الإسلام، فذلت فيهم الآية، وكان فيهم من أكره على الكفر ففطق بكلمة الكفر، وهو يعتقد الإيمان منهم عمار بن ياسر، وصهيب، وبلال فندمهم الله، روى أن عمار بن ياسر شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع به من العذاب وما تساع به من القول، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تجد قلبك، قال أجده مطمئناً بالإيمان، قال فأجهج بلسانك، فإنه لا يضرك، وهذا الحكم في من أصره بالنطق على الكفر، وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا؟ فأجاز ما للجمهور، ومنه قوم وكذلك قال مالك: لا يلزم المكره بين ولا طلاق ولا عتق ولا شيء فيها بينه وبين الله، ويلزمه ما كان من

غَضَبُ مَنْ أَلَّهَ وَلَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَمَّعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ . لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ . ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا هَاجَرُوا ثُمَّ جَهِدُوا وَصَبُّوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَنفُورٌ رَحِيمٌ . يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ عَنْ رَبِّهَا وَتُوقَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاتَهَا اللَّهُ لِبَاسٍ أَلْجُوعٍ وَتَخَوَّفَ بِمَا كَانُوا يَعْنُونَ . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ . فَكُلُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لَهُ تَشْكُرُونَ . لِمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ

حقوق الناس ، ولا يجوز الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أو أخذ ماله (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) الإشارة إلى العذاب ، والباء للتعليل ، فليل عذابهم بملتين : أحدهما إشارته إلى الحياة الدنيا ، والآخرى أن الله لا يهديهم (ثم إن ربك للذين هاجروا من بيمنا فتواتوا) قرأه الجمهور فتواتوا الضم الفاء : أى عذبوا فآلآية على هذا في عمار وشبهه من المعدين على الإسلام ، وقرأ ابن حاصر بفتح الفاء : أى عذاب المسلمين ، فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين ، ثم هاجر وجاهد كالخضري وأشباهه (إن ربك من بعد ما نفور رحيم) كرر إن ربك تأكيداً ، والضمير في بعد ما يعود على الأفعال المذكورة وهى الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتى) يحتل أن يتعلق بنفور رحيم أو يحذف تقديره اذكر وهذا أظهر (كل نفس) النفس هنا بمعنى الجملة كفولك إنسان ، والنفس في قوله عن نفسها بمعنى الذات المعينة التى تقيضها الغير أى تجادل عن ذاتها لآعن غيرها كقولك جاء زيد نفسه وعينه (تجادل عن نفسها) أى تتجسس وتمتد ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتدون ؟ فالجواب أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئة) الآية ، قيل إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التى ذكرها الله (فكفرت بأنهم الله) يعنى بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصابهم الجذب والخوف من غزو النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وقيل إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضررب الله بها مثلاً لمكة ، وهذا أظهر ، لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لنبيهم ، والضمير في قوله فكفرت وأذاتها : يراد بها أهل القرية بدليل قوله بما كانوا يصنعون (فأذات الله لباس الجوع والخوف) الإذاتة هنا واللباس مستعاران ، أما الإذاتة فقد كثر استعمالها فى البلايا ، حتى صارت كالخفيقة ، وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتغالهما على اللباس ومباشرتهما له كبشارة الثوب (ولقد جاءهم رسول منهم) إن كان المراد بالقرية مكة ، فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعذاب الذى أخذهم القحط وغيره وإن كانت القرية غير معينة ، فالرسول من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما ، والعذاب ما أصابهم من الهلاك (فكلوا) وما بعده مذكور فى البقرة (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) هذه

وَاللَّهُ وَلَهُمُ الْحَذِيرُ وَمَا أَمَلَ لَقِيَرِ اللَّهِ بِهِ قَلْبٌ أَعْطَرَ غَيْرَ بَاقٍ وَلَا عَادَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَلَا تَقُولُوا
لِمَا نَقَصَ أَلَسْتُمْ كَذِبٌ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ لَا يُلْعَنُونَ • مَنْعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَقْصَصًا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا
ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ • ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعِيدٍ تَقْوُّرٌ رَحِيمٌ • إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ •
شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ •
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ • إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ • ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ

الآية مخاطبة للعرب الذين أسلموا أشباه وحرمو أشياء كالبحير قوغير هانما ذكر في سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل
فيها كل من قال هذا حلال أو حرام بغير علم، وانتصب الكذب بلا قولوا أو يكون قوله هذا حلال وهذا
حرام بدل من الكذب وما في قوله بما تصف موصولة ويجوز أن ينتصب الكذب بقوله تصف وتكون
ما على هذا مصدرية ويكون قوله هذا حلال وهذا حرام معمول لا قولوا (منع قليل) يعني عيشهم في الدنيا أو
اتقاعهم بما ضلوه من التحليل والتحرير (وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل) يعني قوله في الأنعام
حرما كل ذي ظفر إلى آخر الآية، فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود، ليعلم أن تحريم ما على
ذلك اقتداء على الله كما فعلت العرب (ثم إزدبك الذين عملوا السوء بجهالة) هذه الآية تأنيس لجميع الناس
وفتح باب التوبة (إذ إبراهيم كان أمة) فيه وجهان: أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم بكامله وجمعه لصفات
الخير كقول الشاعر مغليس على الله يستنكره أن يجمع العالم واحد • والآخر أن يكون أمة بمعنى إمام كقوله
إني جاعلك للناس إماما، قال ابن مسعود والآمة معلم الناس الخير، وقد ذكر معنى القانت والخفيف (وآتيناه في
الدنيا حسنة) يعني لسان الصدق، وأن جميع الأمم متفقون عليه، وقيل يعني المال والأولاد (لن الصالحين) أي من
أهل الجنة (ولم يكن من المشركين) نفى عنه الشرك لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا يفتنون إليه
(إنما جعل السبت على الذين اختلَفوا فيه) أمر موسى بنى إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة خصصا للعبادة فرضى
بعضهم بذلك، وقال أكثرهم بل يكون يوم السبت، فألزمهم الله يوم السبت، فاختلفهم فيه هو ما ذكر
والسبت على هذا هو اليوم، وقيل اختلافهم فيه: هو أن منهم من حرم الصيد فيه، ومنهم من أحله، فعاتبهم
الله بالسخ قرودة، فالحنى: إنما جعل وبالسبت على الذين اختلفوا فيه، والسبت على هذا مصدر من سبت
إذا عظم يوم السبت، قاله الزحشرى، وتقتضى الآية أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عليه السلام (ادع
للى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) المراد بالسبيل هنا الإسلام، والحكمة هي الكلام الذى يظهر
صوابه، والموعظة هي الترغيب والترهيب، والجدال هو الرد على المخالف، وهذه الأشياء الثلاثة يسميها

الْحَسَنَةَ وَجَدْتُمْ بِالنَّبِيِّ أَحْسَنَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ • وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَنْ صَبِرْتُمْ لَهُ خَيْرَ الصَّابِرِينَ • وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا
تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ • إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ •

أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدال ، وهذه الآية تقتضي مهادة نسخت بالسيف ، وقيل إن الدماء
إلى الله بهذه الطريقة من التلطيف والرفق غير منسوخ ، وإعسا السيف لمن لا تنفعه هذه الملاحظة من الكفار
وأما الصصة فهي في حقهم محكمة إلى يوم القيامة باتفاق (وإن عاقبتهم فاعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به) المعنى إن صنع
بكم صنع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه ، والمقوية في الحقيقة إنما هي الثانية ، وسميت الأولى عقوبة
لشاقة القبط ، ويحتمل أن يكون عاقبتهم بمعنى أصبتم عني : كقوله في المستعنة فاعاقبتهم بمعنى غنمتم فيكون
في الكلام تهجين ، وقال الجمهور : إن الآية تركت في شأن حوزة بن عبد المطلب لما هجر المشركون بطنه
يوم أحد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم والله لن أغفرني الله بهم لأنهم يسمين منهم ، فترك الآية فكفر النبي
صلى الله عليه وسلم عن يمينه وترك ما أراد من الملة ؛ ولا خلاف أن الملة حرام ، وقصودت الأحاديث بذلك ؛
ويقتضي ذلك أنها مدنية ، ويحتمل أن تكون الآية عامة ، ويكون ذكرهم لحوزة على وجه المثال ، وتكون على
هذا مكية كسائر السورة ؛ واختلف العلماء فيمن ظله رجل في مال ثم اتهم الظالم المظلوم على مال هل يجوز
له خيائته في القدر الذي ظله ، فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية ، ومنهم ماله لقوله صلى الله عليه وسلم أذا
الأمارة إلى من اتهمتك ، ولا تقن من عاتك (ولئن صبرتم لهو خير الصابرين) هذا نذب إلى الصبر
وترك عقوبة من أساء إليك فإن العقوبة مباحة ، وتركها أفضل ، والصبر راجع للصبر ، ويحتمل أن
يريد بالصابرين هنا العموم ، أو يراد به المخاطبون كأنه قال خير لكم (واصبر وما صبرك إلا بالله) هذا
حرم على النبي صلى الله عليه وسلم في خاصته على الصبر ، ويرى أنه قال لاصحابه أما أنا فأصبر كما أمرت ،
فلذا تصنعون ؟ قالوا نصبر كما نديننا ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بجمرة الله ؛ وقد قيل إن ما في هذه الآية من
الامر بالصبر منسوخ بالسيف ، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال ، وأما إن كان الصبر يراد به
ترك المشقة التي فعل مثلها بجمرة ذلك غير منسوخ (ولا تحزن عليهم) أي لا تأسف لكفرهم (ولأنك
في ضيق مما يَمْكُرُونَ) أي لا يضيق صدرك بمكرهم ، والضيق بفتح الضاد تخفيف من ضيق كيت وميت ، وقرئ
بالكسر وهو مصدر ، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدران (إن الله مع الذين اتقوا) يريد أنه معهم
بعموته ونصره (والذين هم محسنون) الإحسان هنا يحتمل أن يراد به فعل الحسنات ، والمعنى الذي أشار له
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهذا هو الأظهر ، لأنه رتبة فوق التقوى .

سورة الإسراء

مكية إلا الآيات ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٥٧ ومن آية ٧٣ إلى غاية آية ٨٠

فدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَانِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هَدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ

سورة الإسراء

(سبحان الذي أسرى بعبده) معنى سبحان فزه ، وهو مصدر غير منصرف ، وأسرى وسرى لثنتان ، وهو فعل غير متعد ، واختار ابن عطية أن يكون أسرى هنا متعدياً أي أسرى الملائكة بعبده وهو بعيد ، والعبد هنا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما وصفه بالعبودية تشريفاً له وتقريباً (ليلاً) إن قيل : ما فائدة قوله ليلاً مع أن السرى هو السر بالليل ؟ فالجواب : أنه أراد بقوله ليلاً لفظ التكثير قليل ، فله الإسراء ، وأنه أسرى به في بعض الليل مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أبلغ في الأهمية (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) يعني بالمسجد الحرام مسجد مكة المحيط بالكعبة ، وقد روى في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : بيننا أنا وأنهم في الحجر إذ جئني جبريل ، وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء في بيته ، فالمسجد الحرام على هذا مكة أي بالمسجد الحرام ، وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس الذي يبلياء ، وسمى الأقصى لأنه لم يكن وراءه حائط مسجد ، ويحتمل أن يريد بالأقصى الأبعد ؛ فيكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة ، واختلف العلماء في كيفية الإسراء ، قال الجمهور : كان بحمد النبي صلى الله عليه وسلم وروحه ، وقال قوم كان بروحه خاصة وكانت رؤيا نوم حق ، لحجة الجمهور أنه لو كان مناماً لم تنكره قریش ولم يكن في ذلك ما يكذب به الكفار ، ألا ترى قول أم هانئ له لا تنفخ بذلك فيكذبك قومك ، وحجة من قال إن الإسراء كان مناماً قوله تعالى : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ، وإنما يقال الرؤيا في المنام ، ويقال فيما يرى بالعين رؤية ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : بينا أنا بين الناس واليقظان وذكر الإسراء ، وقال في آخر الحديث فاستيقظت وأما في المسجد الحرام وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال الإسراء كان مرتين : أحدهما بالجسد والآخر بالروح ، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس ، وهو الذي أنكره قریش ، وأن الإسراء بالروح كان إلى السموات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس ولقي الأنبياء في السموات (الذي باركنا حوله) صفة للمسجد الأقصى ، والبركة حوله بوجهين : أحدهما ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء ، والآخر : كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خص الله بها الشام (لنريه من آياتنا) أي لنرى محمداً صلى الله عليه وسلم تلك الليلة من العجائب ، فإنه رأى السموات والجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء وكله الله تعالى حسبما ورد في أحاديث الإسراء ، وهي في مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا (وجعلناه هدى) يحتمل أن يعود الضمير على الكتاب أو على موسى (ألا تتخفوا من دوني وكيلاً) أي

أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا • ذُرِّيَّةٌ مِنْ حَمَلَةٍ مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا • وَفَضَّلْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا • فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ لَهُمَا بِعَثَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ لِّجَسَاوَا خَلَّلَ الدِّيَارُوَا كَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا • ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ قَبِيرًا • إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَتَبَرَّوَا مَا طُورُوا تَقِيرًا • عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ

وبا تكونون إليه أكرم ، وأن يحتمل أن تكون صدرية أو مفسرة (ذرية من حملت مع نوح) نداء ، وفندائهم بذلك تطف وتذكير بنعمة الله ، وقيل هي مفعول تتخذوا ، ويتمين معنى ذلك على قرارة من قرأ يتخذ بالياء ويعني بمن حملت مع نوح أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث ، ولساوم ومنهم تاسل الناس بعد الطوفان (إنه كاعداشكور) أي كثير الشكر كان يحمد الله على كل حال ، وهذا تعليل لما تقدم أي كونوا أشكرين كما كان أبوك نوح (وفضلتنا إلى بني إسرائيل في الكتاب) قيل إن قضينا هنا بمعنى علمنا وأخبرنا ، كما قيل في وقضينا إليه ذلك الأمر ، والكتاب على هذا التوراة ، وقيل قضينا إليه من القضاء والقدر ، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه مقادير الأشياء وإلى بمعنى على (تفسدن في الأرض مرتين) هذه الجملة بيان للقضى ، وهي في موضع جواب قضينا إذا كان من القضاء والقدر لأنه جرى مجرى القسم ، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره والله تفسدن ، والجملة في موضع مفعول قضينا ، والمرتان المشار إليهما أحدهما قتل زكريا والآخرى قتل يحيى عليهما السلام (ولتعلمن علوا كبيرا) من العلو وهو الكبر والتخيل (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا) معناه أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولى بعثنا الله عليهم عبادا له ليقوم منهم على أيديهم ، واختلف في هؤلاء العبد قبيح جالوت وجنوده وقيل يختصر ملك بابل (الجاسوا خلال الديار) أي ترددوا بينهما بالفساد ، وروى أنهم قتلوا عليهم وأحرقوا التوراة . وخربوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألفا (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أي الدولة والغلبة على الذين يمشوا عليهم ، ويعني رجوع الملك إلى بني إسرائيل واستنقاذ أسراهم ، وقتل مختصر ، وقيل قتل داود لجالوت (أكثر قبيرا) أي أكثر عددا ، وهو مصدر من قولك نفر الرجل إذا خرج مسرعا ، أو جمع نفر (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) أحسنتم الأول بمعنى الحسنات ، والثاني بمعنى الإحسان كقولك أحسنتم إلى فلان ، فيه تمجيس ، واللام فيه بمعنى إلى ، وكذلك اللام في قوله : وإن أسأتم فلها (فإذا جاء وعد الآخرة ليسووا ووجوهكم) يعني إذا أفسدوا في المرة الأخيرة بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم فالآخرة صفة للمرة ، ومعنى يسووا يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء كقوله : سيئت وجوه الذين كفروا ، واللام لام كي وهي تتعلق بعثنا المحذوف دلالة الأول عليه ، وقيل هي لام الأمر (وليدخلوا المسجد) يعني بيت المقدس (وليتبروا) من التبر ، وهو الإهلاك وشقة الفساد (ماطوا) ما مفعول ليتبروا : أي يهلكوا ما غلبوا عليه من البلاد ، وقيل إن ماظر فيه أي يفسدوا مدة علوم (عسى ربكم أن يرحمكم) خطاب لبني إسرائيل ومعناه ترجية لهم بالرحمة إن تابوا بعد الرحمة الثانية (وإن عدتم عدنا) خطاب لبني إسرائيل : أي إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى

عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا • إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ عَنْهُ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا • وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَتَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا • وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا • وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوْنًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَنَاهُ تَفْصِيلًا • وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْنَاهُ طَلَأَهُ فِي عَقِّهِ وَنَخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا • أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا • مِّنْ أَعْتَدَىٰ فَأَتَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَأَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا • وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نَّهْلِكَ قَوْمًا مِّنْهُمْ فَهَرَفُوا فَفَعَلْنَا مَا كُنَّا عَاكِفِينَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ فَنَفَخْنَا فِيهِمُ الْمُوتَىٰ يَوْمَ الْوَعْدِ

عقابكم ، وقد عاهدوا بنسب الله عليهم محمدًا صلى الله تعالى عليه وسلم وأمت يقتلونهم ويذلونهم إلى يوم القيامة (حصيرا) أى حصارا وهو من الحصر ، وقيل أراد به ما يفرش ويستر كالحصير المعروف (يهدي لى هى أقوم) أى الطريقة والحالة التى هى أقوم ، وقيل يعنى لا إله إلا الله ، والفظاعم من ذلك (يدع الإنسان بالشردطعه بالخير) المعنى ذم ، وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وأنهم يدعون بالشرف فى ذلك الوقت كما يدعون بالخير فى وقت التثبيت ، وقيل إن الآية نزلت فى النضر بن الحارث حين قال أقوم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية ، وقد تقدم أن الصحيح فى قائلها إنه أبو جهل (وكان الإنسان عجولا) الإنسان هنا وفى الآية قبله اسم جنس ، وقيل يعنى هنا آدم وهو بعيد (فحونا آية الليل) فيه وجهان : أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان فى أنفسهما ، فتكون الإضافة فى آية الليل وآية النهار كقولك مسجد الجامع أى الآية التى هى الليل ، والآية التى هى النهار وعو آية الليل على هذا كونه مغلا ، والوجه الثانى أن يراد بآية الليل القمر وآية النهار الشمس ، وعو آية الليل على هذا كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس (وجعلنا آية النهار مبصرة) يحتمل أن يراد النهار بنفسه أو الشمس ومعنى مبصرة تبصر فيها الأشياء (لتبتغوا فضلا من ربكم) أى لتتوصلوا بضوء النهار إلى التصرف فى مما يشكم (ولتعلوا) باختلاف الليل والنهار أو بسير الشمس (والقمر عد السنين والحساب) الأشهر والأيام (وكل شىء فصلناه تفصيلا) انتصب كل بفعل مضمر ، والتفصيل البيان (وكل إنسان أوزمناه طائره فى عقه) انتصب كل بفعل مضمر ، والطائر هنا العمل ، والمعنى أن عمله لازم له ، وقيل إن طائره ما قدر عليه ، وله من خير وشر ، والمعنى على هذا أن كل ما يلقى الإنسان قد سبق به القضاء ، وإنما جبر عن ذلك بالطائر ، لأن العرب كانت عاداتها التيمن والتشاؤم بالطير ، وقوله فى عقه أى هو كالقلادة أو النعل لا ينفك عنه (كتاباً يلقاه منشورا) يعنى صحيفة أعماله بالחסنات والسيئات (اقرأ كتابك) تقديره يقال له اقرأ (حسباً) أى محاسباً أو من الحساب بمعنى العدد (ولا تزر وازرة وزر أخرى) معناه حيث وقع لا يؤاخذ أحد بذنب أحد ، والوزر فى اللغة الثقل والحمل ، ويراد به هنا الذنوب ، ومعنى تزر تحمل وزر أخرى : أى وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى

تَمِيرًا . وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ أَرْبَكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا . مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الْعَاجِلَةَ جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَاتَشًا . لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا . وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ
لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا . كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا
كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا . انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا .
لَا تَحْمِلْ مَعَ اللَّهِ لِمَا آخِرَ فَتَحْمَدُ مَذْمُومًا مَحْذُورًا . وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَانْخِضْ

نعت رسول) قيل إن هذا في حكم الدنيا أي أن الله لا يهلك أمة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول
إليهم ، وقيل هو عام في الدنيا والآخرة وأن الله لا يعذب قوما في الآخرة إلا وقد أرسل إليهم رسولاً
فكفروا به وعصوه ، ويدل على هذا قوله «كفا ألقى فيها نوح سألهم خروجها ألم بأنكم نذير ، قالوا
بلى ، ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات ، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلا من
الشرع لا من مجرد العقل (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفعاً بقسوتها فيها) في تأويل أمرنا هنا ثلاثة
أوجه : أحدها أن يكون في الكلام حذف تقديره أمرنا مترفعاً بالخير والطاعة فصواباً وفسقوا ، والثاني أن
يكون أمرنا عبارة عن القضاء عليهم بالنسق أي قضينا عليهم بالنسق قسوتها ، والثالث أن يكون أمرنا بمعنى كثرتنا
واختاره أبو علي الفارسي ، وأما على قراءة أمرنا بمد الحمزة فهو بمعنى كثرتنا ، وأما على قراءة أمرنا بتشديد
الميم ، فهو من الإمارة أي جعلناهم أمراء قسوتها ، والمترفع القى النعم في الدنيا (لحق عليها القول) أي
القضاء الذي قضاه الله (وكم أهلكنا من القرون) القرن مائة سنة ، وقيل أربعون (من كان يريد العاجلة)
الآية : في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يؤمنون بالآخرة على أن لفظها أعم من ذلك ، والمعنى أنهم يجعل الله
لهم حظاً من الدنيا بغير أن أحدهما قيد المقدار المعجل بمشيئة الله ، والآخر قيد الشخص المعجل له بإرادة
الله ، ولن يزيد بدل من له وهو بدل بعض من كل (مدحوراً) أي مبعداً أو مهاناً (وسعى لها سعيها) أي عمل
لها عملها (كلأ نمد) انتصب كلا بنمد وهو من المدد ومعناه يزيد من عطائنا (هؤلاء وهؤلاء) بدل من
كلا ، والإشارة إلى الفريقين المتخالفين (من عطا ربك) يعنى رزق الدنيا ، وقيل من الطاعات لمن أراد الآخرة
ومن المعاصي لمن أراد الدنيا ، والاول أظهر (محظوراً) أي ممنوعاً (فضلنا بعضهم على بعض) يعنى في رزق
الدنيا (لا تحمل) خطاب لواحد ، والمراد به جميع الخلق ، لأن الخطاب غير معين (مذموماً) أي بذمه الله
وخيار عباده (محذولاً) أي غير منصور (وقضى ربك) أي حكم وألزم وأوجب أو أمر ، ويدل على ذلك ما في
مصحف ابن مسعود وروى ربك (ألا تعبدوا) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا (إما يبلغن
عندك) هي إن الشريعة دخلت عليها الموكدة وجوبها فلا تقل لها آف والمعنى الوصية ير الوالدین إذا
كبرا أو كبرا أحدهما وإنما خص حالة الكبر لأنهما حيثئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ومعنى
عندك : أي في بيتك وتحت كفك (آف) حيث وقعت اسم فعل معناه قول مكروه ، يقال عند الضجر ونحوه

لَهَا جَنَاحُ الذَّلْمِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا . رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي قُلُوبِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا . وَآتَ ذَا الْقُرْآنِ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرُوا نَجْمَكُمْ بَخِيلًا . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كُفُورًا . وَإِنَّمَا تَعْرِضُ عَنْهُمْ بَيْنًا . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا قُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا . وَلَا تَحْمِلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا . إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِبَيَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا . وَلَا تَهْتَلُوا أُولَئِكَ خَشِيتُ لِمَ تَقُولُونَ لِمَنْ تَرُدُّهُمْ وَلَا تَكُنْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطَا كَبِيرًا . وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحْشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا . وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَقْلُومًا قَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ

وإنما المراد بها أقل كلمة مكرومة تصدر من الإنسان ، فهي الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين ، ما ولو أحرى الأبطال لها ما فوق ذلك ، ويجوز في أف الكسر والفتح والضم ، وهي حركات بناء ، وأما توحيها فهو للتشكيك (ولا تهرها) من الاتهار وهو الإغلاظ في القول (واخفض لها جناح الذل من الرحمة) استعارة في معنى التواضع لها والرق بها ، فهو كقوله اخفض جناحك للؤمنين ، وأضافه إلى الذل مبالغة في المعنى كأنه قال الجناح الذليل ، ومن في قوله من الرحمة للتعليل أي من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما (للأوابين) قيل معناه الصالحين ، وقيل المسبحين ، وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع ، لحقيقته الرجوع إلى الله (وآت ذا القربى حقه) خطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم ، وقيل هو خطاب عاصم بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يؤتي قرابته حقه من بيت المال ، والأول أرجح (وإما تعرضن) الآية : معناه إن أعرضت عن ذوى القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيه ، قل لهم كلاما حسنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سأله أحد فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه ، حياته ، فأمر بحسن القول مع ذلك وهو أن يقول رزقكم الله وأعطاكم الله وشبه ذلك ، والميسور مشتق من اليسر (ابتداء رحمة من ربك ترجوها) مفعول من أجله يحتمل أن يتعلق بقوله (وإما تعرضن عنهم) والمعنى على هذا : أنه يعرض عنهم انتظاراً لرزق يأتيه ، فيعطيه إياهم ، فالرحمة على هذا هو ما يرجوه من الرزق أو يتعلق بقوله (قل لهم قولا ميسورا) أي ابغ رحمة ربك بقول ميسور والرحمة على هذا هي الأجر والثواب (ولا تحمل يدك مغلولة إلى عنقك) استعارة في معنى غاية البخل كأن البخل حبس يده عن الإعطاء وشدت إلى عنقه (ولا تبسطها كل البسط) استعارة في معنى غاية الجود فهي الله عن الطرفين : وأمر بالتوسط بينهما : كقوله (إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) (ملوما) أي يلومك صدقك على كثرة عطايتك وإضرارك بنفسك ، أو يلومك من يستحق العطاء لأنك لم تترك ما تعطيه ، أو يلومك سائر الناس على التبذير في العطلة (محسورا) أي مقططاً ما لك لاشئ عندك وهو من قولهم حسر السفر البعير إذا أتمبه حتى لم يبق له قوة (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء فلا تهم بما تراه من ذلك ، فإن الله أعلم بمصالح عباده (ولا تقتلوا أولادكم) ذكر في الانعام (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) الحق الموجب لقتل النفس هو ما ورد في الحديث من

كَانَ مَسْئُولًا . وَلَا تَهْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا . وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا . وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا . وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا . كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا . ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْمَلْ مَعَ آتِهِ الْهَاهُنَا خَرَّ قُلُوبُنَا فِي جَهَنَّمَ مَوْلُومًا مَّدْحُورًا ، أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ بِالْبَنِينَ

قوله صل الله عليه وآله وسلم ولا يحمل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس أخرى ، وتصل هذه الأشياء أشباه أخر لأنها في معناها كالخرابة وترك الصلوة منع الزكاة (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) المظلوم هنا من قتل بغير حق ، والولى هو ولى المقتول وسائر العصبه ، وليس النساء من الأولياء عند مالك ، والسلطان الذى جعل الله : هو القصاص ، أو تغييره بين المفو والقصاص (فلا يسرف فى القتل) نهى عن أن يسرف ولى المقتول بأن يقتل غير قاتل ولى أو يقتل اثنين بواحد وغير ذلك من وجوه التمدى ، وقرئ فلا تسرف بانه خطابا للقاتل ، أو لولى المقتول (إنه كان منصورا) الضمير للمقتول أو لوليه ، ولغرضه هو القصاص (ولا تهربوا مال اليتيم) ذكر في الإنعام قال بعضهم لا تهربوا ولا تقتلوا معطوفان على ألا تعبدوا ، والظاهر أنهما مجزومان بالثنى بدليل قوله بعدها : ولا تقف ولا تمش ، وبصح أن تكون معطوفات إذا جعلنا ألا تعبدوا مجزوما على النهى وأن مفسرة (وأوفوا بالعهد) عام في العهد مع الله ومع الناس (إن العهد كان مسئولا) يحمل وجهين : أحدهما أن يكون في معنى الطلب : أى يطلب الوفاء به ، والثانى أن يكون المعنى يسأل عنه يوم القيامة . هل وفى به أم لا (وزنوا بالقسطاس) قيل القسطاس الميزان ، وقيل العدل وقرئ بكسر الفاء وهى لغة (وأحسن تأويلا) أى أحسن طائفة وما لا ، وهو من آل إذا رجع (ولا تقف ما ليس به علم) المعنى لا تقل ما لا تعلم من ذم الناس وشبه ذلك ، واللفظ مشتق من قفرته إذا ابتنته (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد وإنما عاملها «مادة العقلاء» فى الإشارة بأولئك ، لأنها حواس لها إدراك والضمير في عنه يعود على كل ويتعلق عنه بمسئولا ، والمعزبان الإنسان يسأل عن عمه وبصره وفؤاده ، وقيل الضمير يعود على ما ليس لك به علم والمعنى على منا أن السمع والبصر والفؤاد هى التى تسأل عما ليس لها به علم وهذا بعيد (ولا تمش في الأرض مراحا) المرح الخيلاء والكبر فى المنية . وقيل هو إنراط السرور بالدنيا وإعراجه مصدر في موضع الحال (إنك لن تخرق الأرض) أى لن تجعل فيها خرقا يشبك عليها ، والخرق هو القطع ، وقيل معناه لا تقدر أن تستوفى جميعها بالمشى ، والمراد بذلك تليل النهى عن الكبر والخيلاء أى إذا كنت أبها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض ، ولا على مطاولة الجبال ، فكيف تتكبر وتختال في مشيك ، وإنما الواجب عليك التواضع (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات والمكروه هنا بمعنى الحرام ، لا على اصطلاح الفقهاء فى أن المكروه دون الحرام وإعرا ب مكروها نعت

وَأَخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّا نَكْتُوبُ لَكَ قَوْلًا عَظِيمًا . وَتَدَّ صَرْفَتَانِ مَلَأَا الْقُرْآنَ لَيْدَ كُرُومًا
يَرِيدُهُنَّ إِلَّا قُورًا . قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آتُهَا كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بَتُّوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَيْلًا . نَبَّحَتْهُ وَقَتْلَ عَمَّا
يَقُولُونَ طَوًّا كَبِيرًا . تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْمَعُ بِحَمْدِهِ
وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا . وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا . وَإِذَا ذُكِرْتُ بِكَ فِي
الْقُرْآنِ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ قُورًا . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ يَا إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ
إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا . أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَيْلًا . وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَقًا أَدْنَا لِمَبْغُوثٍ خَلَقًا جَدِيدًا . قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا

لَيْسَ بِهِ أَوْ بَدَلٍ مِنْهَا ، أَوْ خَيْرٌ ثَانٍ لَكُنْ (أفصافكم ربكم بالبين) خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين
قالوا إن الملائكة بآيات الله والمعنى: كيف يجعل لكم الأعلى من القتل وهو الذكور، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو
البنات ومعنى أصفاكم: نصيحتكم (قولا عظيما) عظيم النكر والشناعة (قل لو كان معه آتاه كما يقولون إذا ابتغوا إلى
ذو العرش سَيْلًا) هذا احتجاج على الوحانية ، وفي معناه قولان: أحدهما أن المعنى لو كان مع آتاه لا يبتغوا
سَيْلًا إلى القرب إليه بعبادته وطاعته ، فيكون من جهة عباده ، والآخر لا يبتغوا سَيْلًا إلى إعاد ملكه ومعادته
في قدرته ، ومعلوم أن ذلك لم يكن فلا إله إلا هو (تسبح له السموات السبع والأرض) الآية: اختلاف في كيفية هذا
التسبيح فقيل هو تسبيح بلسان الحال أي بما ندل عليه صنعها من قدرة وحكمة ، وقيل إنه تسبيح حقيقة
وهذا أرجح لقوله لا يفقهون تسبيحهم (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) في
معناه قولان: أحدهما أن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستتره من الكفار إذا أرادوا به شرًا ، ويحجبه
منهم والآخر أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن ، وهذا أرجح لما بعده: المستور هنا قيل معناه مستور
من أعين الخلق لأنه من لطف الله وكفايته فهو من الخفيات ، وقيل معناه سار (أكنة أن يفقهوه) جمع كنز وهو
الغطاء وأن يفقهوه مفعول من أجله تقديره كراهة أن يفقهوه ، وهذه استعارات في إصطلاحهم (وإذا ذكرت
ربك في القرآن وحده) معناه إذا ذكرت في القرآن وحدانية الله تعالى فزالمشركون من ذلك ، لما فيه من
رفض آلهتهم وذهابهم ونفورا مصدر في موضع الحال (نحن أعلم بما يستمعون به) كانوا يستمعون للقرآن على
وجه الاستهزاء ، والضمير في به عائد على ما: أي تعلم ما يستمعون به من الاستهزاء (وإذ هم نجوى) جماعة
يتناجون أو ذو نجوى ، والنجوى كلام السر (رجلا مسحورا) قيل معناه جن مسحور وقيل معناه ساحر ،
وقيل هو من السحر بفتح السين وهي الرقة: أي بشر إذا مسح مثلكم وهذا بعيد (أنظر كيف ضربوا لك
الأمثال) أي مثوك بالساحر والشاعر والمجنون (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سَيْلًا) إلى الهدى: وزلات الآية
في الوليين المنيرة ، وأصحابه من الكفار (وقالوا أئذا كنا عظاما ورقانا) الآية معناه إنكار للبعث ، واستبعاد

عَمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن مَّيِّدْنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلِ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا • يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِن لَّبِثُمْ إِلَّا قَلِيلًا • وَقُلْ لِّمَآدَى يَقُولُوا اتَّبِعِي أَيْحَسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفْخُ بِبَيْنِهِمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا • رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ بِشَاءِ رَحْمَتِكَ أَوْ إِنْ بِشَاءِ يَعْزِبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا • وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بَيْنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ ذُبُرًا • قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرَرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا • أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ عَذُورًا • وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ

أن يخلفهم الله خلقا جديدا بعد فاتهم ، والوقات الذي على حق صار غبارا أو فاتا ، وقد ذكر في الرد اختلاف القراء في الاستفهامين (قل كونوا حجارة أو حديدا) المعنى لو كنتم حجارة أو حديدا لقد ناعل بشكم وإحائكم مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدا عن الرطوبة التي في الحياة ، فأولى وأحرى أن يموت أجسادكم ويحسب ظالمكم البالية قد كثر الحجارة والحديد تنبها بهما على ما هو أسهل في الحياة منهما ، ومعنى قوله كونوا أي كونوا في الوهم والتقدير ، وليس المراد به التمييز كما قال بعضهم في ذلك (وأخلفا عما يكبر في صدوركم) قبل يعني السموات والأرض والجمال ، وقيل بل أحال على فكرتهم هوما في كل ما هو كبير عندهم : أي لو كنتم حجارة أو حديدا أو شيئا أكبر عندهم من ذلك وأبعد عن الحياة لقدرة على بشكم (فسيفضون إليكم رؤسهم) أي يحركونها تحريك المستبعد للشيء والمنتهز (ويقولون متى هو) أي متى يكون البعث (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) الله عاهدنا عبارة عن البعث بالنفخ في الصور والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور طائمين متقادين وبحمده في موضع الحال أي حامدين له ، وقيل معنى بحمده بأمره (وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) يعني لبثتم في الدنيا أو في القبور (وقول لِمَآدَى يَقُولُوا اتَّبِعِي أَيْحَسَنُ) العبادة هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلاما ليأصحيا ، وقيل أن يقولوه للشركيين ، ثم ادخ بالسيف وإعراب يقولوا كقولهم يقيموا الصلاة في إبراهيم ، وقد ذكر ذلك (قل ادعوا الذين زعتم من دونه) قيل يعني الملائكة . وقيل عيسى وأمه وعزير ، وقيل نفر من الجن . كان العرب يعبدونهم ، والمعنى أنهم لا يقدرون على كشف الضر عنكم ، فكيف تعبدونهم (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) المعنى أن أولئك الآلهة الذين تدعون من دون الله يبتغون القربة إلى الله ، ويرجون ، ويخافونه ، فكيف تعبدونهم معه ، وإعراب أولئك مبتدأ والذين تدعون صفته ويبتغون خبره ، والفاعل في يدعون ضمير للكفار ، وفي يبتغون للآلهة المعبودين وقيل إن الضمير في يدعون ويبتغون الأنبياء المذكورين قيل في قوله : ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، والوسيلة هي ما يتوسل به ويتقرب (أيهم أقرب) بدل من الضمير في يبتغون أي يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم ، فكيف بغيره : أوضمن يبتغون معنى يحرمون فكأنه قيل يحرمون أيهم يكون أقرب إلى الله

يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصَرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جِئْنَاكَ إِلَّا اقْتِنَافَ النَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ

بالاتجاه في طاعته ، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يتوسلون بأهم أقرب إلى الله (محذورا) من الحذر وهو الخوف (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) يحتمل هذا الهلاك وجهين : أحدهما أن يكون بالموت والقنات الذي لا بد منه ، والآخر أن يكون بأمر من الله يأخذ المدينة دفعة فيهلكها ، وهذا أظهر ، لأن الأول معلوم لا يفتر إلى الإخبار به ، والهلاك والتعذيب المذكوران في الآية هما في الحقيقة لأهل القرى أى مهلكو أهلها أو مذبذبوهم ، ودوى أن هلاك مكة بالحبيشة ، والمدينة بالجوع ، والكوفة بالنزك ، والأندلس بالخيول ، وسئل الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة ، فقال أصابها العذاب يوم قتل المرشحين بها في ثورة ابن هود ، وأما هلاك قرطبة وأشبليط وطبله وغيرها بأخذ الروم لها (في الكتاب مسطورا) يعنى اللوح المحفوظ (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآيات يراد بها هنا التي يقرئها الكفار فإذا رأوها ولم يؤمنوا أهلكتهم الله وسبب الآية أن قريشا اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذببا ، فأخبر الله أنه لم يفضل ذلك لئلا يكذبوا فيهلكوا ، وعبر بالمتع عن ترك ذلك ، وأن نرسل في موضع نصب وأن كذب في موضع رفع ثم ذكر ناقة ثمود تنبئها على ذلك لأنهم اقترحوا وكانت سبب هلاكهم ، ومعنى مبصرة : بينة واضحة الدلالة (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) إن أراد بالآيات هنا المقترحة فالعنى أنه يرسل بها تخويفا من العذاب العاجل وهو الإهلاك وإن أراد المسميات غير المقترحة فالعنى أنه يرسل بها تخويفا من عذاب الآخرة ليرهاها الكافر فيؤمن ، وقيل المراد بالآيات هنا الرد والزلزال والكسوف وغير ذلك من المخاوف (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) المعنى اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعنى بشرناك بقتلهم يوم بدر وذلك قوله سبحانه اجمع ويولون الدبر ، وإنما قال أحاط باللفظ الماضي وهولم يقع تحقيقه وصحوقه بعد ، وقيل المعنى أحاط بالناس في منعه وحمايته منهم كقوله : ولله يمسك من الناس (وما جئناك إلا اقتناف الناس) احتلف في هذه الرؤيا فقيل إنها الإسراء ، فمن قال إنه كان في القطة ، فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين ، ومن قال إنه كان في المنام فالرؤيا منامية ، والفتنة على هذا تكذيب الكفار بذلك وارتداد بعض المسلمين حينئذ ، وقيل إنها رؤيا التي صلى الله عليه وسلم في منامه مزجبة الكفار وقتلهم يدر ، والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك ، وقيل إنه رأى أنه يدخل مكة فيسجل في سنة الحديبية فرد عنها فافتن بعض المسلمين بذلك ؛ وقيل رأى في المنام أن بنى أمية يصعدون على منبره فاضم بذلك (والشجرة الملعونة في القرآن) يعنى شجرة الزقوم ، وهى معطوفة على الرؤيا أى جعل الرؤيا والشجرة فنة للناس ، وذلك أن قريشا لما سمعوا أن في جهنم شجرة زقوم سخروا من ذلك وقالوا كيف تكون شجرة في النار والنار تحرق الشجر ، وقال أبو جهل ما أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد ، وإن قيل : لم لعت شجرة الزقوم في القرآن ؟ فالجواب أن المراد لعة آكلها ، وقيل اللعنة بمعنى الإبعاد لأنها في أصل الجمع (ونخوفهم) الضمير لكفار قريش (طين) تميز أو سال من من أو من مفعول خلقت (قال أرى أنك

فَأَيَّدُهُمُ إِلَّا طُفَيْفًا كَثِيرًا • وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَعْبُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ
طِينًا • قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَغْتَرَّكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لِأَحْسَنَ ذُرِّيَّتِهِ إِلَّا قَلِيلًا • قَالَ
أَذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا • وَاسْتَغْفِرُكَ مِنْ أَسْأَلْتُمْ مِنْهُمْ بَصُوتِكَ وَأَجَلْبُ
عَلَيْهِمْ بِخَلْقِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ الشَّيْطَانِ إِلَّا غُورًا • إِنَّ عِبَادِي
لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ رَبُّكَ وَكِيلًا • رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعْتُمُوهَا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ
كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا • وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًُا فَلَمَّا تَحَمَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
كَفُورًا • أَفَأَمْسَيْتُمْ أَنْ يُخَفِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَمْ أُنِيسَ إِلَيْكُمْ عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا • أَمْ أَمْسَيْتُمْ أَنْ

هذا الذي كرمت عليّ) الكاف من أرايتك للتطالع لا موضع لها من الإعراب، وهذا مفعول بأرايت،
والمنى أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ أي فضله وأنا خير منه فاختر الكلام بحذف ذلك، وقال ابن
صطية أرايتك هذا بمعنى أنأملت ونحوه لا بمعنى أخبرني (لاحتسكن ذريت) معناه لاستولين عليهم ولا قودهم
وهو مأخوذ من تخنيك الدابة، وهو أن يشد علي حنكها بجمل فتقاد (قال اذهب) قال ابن صطية اذهب وما
بمده من الأوامر: صيغة أمر علي وجه التهديد، وقال الزعزعي ليس المراد الذهاب الذي هو ضد المجيء،
وإنما معناه امض لهلك الذي اخترته خذلانا له وتخليه، ويحصل عندي أن يكون معناه للطرود
والإبعاد (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) كان الأصل أن يقال جزاؤهم بضمير الغيبة، ليرجع
إلى من اتبعك، ولكنه ذكره بلفظ المخاطب تنظيلا للمخاطب علي القاب، وليدخل إيليس معهم (جزاء
موفورا) مصدر في موضع الحال والموفور المكمل (واستغفر) أي اخضع واستخف (بصوتك) قيل يعني
الفناء والموامير، وقيل الدماء إلى المعاصي (وأجلب عليهم) أي هول، وهو من الجلبة وهي الصياح (بخيلك
ورجلك) الخيل هنا يراد بها الفرسان الراكون علي الخيل، والرجل جمع راجل وهو الذي يمشي علي رجله
فقيل هو مجاز واستعارة بمعنى أفضل جهتك، وقيل إنه من الشيطان خيلا ورجلا، وقيل المراد فرسان
الناس ورجالتهم المتصرفون في الشر (وشاركهم في الأموال والأولاد) مشاركتهم في الأموال بكسبها من
الربا وإضافتها في المعاصي وغير ذلك، ومشاركتهم في الأولاد هي بالإستيلاد بالزنا وتسمية الولد عبد شمس
وعبد الحارث وشبه ذلك (وعدم) يعني المواعدة الكاذبة من شفاعة الأصنام وشبه ذلك (إن
عبادي) يعني المؤمنين الذين يتولون علي الله بدليل قوله بعد ذلك: وكفى ربك وكيفا ونحوه: إنه ليس له
سلطان علي الذين آمنوا وعلي ربهم يتولون (يرحمي لكم الفلك) أي يجرها ويسيرها والفلك هنا جمع
وابتناء الفضل في التجارة وغيرها (الضر في البحر) يعني خوف الفرق (ضل من تدعون إلا إياه) ضل
هنا بمعنى تلف وقد: أي تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده فليأتكم إليه حيث
دون غيره • فكيف تبتدون غيره وأنتم لا تجدون في تلك المدة إلا إياه (وكان الإنسان كفورا)

يُعِدُّكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى' فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَفرِّقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يُعْجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا بِهِ
تَيْمًا • وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ
مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا • يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسِلٍ لِّإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِمِيعَةٍ فَأُولَٰئِكَ يَفْرَحُونَ كِتَابَهُمْ
وَلَا يَظْلُمُونَ قِيلًا • وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أُمِّيًّا فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أُمِّيًّا وَأَصْلٌ سَيِّئًا • وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ
عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتَعْرِىَ عَلَيْنَا غِيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا • وَلَوْلَا أَن تَبْتَئِنَّاكَ لَقَدْ كَدَّتْ تَرْكُ
إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا • إِذَا لَأَذْنُكَ حِمَفَ الْحَيَوَةِ وَضِعَفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا • وَإِنْ كَادُوا

أى كفورا بالنم ، والإنسان هنا جنس (أفانتم) المودة للتوبخ والفاء للعطف أى أنتم من
البحر فأنتم الخسف فى البر (حاصبا) يعنى حجارة أو ربحا شديدة ترمى بالحصباء (وكيلا) أى قائما بأمركم
وناصر لكم (قاصفا من الريح) يعنى الذى يقصف ما يلقى أى يكسره (تيمًا) أى مطالبا يطالبنا بما فعلنا بكم : أى
لا تجدون من ينصركم منا كقوله ولا يخاف عقابا (وفضلائهم على كثير عن خلقنا تفضيلا) يعنى فضلهم على
الجن وعلى سائر الحيوان ، ولم يفضلهم على الملائكة ، ولذلك قال : على كثير وأنواع التفضيل كثيرة
لا تحصى : وقد ذكر المفسرون منها كون الإنسان يأكل بيده ، وكونه متعصب القامة ، وهذه أمثلة (لإمامهم)
قبل يعنى بنبيهم ، يقال بأمة فلان ، وقبل يعنى كتابهم الذى أنزل عليهم ، وقبل كتابهم الذى فيه أعمالهم
(ولا يظلمون قتيلا) التيل هو الخيط الذى فى شق نواة القمرة ، والمعنى أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلا
ولا كثيرا ، فبما بأقل الأشياء تنبها على الأكثر (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) الإشارة
بهذه إلى الدنيا ، والمعنى يراد به عمى القلب : أى من كان فى الدنيا أعمى عن الهدى ، والصواب فهو فى يوم
القيامة أعمى : أى حيران باقس من الخير ، ويحتمل أن يريد بالمعنى فى الآخرة عمى البصر : كقوله ونحشره
يوم القيامة أعمى ، وإنما جعل الأعمى فى الآخرة أضل سيلا ، لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء ، ويجوز . فى
أعمى الثانى : أن يكون صفة للأول ، وأن يكون من الأفعال التى للتفضيل ، وهذا أقوى لقوله وأضل سيلا
فقطف أضل الذى هو من أضل من كذا على ما هو شبهه ، قال سيويو . لا يجوز أن يقال هو أعمى من كذا ولكن
إنما يمتنع ذلك فى عمى البصر ، لافى عمى القلب (وإن كادوا ليفتنوك عن الذى أوحينا إليك) الآية : سبها أن
قرئشا قالوا لئن صلى الله عليه وسلم أقبل بعض أمرنا وقيل بعض أمرك ، وقيل إن قريبا طلبوا من النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم أن يؤخرهم بعد إسلامهم ستة يعبدون فيها اللات والعزى ، والآية على هذا القول
مدنية (لتعترى علينا غيره) الاقراء هنا يراد به المخالفة لما أوحى إليه من القرآن وغيره (وإذا لا تخفوك
خليلا) أى لو ضلت ما أراؤا منك لا تخفوك خليلا (ولولا أن تبنتك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا)
لولا تدل على امتناع شئ لوجود غيره ، فدلنا هنا على امتناع مقابلة النبى صلى الله عليه وسلم الركون إليهم
لأجل تزييت الله له وعصمته ، وكدت تقتضى نفي الركون ، لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أى أنه لم يفعله
فاتنى الركون إليهم ومقاربه ، فليس فى ذلك نقص من جانب النبى صلى الله عليه وسلم لأن التزييت منعه

لَيْسَتْ فِرْعَوْنُكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا . سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسِتْنَانَا تَحْرِيْلًا . أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقِرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قِرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا . وَمَنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا . وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ ذَلِكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا . وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا . وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا . وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَتَوَّابًا جَنَانِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُرْسًا . قُلْ كُلُّ يَمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ رَبِّكُمْ

من مقارنة الركون ، ولولم يشته الله لكائنات مقاربه للركون إليهم شيئا قليلا ، وأما منع التثنية فلم يكن قليلا ولا كثيرا ، ولا قارب ذلك (إذا لا ذقتك ضعف الحياة و ضعف المات) أى ضعف عذابهما لو فعل ذلك (وإن كانوا ليس بفِرْعَوْنُكَ مِنَ الْأَرْضِ) الضمير لفريش كانوا قد هموا أن يخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، وذلك قبل الهجرة ، فالأرض هنا يراد بها مكة لأنها بلد (وإذا لا يلبثون خلعك إلا قليلا) أى لو أخرجهوك لم يلبثوا بعد خروجك بمكة إلا قليلا فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا من مكة إلى المدينة لأجل إذابة فريش له ولأصحابه لم يقوا بعد ذلك إلا قليلا ، وقتلوا يوم بدر (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) انتصب سنة على المصدر ، ومعناه العادة أى هذه عادة الله مع رسله (أقم الصلاة لذولك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر) هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة ، فذولك الشمس زوالها ، والإشارة إلى الظهر والعصر ، وغسق الليل ظلمته وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء ، وقرآن الفجر صلاة الصبح ، وانتصب قرآن الفجر بالعطف على موضع اللام في قوله لذولك الشمس ، فإن اللام فيه ظرفية بمعنى علم ، وقيل هو عطف على الصلاة ، وقيل مفعول بفعل مضمر تقديره اقرأ قرآن الفجر ، وإنما عبر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر لأن القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها لأنها تحلى بسورتين طويلتين (إن قرآن الفجر كان مشهودا) أى تشهد ملائكة الليل والنهار فيجتمعون فيه إذ تصعد ملائكة الليل وتزول ملائكة النهار (ومن الليل تهجد به نافلة لك) لما أمر بالرائض أمر بعدها بالتواقل ، ومن التبعض ، والضمير في به للقرآن والتهجد السهر وهو ترك المجهود ، ومعنى المجهود : التوم فالتفعل هنا للخروج عن الشيء كالتهجر والتأثم : في الخروج عن الإثم والحرج (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) يعنى الشفاعة يوم القيامة ، وانتصب مقاما على الطرف (وقول رب أدخلني مدخل صدق) الآية : المدخل : دخوله إلى المدينة والمخرج خروجه من مكة ، وقيل المدخل في القبر ، والمخرج إلى البعث ، واختار ابن عطية أن يكون على العموم في جميع الأمور (سلطانا نصيرا) قيل معناه حجة تصرف بها وتظهر بها صدق ، وقيل قوة ورياسة تصرف بها على الأعداء وهذا أظهر (وقول جاء الحق وزهق الباطل) الحق الإيمان والباطل الكفر (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من التبعض ، أو لبيان الجنس ، والمراد بالشفاء أنه يشفي القلوب من الرية والجهل ، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقابه والتمويز (وإذا أنعمنا على الإنسان) الآية : المراد بالإنسان هنا الجنس ، لأن ذلك من سجية الإنسان ، وقيل

أَعْلَمَ بَعْنُ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا . وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا .
وَلَقَدْ شَتَّانَا لَنُذِيعَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا . إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ
عَلَيْكَ كَبِيرًا . قُلِ لَنْ أَجْتُمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا .
وَقَالُوا لَنْ تَمُنَّ بِكَ حَتَّىٰ تَخْرُجَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَحَبَّ فَتُفَجَّرَ
الْأَنْهَارُ خَلَقَهَا تَنْجِيرًا . أَوْ نَنْقُطَ السَّمَاءَ كَازْخَمَةٍ عَلَيْنَا كَافًا أَوْ تَأْتِي بِنَاثٍ أَوْ تَكُونُ لَكَ
الْأَنْهَارُ خَلَقَهَا تَنْجِيرًا .

إنما يراد الكافر لأنه هو الذي يمرض عن الله (وقاى بجانبه) أى بعد ذلك تأكيد ويان للإعراض ،
وقرى ناه وهو بمعنى واحد (كل يعمل على شاكلته) أى مذهبه وطريقته التى تشاكله (ويستلونك عن الروح)
الساألون اليهود ، وقيل قريش بإشارة اليهود ، والروح هنا عند الجمهور هو الذى فى الجسم ، وقد يقال فيه
النفس وقيل الروح هنا جبريل وقيل القرآن والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك (قل الروح
من أمر ربى) أى من الأمور التى استأثر الله بها ولم يطلع عليها خلقه ، وكانت اليهود قد قالت لقريش اسألوه
عن الروح ، فإن لم يجيبكم فيه بشىء فهو نبيّ وذلك أنه كان عندهم فى التوراة أن الروح بما انفرد الله بعلمه ،
وقال ابن بريدة : لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعرف الروح ، ولقد كثرت اختلاف الناس فى النفس
والروح ، وليس فى أقوالهم فى ذلك ما يمول عليه (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) خطاب عام لجميع الناس ، لأن
علمهم قليل بالنظر إلى علم الله وقيل خطاب لليهود خاصة والأول أظهر لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم
بالروح (ولتن شتانا لنذيعن بالذى أوحينا إليك) أى إن شتانا ذهبتا بالقرآن فحرقناه من الصدور والمصاحف
وهذه الآية متصلة بالمعنى بقوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا : أى فى قدرتنا أن نذهب بالذى أوحينا إليك
فلا يبقى عندك شىء من العلم (وكيلا) أى من يتوكل بإعادته وردّه بعد ذهابه (إلا رحمة من ربك) يحتمل أن
يكون استثناء متصلا فعنى أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لو ذهب أو استثناء منقطعاً بمعنى أن رحمة ربك
تمسكه عن الذهاب (قل لن أجمعن الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) مجز الحلق
عن الإتيان بمثله لما تضمنته من العلوم الإلهية والبراهين الواضحة والمعاني العجيبة التى لم يمكن الناس يعلونها ،
ولا يصلونها إليها ، ثم جاءت فيه على الكمال ، وقال أكثر الناس إنهم همجروا عنه لفصاحته وحسن نظمه ووجوه
إيجازه كثيرة قد ذكرنا فى غير هذا منها خمسة عشر وجها (ظهير) أى معينا (ولقد صرّفنا للناس فى هذا القرآن من
كل مثل) أى بينا لهم كل شىء من العلوم النافعة ، والبراهين القائمة ، وهذا يدل على أن إعجاز
القرآن بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) الكفور الجور ، واتصّب
بقوله أى لأنه فى معنى النبي (وقالوا لن تومن لك حتى تخرج لنا من الأرض ينبوعا) الذين قالوا هذا القول
هم أشراف قريش طلبوا من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنواعا من خوارق العادات ، وهى التى
ذكرها الله فى هذه الآية ، وقيل إن الذى قاله عبده بن أمية بن النخيرة ، وكان ابن عمه النبي صلى الله تعالى
عليه وعلى آله وسلم ، ثم أسلم بعد ذلك والنبوع العين ، قالوا له إن مكة قليلة الماء فقجر لنا فيها عينا من

بَيْتٌ مِّنْ ذُرْفٍ أَوْ تَرَفٍّ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابٌ يَقْرَأُهُ قُلُوبُ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ
 كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا . وَمَنْعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا .
 قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مِثْلُكُمْ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا . قُلْ كُنْ فِي اللَّهِ تَوَكُّلاً
 بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا . وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ مِنْ
 دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَيَكَا وَكَمَا مَاوَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا . ذَلِكَ
 جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَأَفْذًا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْتًا أَذُنًا لِّمَعْرُوثٍ خَلَقًا جَدِيدًا . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا رَبِّهِمْ فَيَقْبِضَهُ فِي الظُّلُمَاتِ إِلَّا لَكُفُورًا .
 قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا . وَلَقَدْ آتَيْنَا
 مُوسَىٰ نَسْعًا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَنَسِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا .

الماء (أو لقسط السماء كازدحت علينا كسفا) إشارة إلى قوله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط
 عليهم كسفا من السماء وكسفا بفتح السين جمع كسفة وهي القفلة ، وقرئ بالإسكان : أى قطعاً واحداً
 (قبلاً) قبل معناه مقابلة ومعاينة وقيل ضامناً شاهداً بصدقك ، والقبالة في اللغة الضمان (بيت من زخرف)
 أى من ذهب (قل سبحان ربى) لتعجب من اقتراحتهم ، أو تحذيره من قولهم تأتى بالله ، وعن أن يطلب
 منه هذه الأشياء إلى طلبها الكفار ، لأن ذلك سوء أدب (هل كنت إلا بشراً رسولاً) أى إنما أنا بشر ، فليس فى
 قدرتى شيء مما طلبتم ، وأنارسل فليس على إلا التبليغ (إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً) المعنى أن الذى
 منع الناس من الإيمان إنكارهم لبعث الرسول من البشر (قل لو كان فى الأرض ملائكة) الآية : معناها
 أنه لو كان أهل الأرض ملائكة لكان الرسول إليهم ملكاً ، ولكنهم بشر ، فالرسول إليهم بشر من جنسهم
 ومعنى مطمئنين ساكنين فى الأرض (شهداء بينى وبينكم) ذكر فى الأنعام (عيا وبكا وصفا) قيل هى استعارة
 بمعنى أنهم يوم القيامة حيارى ، وقيل هى حقيقة وأنهم يكونون عيا وبكا وصفا حين قيامهم من قبورهم
 (كلما خبت) معناه فى القفلة سكن لها ، والمراد هنا كلما أكلت لحومهم فسكن لها بدلوا أجساداً أخرى ، ثم صارت
 ملهية أكثر مما كانت (وقالوا أفذا كنا عظاماً) استبعاد الحشر وقد تقدم معنى الرفات والكلام فى الاستفهامين
 (أولم يروا أن الله) الآية احتجاج على الحشر ، فإن السموات والأرض أكبر من الإنسان فكما قدر الله على
 خلقها فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فثاته ، والروية فى الآية ، رؤية قلب (أجلالاً رب
 فيه) القيامة أو أجل الموت (قل لو أنتم تملكون) لو حرف امتناع ولا يلحق الفعل إلا ظاهراً أو مضمر فلا بد من فعل
 يقدر هنا بعدها قدره تملكون ثم فسرهُ بتملكون الظاهر ، وأنتم تأكيد للضمير الذى فى تملكون المضمر
 (خزائن رحمة ربى) أى الأموال والأوراق ، إذا لأمسكتم خشية الإنفاق أى لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن
 الإنشاء خشية الفقر . فالمراد بالانفاق عاقبة الإنفاق وهو الفقر ، ومفعول أمسكتم محذوف ، وقال الزمخشري

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يُفْرَعُونَ مَثْبُورًا .
فَأَرَادَ أَنْ يَنْفَعَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَفْرَقْنَاهُ وَمِنْ مَعَهُ جَمِيعًا . وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ
فَإِذَا جَاءَ وَعَدَ الْآخِرَةِ جَنَّا بِكُمْ لَفِيفًا . وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا .
وَقَرَأْنَا مَا فَرَقْنَاهُ لِقَرَاءَةٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَا مَكَتْ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا . قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّا الَّذِينَ أَوْثَقُوا
السِّلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا بَلَغَ عَلَيْهِمْ بِخُرُوجِهِمْ لِلْأَنْفَاقِ جُمُعًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا وَعْدَ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا .

لامفعول له لأن معناه يختم من قولهم للخيل عسك ، ومعنى الآية وصف الإنسان بالشع وخوف الفقر ، بخلاف
وصف الله تعالى بالجلود والنفى (تسع آيات) بينات الحس منها الطوقان والجراد والقمل والضفادع والدم ، والأربع
انقلاب المصاحبة ، وإخراج يده بيضاه ، وحل العقدة من لسانه ، وفتح البحر وقد عد فيها رفع الطور
فوقه ، وانفجار الماء من الحجر على أن يسقط اثنان من الآخر ، وقد عد فيها أيضا السنون ، والتقص من
الغرات ، روى أن بعض اليهود سألو النبي صلى الله عليه وسلم عما قال : ألا تشركون بالله شيئا ، ولا تسفروا
ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تمشي بيري إلى السلطان ليقته ، ولا تسحروا ولا
تأكلوا الربا ولا تحذقوا الحصنات ، ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ألا تقعدوا في السبت (فاسئل
بنى إسرائيل) أى أسأل المعاصرين لك من بنى إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقينا ، والآية على
هذا خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقال الزمخشري إن المعنى قلنا لموسى أسأل بنى إسرائيل من فرعون
أى اطلب منه أن يرسلهم معك ، فهو كقوله : أن أرسل معنا بنى إسرائيل ، فلا يرد قوله أسأل لموسى على
إضمار القول ، وقال أيضا : يمتثل أن يكون المعنى : أسأل بنى إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك ، وهذا
أيضا على أن يكون الخطاب لموسى ، والأول أظهر (إذ جاءهم) الضمير لبنى إسرائيل ، والمراد آياتهم الآتية
والعامل في إذ على القول الأول آتينا موسى أو فعل مضمر ، والعامل فيه على قول الزمخشري القول المحذوف
(مسحورا) هنا وفي الفرقان : أى صهرت واختلط عقلك ، وقيل سحر (لقد علمت) بفتح التاء خطاب
لفرعون ، والمعنى أنه علم أن الله أنزل الآيات ، ولكنه كفر بها عنادا كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أقسامهم
والإشارة بهؤلاء إلى الآيات مشبورا أى مهلوكا ، وقيل مغلوبا ، وقيل مصروفا عن الخير ، قابل موسى قول
فرعون إني لأظنك ياموسى مسحورا بقوله . وإني لأظنك يافرعون مشبورا (فأراد أن يستغفر من
الارض) أى أرض مصر (اسكنوا الارض) يعنى أرض الشام (لنفيقا) أى جميعا محتطين (وبالحق أنزلناه
وبالحق نزل) الضمير للقرآن وبالحق معناه في الموضعين بالواجب من المصلحة والساد وقيل معنى الأول
كذلك : ومعنى الثانى ضد الباطل . أى بالحق في إخباره وأوامره ونواهي (وقرأنا فرقناه) انتصب بفعل مضمر
يدل عليه فرقناه ، ومعناه بيناه وأوضحناه (على مكث) قيل معناه على تمهل وترتيل في قراءته ، وقيل على طول
مدة نزوله شيئا شيئا من حين يمكث صلى الله عليه وسلم إلى وقاته ، وذلك عشرون سنة ، وقيل ثلاث
وعشرون (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أمر باحتقارهم وعدم الاكثار بهم ، كأنه يقول سواء آمنتم أو لم
تؤمنوا لكونكم لستم بجمعة ، وإنما الحجة أهل العلم من قبله ، وهم المؤمنون من أهل الكتاب (إن الذين

وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ وَيَزِدُّهُمْ خُشُوعًا. قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا دَعَوْا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرًا تَكْبِيرًا.

سورة الكهف

مكية إلا آية ٢٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فنية وآياتها ١١٠ نزلت بعد الفاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِجَابًا. قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا

أوتوا العلم من قبله) يعنى المؤمنين من أهل الكتاب وقيل الدين كانوا على الخنيفة قبل البعثة : كزيد بن عمرو بن نوفل ، وورقة بن نوفل ، والأول أظهر ، وهذه الحجة لتلخيص لما تقدم ، والمعنى : إن لم تؤمنوا به أتم ، فقد آمن به من هو أعلم منكم (ويخرون للأذقان) أى لناعية الأذقان كقولهم خزل الدين والقيم ، والأذقان جمع ذقن وهو أسفل الوجه حيث اللحية ، وإنما كرر يخرون للأذقان ، لأن الأول للسجود ، والآخر للكتاب (قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن) سبها أن الكفار سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله يا رحمن ، فقالوا إن كان محمد ليأمرنا بدعاء الله واحد وهاهو يدعو اثنين ، فنزلت الآية مبينة أن قوله الله أو الرحمن اسمها لمسمى واحد ، وأنه غير في الدعاء بأبى الاسمين شاء ، والدعاء فى الآية بمعنى التسمية كقولك دعوتك ولدى زيداً لا بمعنى النداء (أيادادعوا لله الاسماء الحسنى) أياداسم شرط منصوب بدعوا ، والتثنية فيه عوض من المضاف إليه ، ومازائدة للتأكيد والضمير فى به لله تعالى ، وهو المسمى لا الاسم ، والمعنى أى هذين الاسمين تدعو لحسن ، لأن الله لما لا الاسماء الحسنى فوضع قوله لله الاسماء الحسنى موضع الحال ، وهو فى المعنى لتلخيص الجواب ، لأنه إذا حسنت أسماءه كلها حسن هذان الاسمان (ولا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا) الخفاضة هى الإسرار ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن فى الصلاة فسمعه المشركون ، فسيبوا القرآن ومن أنزله ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانحطاط بين الإسرار والمجهر ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركون ، وقيل المعنى لا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ كلها ولا تخافت بها كلها ، واجمل منها سرا وجهرا حسبما أحكمت السنة ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (ولم يكن له ولي من الذل) أى ليس له ناصر يمنعه من الذل لأنه تعالى عزى لا يفتقر إلى ولي يحميه فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غنى عنهم ، ولم ينفى الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده ، وحكى الطبرى أن قوله لم يتخذ ولدا رد على النصارى واليهود والذين نسبوا لله ولدا ، وقوله ولم يكن له شريك : رد على المشركين ، وقوله ولم يكن له ولي من الذل : رد على الصابئين فى قولهم لولاه الله ذل الله ، تعالى الله عن قولهم ، علوا كبيرا (كبره) معطوف على قل ، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم ، أو باللسان وهو قوله أن يقول الله أكبر مع قوله الحمد الذى لم يتخذ ولدا الآية

سورة الكهف

(الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) العبد هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفه بالعبودية تشريفا له

شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُنْذِرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مُمْكِنِينَ فِيهِ أَبَدًا وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا فَلَمَّا لَبِخْتُ بَخْعُ قَسَكٍ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ لَوْ أَنَّ الْمُدِيثَ أَسْفَا إِنْ أَسْجَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لَنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ

وإعلاما باختصاصه وقربه ، والكتاب القرآن (ولم يجعل عرجا العوج بكسر العين في المعاني الى لا تحسن وبالفتح في الأشخاص كالمتواضعوها ، ومعناه عدم الاستقامة ، وقيل فيه هنامعناه لا تاقض فيه ولاخل ، وقيل لم يجعله مخلوقا ، واللفظ أعم من ذلك (قيا) أى مستقيا ، وقيل قيا على الحق أمراته تعالى ، وقيل قيا على سائر الكتب بتدقيقها ، واتصافه على الحال من الكتاب ، والعالم فيه أزل ، ومع الزخشرى ذلك الفصل بين الحال وذو الحال ، واختار أن العامل فيه فعل مضمر تقديره جعله قيا (ليندر بأسا شديدا) متعلق بأزل أوجيا ، والفاعل به ضمير الكتاب والتي صلى الله عليه وسلم ، والباس العذاب ، وحذف المفعول الثاني وهو الناس كما حذف المفعول الآخر من قوله وينذر الذين لدلالة المعنى على المحذوف (ن لده) أى من عنده ، والضمير عائد على الله تعالى (أجرا حسنا) يعنى الجنة (ما كثر فيه) أى دائمين ، وإذا به على الحال من الضمير في لهم (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) هم النصارى لقولهم في عيسى واليهود لقولهم في عزير . وبعض العرب لقولهم في الملائكة (وما لهم به من علم) الضمير عائد على قولهم ، أو على لولد (كبرت كلمة) انتصب على التخيير على الحال ويعنى بالكلمة قولهم اتخذ الله ولدا : وعلى هذا يعود الضمير في كبرت (فلك بكبح قسك) أى قالتها بالحزن والأسف ، والمعنى قسوة النبي صلى الله عليه وسلم عن عدم إيمانهم (على آثارهم) استعارة فصيحة : كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم أسفا عليهم ، وانتصب أسفا على أنه مفعول من أجله ، والعالم فيه باخ نفسك (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) يعنى ما يصلح للزينة كالألبس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) أى لتختبرهم أيهم أزهد في زينة الدنيا (وإنا لجالسون ما عليها صعيدا جزرا) المعنى إخبار بفناء الدنيا وزينتها ، والصعيد هو التراب ، والجزر : الأرض التى لا نبات فيها : أى سيفي ما على الأرض من الرينة وتبقى كالأرض التى لا نبات فيها ، بعد أن كانت خضراء بهجة (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا) أى هنا استفهام ، والمعنى أحسبت أنهم عجب بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب ، والكهف الغار الواسع ، والرقيم : اسم كلهم ، وقيل هو لوح رقت فيه أسماؤهم على باب الكهف ، وقيل كتاب فيه شرعهم ودينهم ، وقيل هو القرية التى كانت بإزاء الكهف ، وقيل الجبل الذى فيه الكهف ، وقال ابن عباس لأدنى ما الرقيم (إذ أوى الفتية إلى الكهف) نذكر من قصتهم على وجه الاختصار ما لا غنى عنه ، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوا ، وذلك أنهم كانوا يوما مؤمنين ، وكان ملك بلادهم كافر يقتل كل مؤمن ، ففروا بدينهم ، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه ويستخفوا من الملك وقومه . فأمر الملك باتباعهم ، فأتتهى المتبحرون لهم إلى الله فوجدوهم وعرفوا الملك بذلك فوقف

أَمَرْنَا رَشَدًا . فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَشَّرْنَاهُم بِإِسْحَاقَ إِذَا بَشُرُوا
أَمْدًا . ثُمَّ قَصَّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا
قَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَئِنْ نَدَعُوهُ مِنْ دُونِهِ لَنَالَهُمَا قُلُوبًا إِذَا شِئْنَا . هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَنَرِيهِمْ أَقْنَعُ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا . وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ
وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهْدِي لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْقَاهُ . وَتَرَىٰ

عليه في جنده وأمر بالدخول إليهم ، فهاب الرجال ذلك وقالوا له دهم يموتوا جوما وعطشا ، وكان الله
قد أتى عليهم قبل ذلك نوما قليلا ، فبقوا على ذلك مدة طويلة ثم أيقظهم الله ، ووطنوا أنهم لبثوا يوما أو
بعض يوم فبشروا أحدهم يشتري لهم طعاما بديارهم كانت لهم فحبسها البائع وقال هذه الدراهم من عهد فلان الملك
في قديم الزمان من أين جاءتك ، وشاع الكلام بذلك في الناس ، وقال الرجل إنما خرجت أنا وأصحابي
بالأمس فأوينا إلى الكهف ، فقال هؤلاء الفتيه الذين ذهبوا في الزمان القديم فمشوا إليهم فوجدوهم موتى ،
وأما موضع كهفهم ، فقيل إنه بمقبرة من فلسطين وقال : قوم إنه الكهف الذي بالاندلس بمقبرة من لوشة
من جهة غرناطة ، وفيه موتى ومعهم كلب ، وقد ذكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم
مسجد ، وقرىب منهم بناء يقال له القرم قد بقي بعض جدراته ، وروى أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس ،
وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها معاوية الاندلس قط ، وأيضا فإن الموتى التي في غار لوشة براهم الناس ، ولم
يدرك أحد منهم الرعب ، الذي ذكر الله في أصحاب الكهف (فضر بنا على آذانهم في الكهف) عبارة عن إلقاء النوم
عليهم ، وقال الزمخشري : المعنى ضربنا على آذانهم حجابا ثم حذف هذا المفعول (سنين عددا) أى كثيرة (ثم بشارناهم)
أى أيقظناهم من نومهم (لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) أى لنعلم علما يظهر في الوجود لأن الله قد كان علم
ذلك ، والمراد بالحزبين الذين اختلفوا في مدة لبثهم ، فالحزب الواحد : أصحاب الكهف والحزب الآخر القوم الذين
بش الله أصحاب الكهف في مدتهم وقيل إن الحزبين معاً أصحاب الكهف إذ كان بعضهم قد قال لبثنا يوما أو بعض
يوم ، وقال بعضهم وبكم أعلم بما لبثتم ، وأحصى فعل ماض وأمدا مفعول به ، وقيل أحصى اسم لتفضيل ، وأمدا
تمييز ، وهذا ضعيف ، لأن أفضل من التفاضيل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ (وربطنا على قلوبهم) أى قوتنا
عزهم والهمام الصبر (إذ قاموا) يحتمل أن يريد قيامهم من النوم أو قيامهم بين يدي الملك الكافر لما آمنوا ولم
يألوأبه (لقد قلنا إذا شططنا) أى لو دعونا من دونه لاله القلتنا قولاً شططاً ، والشطط الجور والتعدي (لولا يأتون عليهم
بسُلطان بين) تخصيص بمعنى التمييز أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله (وإذا أعرضتوهم) خطاب
من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدنيهم (وما يعبدون) عطف على المفعول في أعرضتوهم : أى تركتوهم
وتركتهم ما يعبدون (إلا الله) أى ما يعبدون من دون الله ، وإلا هنا بمعنى غير ، وهذا استثناء متصل إن كان
قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره ، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله وفي مصحف ابن مسعود دو ما يعبدون

الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي لَجْوَةٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ • وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَمِنْ رُكُودٍ وَقُلْهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكُلُّهُمْ يَسْطُرُ ذُرَايَاهُ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَّتْ مِنْهُمْ رُعْبًا • وَكَذَلِكَ يَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ قَالِ قَاتِلْ مِنْهُمْ كَمْ لَبِيتُمْ قَالُوا لَبِيتْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِيتُمْ فَأَبَشِرُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِكَيْهِ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْكُلْ

من دون الله (فأولو إلى الكهف) هذا الفعل هو العامل في إذا غارت عنهم ذات الشمال وهم في لجوة منه ذلك من آيات الله ليعلمهم ذلك من آيات الله (وهم في لجوة منه) أي في موضع واسع، وذلك مفتوح لإضاءة الشمس، ومع ذلك حجبها الله عنهم (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة، وإن كان لكون بهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بحجبهم (وتحسبهم آياتًا ورؤود) أي آياتًا تجمع يقظ وهو المنبه كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون فيحسبهم من يرهم أي آياتًا وفي قوله آياتًا ورؤود مطابقة، وهي أدوات البيان (وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) أي تقلبهم من جانب إلى جانب، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض وكان هذا التقلب من فعل الله وملائكته، وهم لا ينتبهون من نومهم، ودرى أنهم كانوا يقلبون مرتين في السنة، وقيل من سبع سنين إلى ثلثها (وكلهم باسط ذراعيه) قيل إنه كان كل واحد منهم يصيده، وقيل كان كل واحد منهم يفتح عليه فصحبهم وتبعه كله وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضى لأنه حكاية حال (بالوصيد) أي باب الكهف، وقيل عتبه وقيل البناء (ولمكت منهم رعبًا) ذلك لما ألبسهم الله من الهبة، وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وقيل لوحدة مكانهم، وعن معوية أنه غزا الروم فر بالكهف، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس لا تستطيع ذلك، قد قال الله من هو خير منك: لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا، فبعث ناسًا إليهم، فلما دخلوا الكهف سمع الله رعبًا فأحرقهم (وكذلك يتساءلون بينهم) أي كما أنتماء كذلك يتشاورون بعضهم بعضًا، واللام في يتساءلون لام الصيرورة (قالوا ربكم أعلم بما لبستم) هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبسهم طويلة، فأنكر على من قال يوما أو بعض يوم، ولكنه لم يعلم مقدارها فاستد عليها إلى الله (فأبشروا أحكم بوركم) الورق الفضة، وكانت دراهم تزودها حين خروجهم إلى الكهف، ويستدل بذلك على أن التزود للسافر أفضل من تركه، ويستدل بمثل أحدهم على جواز الوكالة. فإن قيل: كيف

بَرِّقَ مِنْهُ وَلَيْتَلَطَّفَ وَلَا يَشْعُرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا • أَنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعْدِيوكُمْ فِي مَلِئَتِهِمْ وَلَنْ تُقْلَعُوا إِذَا أَبَدًا • وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيُظْهَرُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَقْنُرُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَجِمُوا أَكْمَلَهُمْ قَالُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا عَلَيْنَا أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَنَا آيَةٌ أَنْ نَأْتِيَ بِلِقَاءِ رَبِّنَا وَقُلُوا لِيُظْهَرُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَقْنُرُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَجِمُوا أَكْمَلَهُمْ قَالُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا عَلَيْنَا أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَنَا آيَةٌ أَنْ نَأْتِيَ بِلِقَاءِ رَبِّنَا وَقُلُوا لِيُظْهَرُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَقْنُرُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَجِمُوا أَكْمَلَهُمْ قَالُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا عَلَيْنَا أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَنَا آيَةٌ أَنْ نَأْتِيَ بِلِقَاءِ رَبِّنَا وَقُلُوا لِيُظْهَرُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا

افصل بمثل أحدكم يذكر مدة لبثهم ؟ فالجواب أنهم كانوا قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك فغفوا فيما هو أهم من هذا وأضع لكم فابشروا أحدكم (إلى المدينة) قيل لها طرسوس (أذكر طامنا) قيل أكثر ، وقيل أهل ، وقيل إنه أراد شره ذيب ، وقيل تمر (وليتلف) في اختفائه وتبخره (إن يظهروا عليكم يرجوكم) أي إن يظهروا بكم يقتلوك بالحجارة ، وقيل المنى ، يرجوكم بالقول ، والاول أظهر (وكذلك أعرنا عليهم) أي كأنهم وعشانهم أطلنا الناس عليهم (ليعلموا) الضمير للقوم الذين أظلمهم الله على أصحاب الكهف : أي أطلناهم على حالهم من اتباعهم من الرقة الطويلة ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور (إذ ينادون بينهم أمرهم) العامل في إذ أعرنا أو مضمر تقديره اذكر والمتنازعون هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف ، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء ، وقيل تنازعوا هل تحضر الأجساد أو الأرواح بالأجساد ، فأمر الله حال أصحاب الكهف ليعلموا أن الأجساد تحضر (فقالوا ابنا عليهم بيوتا) أي على باب كهفهم لئلا يطمس آثارهم أو ليحفظهم ومنهم من يريد أخدم أو أخذ تربتهم بركا ، وإما ليكون علما على كهفهم يعرف به (قال الذين ظلموا على أمرهم) قيل يعني الولاة ، وقيل يعني المسلمين لأنهم كانوا أحق بهم من الكفار فنوا على باب الكهف مسجدا لعبادة الله (سيقولون) الضمير لمن كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف (رجما بالنيب) أي ظنا وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي (سبعة وثلاثون) قال قوم إن الواو واو الثمانية لدخولها هنا وفي قوله : سبع ليال وثمانية أيام ، وفي قوله في أهل الجنة وفتحت أبوابها ، وفي قوله في برادة والناهي عن المنكر ، وقال البصريون لا تثبت واو الثمانية وإنما الواو هنا كقوله : جازيد وفي يده سيف قال الزمخشري وفادتها التوكيد والدلالة على أن الذين قالوا سبعة وثلاثون سبعة وثلاثون وأخبروا بحق ، بخلاف الذين قالوا ثلاثة ورابعهم كلهم ، والذين قالوا خمسة وسادسهم كلهم ، وقال ابن عطية دخلت الواو في آخر إخبار عن عدم تدل على أن هذا نهاية ما قبل ولو سقطت لصح الكلام ، وكذلك دخلت السين في قوله سيقولون الأول ، ولم تدخل في الثاني والثالث استغناء بدخولها في الأول (ما يعلمهم إلا قليل) أي لا يعلم عدتهم إلا قليل من الناس ، وهم من أهل الكتاب ، قال ابن عباس : تأمن ذلك القليل ، وكانوا سبعة وثلاثون كلهم ، لأنه قال في الثلاثة والخمسة رجما بالنيب ، ولم يقل ذلك في سبعة وثلاثون كلهم (فلا تمار فيهم إلا مرارا ظاهرا) لا تمار : من المراء وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج ، والمعنى لا تمار أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف إلا مرارا ظاهرا أي غير متعمق فيه من غير مبالغة ولا تنقيف في الرد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم

إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا • إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَآذُنُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا • وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْمًا • قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ

(أحد) أى لا تسأل أحدا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف ، لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يفنيك عن السؤال (ولا تقولون لشيء) أى فاعل ذلك غدا (إلا أن يشاء الله) سببا أن فريقا سألو الهميد عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ألم أسأله عن قصة ذهبوا في الزمان الأول وهم أصحاب الكهف ، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومفارها وهو ذو القرنين ، وعن الروح ، فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي فسأله فقال غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأمسك عنه الله الوحي خمسة عشر يوما فأوحى به كفار قريش وتكلموا في ذلك ، فنفق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف فقص عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذو القرنين ، وأزل الله عليه هذه الآية تأديا لهم وتعلما ، فأمره بالاستئذان بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل ، وقوله غدا يريد به الزمان المستقبل إلى يوم الذي يمد يومه خاصة ، وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى وتقديره : ولا تقولون لشيء إن فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله أو تقول إلا أن يشاء الله ، والمعنى أن يعلق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته ويبرأ هو من الحول والقرعة ، وقيل إن قوله إلا أن يشاء الله بقوله لا تقولون . والمعنى لا تقولون ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقول بآن يأذن لك فيه ، فالمشيئة على هذا راجعة إلى القول لا إلى الفعل ، ومعناها إباحة القول بالإذن فيه ، حكى ذلك الزعزري ، وحكاها ابن عطية ، وقال إنه من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكى (وآذُنُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ) قال ابن عباس الإشارة بذلك إلى الاستئذان أى استئن بعدد إذا نسيت الاستئذان أولا ، وذلك على مذهبه ، فإن الاستئذان في العيين ينفع بعد سنة ، وأما مذهب مالك والشافعي فإنه لا ينفع إلا إن كان متصلا بالعين ، وقيل معنى الآية أذكر ربك إذا غضبت ، وقيل أذكر إذا نسيت شيئا لذكرك مانسيت ، والظاهر أن المعنى أذكر ربك إذا نسيت ذكره أى أرجع إلى الذكر إذا غفلت عنه واذكره في كل حال ، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على كل أحياه (وقل عسى أن يهدين ربِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) هذا كلام أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول ، والإشارة بهذا إلى خبر أصحاب الكهف أى عسى الله أن يؤتيني من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة على نبوتى من خبر أصحاب الكهف واللفظ يقتضى أن المعنى : عيسى أن يؤتني الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خير أصحاب أهل الكهف وأقرب إلى الله ، وقيل إن الإشارة بهذا إلى المنسى أى إذا نسيت شيئا قل عسى أن يهدين الله إلى شيء آخر هو أرشد من المنسى (ولَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْمًا) في هذا قولان أحدهما أنه حكاية عن أهل الكتاب يدل على ذلك ما في قرعة ابن مسعود : وقالوا لبثوا في كهفهم . وهو معطوف على سيقولون ثلاثة قنونه (قل الله أعلم بما لبثوا) رد عليهم في هذا المصد المحكى عنهم ، والقول الثاني أنه من كلام الله تعالى ، وأنه يان لما أوجل في قوله فضررنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ، ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا على هذا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم ، وقد أخبر بمسدة لبثهم ، فأخبره هو الحق لأنه أعلم من الناس ، وكان قوله قل الله أعلم احتجاجا على صحة ذلك

وَالْأَرْضِ أَصْبَرُ بِهِ . وَأَصْحَرُ مَا لَمْ مِّنْ دُوعٍ مِّنْ وَلَّى وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا . وَأَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِّنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا يُبَدِّلُ لِكَلِمَتِهِ وَكَانَ يَجِدُ مِّنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا . وَأَصْبَرُ نَفْسِكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمُ قَلْبُكَ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هُودَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطُومًا . وَقُلِ الْحَقُّ مِّنْ رَبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَنشِقُوا يُفَاتُوا بِمَا هُمْ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِقَسِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلًا . أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِّنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُتْمٍ وَأَسْتَبْرَقَ مُتَكِنِينَ

الإخبار ، واتصبت ستين على البدل من ثلاثمائة أو عطف بيان ، أو على التخييد وذلك على قراءة التنوين في ثلاثمائة وقرئ بغير تنوين على الإضافة ووضع الجمع موضع المفرد (أصبر به وأسمع) أى ما أبصره وما أسمع ، لأن الله يدرك الخفيات كأيديك الحليات (الملم) الضمير لجميع الحق أو للمعاصرين النبي صلى الله عليه وسلم (ولا يشرك في حكمه أحدا) هو خبر عن القراءة بالياء والرفع وقرئ بالتاء والجرم على النهي (لا يبدل لكلماته) يحتمل أن يراد بالكلمات هنا القرآن ، فالمعنى لا يبدل أحد القرآن ولا يغيره ، ويحتمل أن يريد بالكلمات القضاء والقدر (ملتجدا) أى ملجأ تميل إليه (وأصبر نفسك) أى احبسها صابرا (مع الذين يدعون ربهم) هم قراء المسلمين : كليل وغياب وصيب وكان الكفار قد قالوا له اطرد هؤلاء نجاسك نحن ، فنزل الآية (بالغداة والعشي) قيل المراد الصلوات الخمس ، وقيل الغداة على الإطلاق (ولا تعد عينك عنهم) أى لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا ، وقال الزمخشري يقال عداه إذا جاوزوه ، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف ، وإنما تعدى هنا بمن لأنه تضمن معنى ثبت عنه عن الرجل إذا احتقره (تريد زينة الحياة الدنيا) جملة في موضع الحال فهي متصلة بما قبلها ، وهي في معنى تعليل الفعل المنهى عنه في قوله ولا تعد عينك عنهم : أى لا تجرد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا (أغفلنا قلبه) أى جعلناه غافلا أو وجدناه غافلا ، وقيل يعنى أنه عينة بن حسين الفزارى ، والأظهر أنها مطلقة من غير قيد (فرطا) من التفریط والتضييع ، أو من الإفراط والإسراف (وقل الحق من ربكم) أى هذا هو الحق (فمن شاء فليؤمن) لفظه أمر وتخيير ، ومعناه أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه : إما الحق الذى ينجيه ، أو الباطل الذى يهلكه ، ففي ضمن ذلك تهديد (مرادتها) السرادق في اللغة ما أحاط بالشئ كالسور والجدار ، وأما سرادق جهنم فقبل حائط من نار ، وقيل دخان (كالهمل) وهو ددى الزيت إذا انتهى حره روى ذلك عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقيل ما أذيب من الرصاص وشبهه (مرتفقا) أى شئ يرتفق به ، فهو من الرفق ، وقيل يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء (أولئك لهم) خبر إن ، وإنا لا نضييع : اعتراض ، ويجوز أن يكونا خبرين أو يكون إنا لا نضييع الخبر ، وأولئك استئناف ، ويقوم السمو في قوله من أحسن مقام الضمير الرابط ، أو يقدر من أحسن عملائه ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنها زلت في أبى بكر وعمر وعثمان

فِيهَا عَلَى الْأَرَاثِكِ نَمَّ التُّرَابُ وَصَنَّتْ مَرْتَقًا • وَأَضْرَبَ لَهمْ مَسَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لَاحِدَهُمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ
أَعْنَبٍ وَجَعَلْنَاهُمَا بَنَاحٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا • كُلُّمَا اجْتَنَبْتُمَا مَاءَهُمَا لَمْ يَفُتْ عَنْ يَمِينِكُمَا وَجَعَلْنَا
نَهْرًا • وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا • وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ
لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا • وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا
مِمَّا مَثَّلَ لِي • قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَافْثَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا •
لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا • وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ

وعلى رضى الله عنهم (أساور) جمع أساور وسوار، وهو ما يجعل في اليد، وقيل أساور جمع أسورة وأسورة
جمع سوار (من سندس وإستبرق) السندس: رقيق الديباج، والإستبرق الغليظ منه (الأراثك) الأسرة
والفرش (واضرب لهم) الضمير للكفار الذين قالوا أطرد فقراء المسلمين ولفقراء الذين أرادوا طردهم: أى
مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين، وهما أخوان من بنى إسرائيل: أحدهما مؤمن، والآخر كافر:
ورثا مالا عن أبيهما، فاشترى الكافر بماله جنتين، وأتفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى اقتصر فغير الكافر
بفقره فأهلك الله مال الكافر، وروى أن اسم المؤمن تملیخا، واسم الكافر فطروس، وقيل كانا شريكين
اقتدما المال فاشترى أحدهما بماله جنتين وتصدق الآخر بماله (أكلها) بضم الهمزة اسم لما يؤكل،
ويجوز ضم الكاف وإسكانها (ولم تظلم) أى لم تنقص (وكان له ثمر) بضم التاء والميم أصناف المال من الذهب
والفضة والحیوان وغير ذلك، قاله ابن عباس وقادة، وقيل هو الذهب والفضة خاصة، وهو من ثمر ماله
إذا أكثره ويجوز إسكان الميم تخفيفا، وأما بفتح التاء والميم، فهو المأكل من الشجر، ويحتمل المعنى
الآخر (وهو يحاوره) أى يراجعه في الكلام (وأعز نفعرا) بفتح النون أى الأصناف والخدم (ودخل جنته) أفرد الجنة هنا، لأنه
إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن دخول الجنتين دفعة واحدة (وهو ظالم لنفسه) إما بكفره
وإما بمقابلته لأخيه، فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه (وقال بأظن أن تبید هذه أبدا) يحتمل
أن تكون الإشارة إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات، فيكون تأنيدها هذا الوجود كائنا بالآخرة
أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطا في الاعتزاز وقلة التحصيل (ولئن رددت إلى ربى) إن كان
هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخى: لأجدن في الآخرة خيرا من جنتي في الدنيا، وقرئ خيرا منهما
بضمير الاثنين للجنتين، وبضمير الواحد للجنة (منقلباً) أى مرجعاً (أكفرت بالذى خلقك من تراب)
أى خلقك من أباك آدم، وإلما جعله كافراً لشكك في البعث (سواء رجلا) كما تقول سواءك إنسانا،
ويحتمل أن يقصد الرجولية على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أثنى (لكننا هو الله ربى) قرأ الجمهور
بإثبات الألف في الوقت وحذفها في الوصل، والأصل على هذا لكن أنا، ثم أقيمت حركة الهمزة على
الساكن قبلها، وحذفت ثم أدغمت النون في النون، وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقت،
ويتوجه ذلك بأن تكون لحقتها نون الجماعة التى في خرجنا وضربنا، ثم أدغمت النون في النون (ولولا

أَنَا أَقْلُ مِنْكَ مَا لَوْ لَدَا • فَنَسِيَ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَرَسُولٌ عَلَيْهِمْ حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَصَبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا • أَوْ يُصْبِحَ مَا وَهْمًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا • وَأُحِيطْ بِشَرِّهِ فَمَا صَبَحَ يُقَلِّبُ كَفَنِي عَلَى مَا أَتَقَى فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا • وَلَمْ تَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ يَبْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا • هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقَابًا • وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَلِوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ شَجَرًا تُظِلُّهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا • الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَلِوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا • وَيَوْمَ نُسِرَ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا • وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ دَعَوْتُمْ لَنْ تَحْمِلَ لَكُمْ مَوْعِدًا • وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ

إذ دخلت جنتك الآية : وصية من المؤمن للكافر ، ولولا تخصيص (نسي ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك) يحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة (حسباناً) أى أمراً مهلكاً كالحر والبرد ونحو ذلك (صعيداً زلقاً) الصعيد وجه الأرض والزلق الذى لا يثبت فيه قدم يبنى أنه تذهب أشجاره ونباته (وغوراً) أى غاراً إذا هاب هو مصدر وصف به (وأحيط بشره) عبارة عن هلاكها (يقلب كفيه) عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه (وهى خاوية على عروشها) يريد أن السقف وقعت وهى العروش ثم تهدمت الحيطان عليها والحيطان على العروش وقيل إن كرومها المروشة سقطت على عروشها ، ثم سقطت الكروم عليها (ويقول باليتى لم أشرك) قال ذلك على وجه التمنى لما هلك بسببائه ، أو على وجه التوبة من الشرك (هنالك) ظرف يحتمل أن يكون العامل فيه منتصراً ، أو يكون في موضع خبر (الولاية لله) بكسر الواو بمعنى الرياسة والملك ، ويفتحها من الموالاة والمودة (وخير عقاباً) أى عاقبة (فاختلط) الباء سببية ، والمعنى : صار به النبات مختلطاً : أى ملتفاً ببعضه بعض من شدة تكافئه (فأصبح شجراً) أى متفتتاً ، وأصبح هنا بمعنى صار (تظله الريح) أى تفرقه ومعنى المثل تشبه الدنيا في سرعة فناءها بالزحف في فناءه بعد خضرته (المال والبنون) الآية : هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد ، وذلك من أدوات اليان ، وقرئ زينة بالثنية لأنه خبر عن اثنين ، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة لأنها مصدر (والباقيات الصالحات) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هذا قول الجمهور ، وقد روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل الصلوات الحس ، وقيل الأعمال الصالحات على الإطلاق (نسر الجبال) أى نعلها ، ومث قوله : وهى تمر من السحاب ، وبعد ذلك قصر هباء (وترى الأرض بارزة) أى ظاهرة لزوال الجبال عنها (وحشرتهم) قال الزعرى إنما جاء حشرتهم بلفظ الماضى بعد قوله نسر الدلالة على أن حشرتهم قبل تسير الجبال ليعاينوا تلك الأحوال (لم تغادر) أى لم تترك (صفاً) أى صفواً فهو أفراد تنزل منزلة الجمع ، وقد جاء في الحديث إن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً أتمها ثمانون صفاً (لقد جئتمونا) يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ (كما خلقتكم) أى حفلة عراة

بِمَا فِيهِ وَيَقُولُونَ بَوَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا وَلَا قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ ائْجِدُوا لَادَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَمَنْ لَكُمْ عِنْدِي بِاللَّيْلِ الَّذِينَ بَدَلُوا مَا أَشْهَدْتُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُنْظَرِينَ وَمَا كُنْتُمْ مُنْظَرِينَ عَصِدًا وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا * وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عِندَهَا مَصْرَفًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَجَعَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ يُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاعْتَمَدُوا بِآيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُوًّا * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

غرلا (ووضع الكتاب) يعني مصاحف الأعمال ، فالكتاب اسم جنس (كان من الجن) كلام مستأنف جرى مجرى التعليل لإبابة إِبْلِيسَ عن السجود ، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إِبْلِيسَ لم يكن من الملائكة ، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع ، فإن الجن صنف غير الملائكة ، وقد يجيب عن ذلك من قال إنه كان من الملائكة بأن كان هنا بمعنى صار : أي خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن ، أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من نار (ففسق عن أمر ربه) : أي خرج عن مأموره ، والفسق في اللغة الخروج (أفقتخونه وذريته أولياءه) : هذا توخي وعظ ، وذرية إِبْلِيسَ هم الشياطين ، وانقادهم أولياء بطاعتهم في عصيان الله والكفر به (ما أشهدتهم) الضمير للشياطين على وجه التحقير بهم أو للكفار أو لجميع الخلق ، فيكون فيه رد على المتحدين وأهل الطبايع وسائر الطوائف المنخرصة (وما كنت منتخذ المضلين عضدا) أي مينا ومعنى المضلين الذين يضلون العباد وذلك يقوى أن المراد الشياطين (ويوم يقول نادوا شركائي) يقول هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم ، وأضاف تعالى الشركاء إلى قصه على زعمهم ، وقد بين هذا بقوله الذين زعمهم (موبقا) أي مهلكا ، وهو اسم موزع أو مصدر من وق الرجل إذا هلك وقد قيل إنه واد من أودية جهنم والضمير في بينهم للشركين وشركاتهم (ظننوا أنهم موافقوها) الظل هنا بمعنى اليقين (مصرفا) أي معدلا ينصرفون إليه (جدلا) أي خاصمة ومداغمة بالقول يقتضي سياق الكلام ذم الجدل وسبها فيما قيل مجادلة التضاريف الحارث ، على أن الإنسان هنا يراد به الجنس (وما منع الناس أن يؤمنوا) الآية : معناها أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيم سنة الأمم المتقدمة ، وهي الإهلاك في الدنيا أو يأتيمهم العذاب يعني عذاب الآخرة ومعنى قُبُلًا مائة قرئ بضمين وهو جمع قبيل : أي أنواع من العذاب (ليدحضوا) أي ليطلوا (وما أنذروا هؤلا) يعني العذاب وما رصولة ، والضمير محذوف تقديره أنذروا أو مصدرية

أَكْتَه أَنْ يَفْقَهُهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرَأَ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا • وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ
لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَسَجَلُ لَعْنُ الْعَذَابِ بَلْ لَمْ يَمُودُنْ يَجْعَلُوا مِنْ دُونِهِ مَوْتَلًا • وَتِلْكَ الْقَرْيَ أَهْلَكْنَاهُمْ
لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِهَلَاكِهِمْ مَوْعِدًا • وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ بَيْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَمْضِيَ حَقِّي •
فَلَمَّا بَلَغْنَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا • فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلُهُ أَتَيْتُمَا عَذَابَنَا فَتَدْلِقِينَا
مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَسَبًا • قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَيْتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ

(إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) هذه عقوبة على الإعراض المحكى عنهم أو تعطيل لهم والاكنة جمع كنان وهو
الغطاء والورق الصم وهما على وجه الاستعارة في قلة فهمهم للقرآن وعدم استجابتهم للإيمان (فلن يهتدوا
إذا أبدا) يريد به من قضى الله أنه لا يؤمن (لو يؤاخذهم) الضمير لكفار قريش أولسائر الناس لقوله ولو يؤاخذ
الله الناس والجله خبر المبتدأ والغفور ذو الرحمة صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك
المواخظة ويحتمل أن يكون الغفور هو الخبر، ويؤاخذهم بيان لمغفرته ورحمته، والاول أظهر (بل لم يموذ)
قيل هو الموت وقيل عذاب الآخرة وقيل يوم بدر (موثلا) أى ملجأ يقال وتل الرجل إذا لجأ (وتلك القرى)
يعنى عاداً وثمود وغيرهم من المتقدمين، والمراد هنا أهل القرى ولذلك قال أهلكتهم وفي ضمن هذا الإخبار
تهديد لكفار قريش (وجعلنا لهلكهم موعداً) أى وقتاً معلوماً، والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر
من أهلك، فالصدر على هذا مضاف للفعول لأن الفعل متعدى، وقرئ بفتح الميم من هلك، فالصدر على
هذا مضاف للفاعل (وإذ قال موسى لفتاه) هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر، وهو موسى ابن عمران نبي الله
وقال قوم هو موسى آخر وذلك باطل رده ابن عباس وغيره ويدل الحديث على بطلانه وقاه هو يوشع بن
نون وهو ابن أخت موسى وهو من ذرية يوسف عليه السلام والفتى هنا بمعنى الخديم وسبب القصة فيأروى
عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح أن موسى عليه السلام خطب يوماً في بني
إسرائيل فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله إليه أن يل عبدا الخضر أعلم منك فقال يارب
دنى على السبيل إلى لقائه فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا في مكنث ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع
البحرين فإذا قد الحوت فإن الخضر هناك فعمل موسى ذلك حتى لقيه (لأبرح) حتى أبلغ مجمع البحرين قال
موسى هذا الكلام وهو سائر أى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين لحذف خبر لا أبرح اختصاراً لدلالة
المنى عليه ومعنى لا أبرح هنا لا أزال لأن حقيقة لا أبرح تقتضى الإقامة في الموضع وكان موسى حين قاله على
سفر لا يريد إقامة وجمع البحرين عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه وهو بحر الأندلس
وقيل هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق (أو أمضى حقاً) أى زماناً طويلاً، والحقب بضم القاف
وإسكانها ثمانون سنة وقيل زمان غير محدود وقيل هى جمع حقبة وهى السنة (فلما بلغ مجمع بينهما) الضمير في
فلما لموسى وقاه والخضر في بينهما للبحرين (نسياً حوتهما) نسب النسيان إليهما وإنما كان النسيان من الفتى
وحده كما تقول فل بنو فلان كنا إذا فعله واحد منهم وقيل نسى الفتى أن يقدمه ونسى موسى أن يأمره فيه

أَذْكُرُهُ وَأَتَّخِذُ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا . قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْسَلْنَا عَلَى أَمَارِهِمَا قَصَصًا ، فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آمِنًا بَعَثْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلَيَّ ، قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُقَلِّبَ مَا عَلَتِ رُشْدًا . قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَبِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِط بِهِ خَبْرًا . قَالَ تَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا . قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا . فَأَنْطَلَقَا حَتَّى

بشئ (فاتخذ سبيله في البحر سرياً) فاعل اتخذا الحوت ، والمعنى أنه سار في البحر قليل إن الحوت كان ميتاً ملحوا حاشم صار حياً بإذن الله ووقع في الماء فصار فيه وقال ابن عباس إنما حي الحوت لأنه مسه ماء عين يقال لها عين الحياة مامست قط شيئاً إلا حي وفي الحديث أن الله أسلك جرية الماء عن الحوت فصار مثل السراب وهو المسلك في نجوف الأرض وذلك مجرة لموسى عليه السلام وقيل اتخذا الحوت سبيله في البحر سرياً حتى وصل إلى البحر فنام على العادة ويرد هذا ماورد في الحديث (فلما جاوزا) أي جاوزا الموضع الذي وصفه وهو الصخرة التي نام عندها فصار الحوت في البحر بينما كان موسى نائماً وكان ذهب الحوت أمانة فقامه فأنقصر قلبه الأسيفظ موسى أصابه الجرح فقال لفته أتناغدها (نصبا) أي تعبا (قال أرايت إذا وينا إلى الصخرة) قال الزخري أرايت هنا بمعنى أخبرتني ثم قال ، فإن قلت ما وجه التثام هذا الكلام فإن كل واحد من أرايت وإذا وينا وإني نسيت الحوت لا متعلق ؟ فالجواب أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه فدهش فخلق يسأل موسى عن سبب ذلك فكانه قال أرايت ماذا فإني نسيت الصخرة فإني نسيت الحوت لحذف بعض الكلام (نسيت الحوت) أي نسيت أن أذكر لك ما أرايت من ذهابه في البحر وتقديره نسيت ذكر الحوت (أن أذكره) بدل من الماء في أنسانيه وهو بدل اشتمال (واتخذ سبيله في البحر عجباً) يحتسب أن يكون هذا من كلام يوشع أي اتخذا الحوت سبيله في البحر عجباً للناس أو اتخذا موسى سبيل الحوت عجباً أي تعجب هو منه وإعجاب عجباً مفعول ثان لاتخذ مثل سرياً وقيل إن الكلام تم عند قوله في البحر ثم ابتدأ التعجب فقال عجباً وذلك بعيد (قال ذلك ما كنا نبغ) أي فقد الحوت هو ما كنا نطلب لأنه أمانة على وجدان الرجل (فارتدا على أمارهما قصصاً) أي رجعا في طريقهما يقصان أثرهما الأول ثلثا بخرجا عن الطريق (فوجدنا عبداً من عبادنا) هو الخضر (آتيناه رحمة) يعني النبوة على قول من قال إن الخضر نبي وقيل إنه ليس بنبي ولذنه ولي وتظهر نبوته من هذه القصة . أنه فعل أشياء لا يعملها إلا يوحى واختلف أيضاً هل مات أو هو حي إلى الآن ويدكر كثير من الصلحاء أنهم يرونه ويكلمهم (وعلمناه من لدنا علماً) في الحديث أن موسى وجد الخضر مسحى بثوبه فقال له السلام عليك فرفع رأسه وقال وآني بأرحك السلام قال له من أنت قال أنا موسى قال موسى بن إسرائيل قال نعم قال أولم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا قال بلى ولكني أحببت لقائك وأز أتمم منك قال إني على علم من علم الله علمه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمك لا أعلمه أنا (قاله موسى هل أتيتك) الآية : عظمة فيها ملاطفة وتواضع وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه (رشدًا) قرئ بعزم الراء وإسكان الشين وبفتحها والمعنى واحد ، واتصّب على أنه مفعول ثلث بتعلمي أو حال من الضمير في أتيتك (فانطلقا) الضمير

إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِسْرًا • قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا • قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَصَا • فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا ذِكْرًا بَعِيرٍ نَحِسٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا • قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا • قَالَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا • فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَمَطَّتَ عَلَيْهِ أَجْرًا • قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا • أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَمُودُونَ

لموسى والخضر وفى الحديث أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة فمرها الخضر لحمل فيها بغير نوال أى بغير أجرة (خرقها) روى أن الخضر أزال الوحين من ألواحها (شيئا إسرا) أى عظيما وقيل منكرا (فانطلقا) يعنى بعد نزولهما من السفينة فرا بفلان يلعبون وفهم غلام وضى الصورة فاقطلع الخضر رأسه ، وقيل ذبحه ، وقيل أخذ صخرة ففرض بها رأسه والأول هو الصحيح لوروده فى الحديث الصحيح وروى أن اسم الغلام جيسورا بالجيم ، وقيل بالحاء المهمة قال الزعشرى إن قلت لم قال خرقتها بغير فاء ، وقال قتله بالفاء ؛ والجواب أن خرقتها جواب الشرط وقته من جملة الشرط معطوف عليه والخبر قال أقتلت نفسا ، فإن قيل لم خرقت بينهما ؟ فالجواب : أن خرقت السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقوله الغلام (نفسا ذكرا) قبل إله كان لم يباغ فعنى ذكرا ليس له ذنب وقيل إنه كان بالغا ولكنه لم ير له الخضر ذنبا (بغير نفس) يقتضى أنه لو كان قد قتل نفسا لم يكن يقتله بأس على وجه القصاص ، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغا فإن غير البالغ لا يقتل وإن قتل نفسا (شيئا نكرا) أى منكرا وهو بالغ من قوله إسرا ويحوز ضم الكاف وإسكانها (قال ألم أقول لك) بزيادة لك فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس فى قوله أولا ألم أقول لك إن تستطيع معى صبرا (بهدما) الضمير القصص وإن لم يتقدم لها ذكر ولكن سياق الكلام يدل عليها (قد بلغت من لدنى عذرا) أى قد أعذرت إلى فأنت معذور عندى وفى الحديث كانت الأدلى من موسى نسيانا (أتيا أهل قرية) قيل هى أنطاكية ، وقيل برة وقال أبو هريرة وغيره هى بالاندلس وبذكر أنها الجزيرة الخضره وذلك على قول أن يجمع البحرين عند طنجة وسبب (استطعا أهلها) أى طلبا منهم طعاما (جدارا يريد أن ينقض) أن يستطع وإسناده الإريادة إلى الجدار مجاز ومثل ذلك كثير فى كلام العرب وحقيقته أنه قارب أن ينقض ووزن ينقض يفعل وقيل يفعل بالتشديد كبحر (فأقامه) قيل إنه هدمه ثم بناه وقيل مسحه بيده وأقامه ققام (لو شئت لتخذت عليه أجرا) أى قال موسى للخضر لو شئت لتأخذت عليه أجرا أى طعاما تأكله (قال هذا فراق بينى وبينك) إنما قال له هذا لأجل شرطه فى قوله : إن سألتك عن شئ بهدما فلا تصاحبنى ، على أن قوله : لو شئت لتأخذت عليه أجرا ، ليس بسؤال ولكن فى ضمنه أمر بأخذ الأجرة عليه لأنها كانا محتاجين إلى الطعام والذين هنا ليس بطرف وإنما امتناه الوصلة والقرب ، وقال الزعشرى الأصل هذا فراق

فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْصِيَا وَكَانَ رَأْيُكُمْ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا . وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبُوهُمُ الْمُؤْمِنِينَ
عَظِيمًا أَنْ يَرْهَقَهُمَا طُفَيْنًا وَكُفْرًا . فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا . وَأَمَّا
الْجِدَارُ فَكَانَ لِلْعُمَلَاءِ يَجْعَلُونَ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا
وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا هُم بِعَالِمِينَ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا . وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الذِّقْرِينِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا . فَأَتْبَعَ

بنو ويك بقنوين فراق ونصب بنو علي الظرفية ثم أضيف المصدر إلى الظرف والإشارة بقوله هذا
إلى السؤال الثالث، الذي أوجب الفرق، (أما السفينة فكانت لمساكين) قيل لهم تجار ولكنه قال فيهم
مساكين على وجه الإشتاق عليهم، لأنهم كانوا ينصبون سفيتهم أو لكونهم في لجج البحر، وقيل كانوا
إخوة عشرة منهم خمسة عالمون بالسفينة، وخمسة ذوا عاهات لا قدرة لهم وقرئ مساكين بتشديد السين، أي يسكنون
السفينة (وكان وراهم) قيل معناه قدامهم، وقرأ ابن عباس أمامهم، وقال ابن عطية إن وراهم على بابهم ولكن
روى به الزمان قالوا وهو المستقبل والإمام هو الماضي (كل سفينة غصبا) عموم معناه الخصوص في الجياد
والصالح من السفن، ولذلك قرأ ابن مسعود يأخذ كل سفينة صالحة، وقيل: إن اسم هذا الملك هدد بن بدد
وهذا يشتر على نقل صحيح، وفي الكلام تقديم وتأخير، لأن قوله (فأردت أن أعصيا) مؤخر في المعنى
عن ذكر غصبا لأن خوف النصب سبب في أنه طابها وإعما قدم للعناية به (وأما الغلام) روى أنه كان
كافرا، وروى أنه كان يفسد في الأرض، (عخشينا أن يرهقهما) التكلّم بذلك الخضر وقيل إنه من كلام الله
وتأويله على هذا فكرها، وقال ابن عطية إنه من نحو ما وقع في القرن من صي ولعل، وإعما هو في حق المخاطبين
ومعنى يرهقهما طفينًا وكفرا، يكلفهما ذلك والمعنى أن يحملهما حبه على اتباعها أو يضربهما لمخالطته مع
عاقبته لما (خيرا منه) أي غلاما آخر خيرا من الغلام المذكور المقنول (زكاة) أي طهارة وفضيلة في دينه
(وأقرب رحما) أي رحمة وشفقة، قيل المعنى أن يرحمهما، وقيل: يرحمنا (لنلّامين يقيمين) اليتيم من قد
أبويه قبل البلوغ، وروى أن اسم الغلامين أصرم وصرم، واسم أبيهما كاشح وهذا يحتاج إلى محبة نقل
(كنز لهما) قيل مال عظيم، وقيل كان عليا في صحف مدفونة، والأول أظهر (وكان أبوهما صالحا) قيل إنه
الآب السابغ، وظاهر اللفظ أنه الأقرب (فأراد ربك) أسند الإرادة هنا إلى الله لأنها في أمر مقبب مستأنف
لا يعلم ما يكون منه إلا الله، وأسند الخضر إلى نفسه في قوله فأردت أن أعصيا لأنها لفظة عيب، فأدب بأن
لا يستعدها إلى الله وذلك كقول إبراهيم عليه السلام «وإذا مرضت فهو يشفين»، فأسند المرض إلى نفسه
والشفاء إلى الله تأدبا، واختلف في قوله فأردنا أن يبدلها هل هو مسند إلى خضر الخضر أو إلى الله، (وما
فعلت عن أمري) هذا دليل على نبوة الخضر، لأن المعنى أنه فعل بأمر الله أو بوحى (ويسئلونك عن ذي القرنين)
السائلون اليهود، أو قريش بإشارة اليهود، وذو القرنين هو الإسكندر الملك، وهو يوناني وقيل روى
وكان رجلا صالحا، وقيل كان نبيا، وقيل كان ملكا بفتح اللام والصحيح أنه ملك بكسر اللام واختلف

سَبِيًّا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَقَرِّبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَقَرَّبَ فِي عَيْنِ حَسَّةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّمَا أَنْتُمُ الْمُذْذَبُونَ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ تُنْجَذَبُونَ فِيهِمْ حَسَنًا . قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعْتَبُ بِهِ ثُمَّ يَرُدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا . وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَنُسْقُوهُ مِنْ أَمْرَانَا يَسْرًا . ثُمَّ أَتْبَعْنَا سَبِيًّا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهَا مِنْ دُونِهَا سِتْرًا . كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا . ثُمَّ أَتْبَعْنَا سَبِيًّا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا . قَالُوا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّا يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ قَهْلَ قَهْلٍ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ

لم سمى ذو القرنين قهليل كان له صغيرتان من شعرهما قرناه ، فسمى بذلك وقيل لأنه بلغ المشرق والمغرب وكأنه حاز قرني الدنيا (إنا مكنا له في الأرض) التمكن له أنه ملك الدنيا وادانت له الملوك كلهم (آتياه من كل شيء سبيا) أى علما وفهما ، يتوصل به إلى معرفة الأشياء والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك (فأتبع سبيا) أى طريقا يوصله (وجدها تقرب في عين حسنة) قرئ بالهمز على وزن فعلة أى ذات حمة وقرئ بالياء على وزن فاعلة وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس فقال ابن عباس حسنة وقال معاوية حامية فبينا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر فقال أما العربية فأتتا أعلاها منى ، ولكن أجد في التوراة أنها تقرب في ماء وطين فوقها ذلك قراءة ابن عباس ومعنى حامية حلوة ، ويحتمل أن يكون بمعنى حية ولكن سهلته همرته ويتفق معنى القراءتين وقد قيل يمكن أن يكون فيها حسنة وتكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للبوضيين ، ويجمع معنى القراءتين (قلنا ياذا القرنين) استدللنا من قلنا ياذا القرنين نبي لأن هذا القول وحى ويحتمل أن يكون إلهام فلا يكون فيدليل على نبوته (إما أن نعتذب وإما أن نتخذ فيهم حسنا) كانوا كفارا فغيره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام ، فيحسن إليهم وقيل الحسن هنا هو الأمر وجهه حسنا بالنظر إلى القتل (قال أمان من ظلم فسوف نعذب) اختار أن يدعوهم إلى الإسلام فنعمادى على الكفر قتلهم من أسلم أحسن إلى العظم هذا الكفر والعذاب القتل وأراد بقوله عذابا بانكر عذاب الآخرة (فله جزاء الحسنى) المراد بالحسنى الجنة أو الأعمال الحسنة (ونسقول له من أمرنا يسرا) وعدم بأن يسر عليهم (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) هؤلاء القوم هم الرنج وهم أهل الهند ومن وراهم ومعنى لم نجعل الآية أنهم ليس لهم بنبان إذ لا تعمل أرضهم البناء وإنما يدخلون من حر الشمس في أسراب تحت الأرض وقال ابن عطية الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم وقيل الستر اللباس فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب (كذلك) أى أمدى القرنين كذلك أى كما وصفته تظليلا لأمره وقيل إن كذلك راجع لما قبله أى لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من المباني والثياب ، وقيل المعنى وجد عندها قوما كذلك أى مثل القوم الذين وجدوا عند مغرب الشمس وفصل مهمم مثل فله (بين السدين) أى الجبلين وهما جبلان في طرف الأرض وقرئ بالفتح والضم وهما بمعنى واحد ، وقيل ما كان من خلقه الله فهو مضموم وما كان من فعل الناس فهو مفتوح (وجد من دونهما قوما) قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) عبارة عن بعد لسانهم عن السنة الناس فهم لا يفقهون القول

مَا مَكَنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةِ أَجَلٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ
الصَّدِيقَيْنِ قَالُوا أَنفُسُهُمَا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا . فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا
لَهُ قَبِيحًا . قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا . وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَتَهُمْ جَمْعًا . وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ
فِي غَطَاةٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا . الْحَسْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ
إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا . قُلْ هَلْ تَنْبَشِكُمْ بِالْآخِرِينَ أَعْمَلَاءَ . الَّذِينَ ضَلَّ سَمْعُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ

إلا بالإشارة أو نحوها (بأجوج ومأجوج) فيلتاز من بني آدم في خلقهم تقويه منهم مفرط الطول ومفرط
القصر (مفسدون في الأرض) لفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر، وقيل كانوا يأكلون بني آدم (فهل يجعل لك
خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) هذا استفهام في ضمنه عرض ورجية، والخرج الجباية ويقال فيه خراج
وقد قرئ بهما، فعرضوا عليه أن يجعلوا له أو لا ليقم بها السد (قال ما مكني فيه ربى خير) أى ما بسط الله
لى من الملك خير من خرجكم فلا حاجة لى به ولكن أعينونى بقوة الأيدى وعمل الأيدى (ردما) أى حاجزا
حصيا والردم أعظم من السد (ساوى بين الصديقين) أى بين الجليلين (قال انفخوا) يريد نفخ الكبر أى أوقدوا
النار على الحديد (قطرا) أى نحاسا مذابا وقيل هو الرصاص، وروى أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل
البنيان من زبر الحديد حتى ملأ به ما بين الجبلين ثم أفرغ عليه النحاس المذاب (فما استطاعوا أن يظهروه)
أصل استطاعوا استطاعوا حذف التاء تخفيفا والضمير فى يظهروه للسدة، ومعنى يظهروه يملوه ويصعدوا
على ظهره فالمعنى أن بأجوج ومأجوج لا يقدرون أن يصعدوا على السدة لا ارتفاعه ولا يتقبوه لقوته (قال هذا
رحمة من ربى) القائل ذوالقرنين وأشار إلى الردم (فإذا جاء وعد ربى) يعنى القيامة جعله دكا أى ميسوطا مسوى
بالأرض (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) الضمير فى تركنا لله عز وجل، ويومئذ يحتمل أن يريد به يوم
القيامة لأنه قد تقدم ذكره فالضمير فى قوله بعضهم على هذا جميع الناس، أو يريد بقوله يومئذ يوم كمال السد والضمير
فى قوله بعضهم على هذا بأجوج ومأجوج، والأول أرجح لقوله بذلك ونفخ فى الصور فيتصل الكلام ويموج
عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم (ونفخ فى الصور) الصور هو القرن الذى ينفخ فيه يوم القيامة حسبما جاء فى
الحديث ينفخ فيه إسرائيل نفختين أحدهما للصق والآخرى للقيام من القبور (وعرضنا جهنم) أى أظهرناها (كانت
أعينهم فى غطاء) عبارة عن عمى بصائرهم وقلوبهم وكذلك لا يستطيعون سمعا (الحسب الذين كفروا) أن يتخذوا عبادى
من دونه أولياء) يعنى أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم أنهم يقولون أنت ولينا من دونه، والعباد هنا من عبد
مع الله من لا يريد ذلك كالملائكة وعيسى ابن مريم (أعتدنا) أى يسرنا (نولا) ما يسير للضيف والقادم عند
نزوله والمعنى أن جهنم لهم بدل النزل كما أن الجنة نزل فى قوله وكانت لهم جنات الفردوس نزلا، ويحتمل
أن يكون النزل موضع النزل (قل هل تنبشكم بالآخسرين أعمالا) الآية فى كفار العرب كقوله كفروا بآيات ربهم

لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن كَفَرَ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا . خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَمُوتُونَ فِيهَا حَوْلًا . قُلْ لَّوْكَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَّكَلَّمْتُ رَبِّي لَفَدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا . قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ قَدْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا .

ولقائه وقيل في الرهبان لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم وهي لا تقبل منهم وفي قوله يحسبون أنهم يحسنون تعبداً وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف (فلا تقم لهم يوم القيامة وزناً) أي ليس لهم حصة توزن لأن أعمالهم قد حبطت (جنت الفردوس) هي أعلا الجنة حسبما ورد في الحديث ولفظ الفردوس المجمع معرب (حولاً) أي تحوُّلاً وانتقالاً (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربِّي) الآية إخبار عن اتساع علم الله تعالى والكلمات هي المعاني القائمة بالفسح وهي المعلومات فمعنى الآية لو كتب علم الله بمداد البحر لفد البحر ولم يتفد علم الله وكذلك لو جئنا بمثل آخر مثله وذلك لأن البحر متناه وعلم الله غير متناه (بمثل ممدداً) أي زيادة والمدد هو ما يمد به الشيء أي يكثر (فمن كان يرجو لقاء ربه) إن كان الرجاء هنا على باب فالملنى يرجو حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاءً مقبولاً، وإن كان الرجاء بمعنى الخوف فالملنى يخاف سوء لقاء ربه (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) يحتمل أن يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره فيكون راجعاً إلى قوله يوحى إلى أنما إلهمك إله واحد أو يريد الرياء لأنه الشرك الأصغر واللفظ يحتمل الوجهين ولا يبعد أن يحمل على العموم في المؤمنين والله أعلم

(تم الجزء الثاني، وبليه الجزء الثالث)

(وأوله سورة مريم)



داظمبسة	٢٥١٩<
فنمبسة	١٤٠
كتابمبسة	٤١٥٥

فهرس

الجزء الثاني من كتاب التسهيل

صفحة	
٢	سورة الانعام
٢٨	• الاعراف
٦٠	• الانفال
٧٠	• التوبة
٨٩	• يونس عليه السلام
١٠٠	• هود عليه السلام
١١٤	• يوسف عليه السلام
١٢٩	• الرعد
٣٧١	• ابراهيم عليه السلام
١٤٣	• الحجر
١٤٩	• النحل
١٦٦	• الإسراء
١٨١	• الكهف

(تمّ الفهرس)

